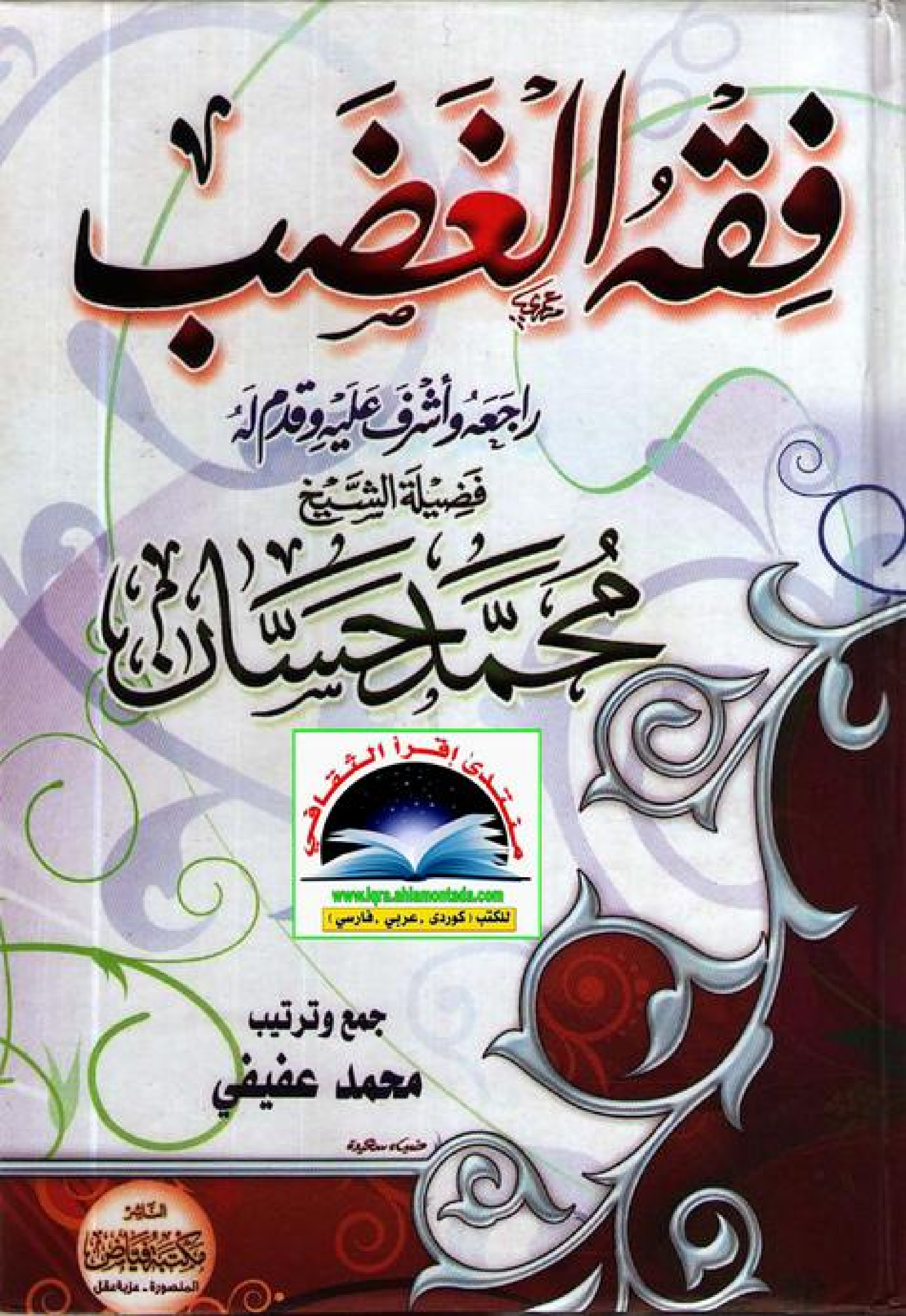
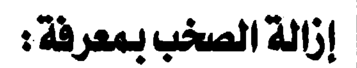


فقه الغضب
راجعه وأشرف عليه وقدم له
فضيلة الشيخ
محمد حسان
منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى ، عربي ، فارسي)
جمع وترتيب
محمد عفيفي
الناشر
مكتبة فياض
المنصورة - عزبة عقل


إزالة الصخب بمعرفة:

فقه الغضب

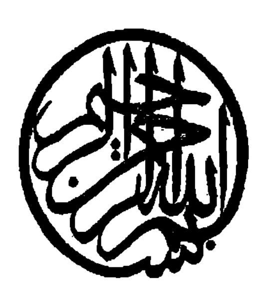
رَاجَعَهُ وَقَرَّظَ لَهُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّد حَسَّان

تأليف

أبي عبد الله محمد بن العفيفي

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٧٧٠٥

الناشر

مكتبة فياض للنشر والتوزيع
المنصورة - عزبة عقل - شارع الهادي
هاتف: ٠٥٠٢٢٦٧٣٩٨ - ٠٥٠٢٣٧٥٩٤٣

كلمة تقديم

لفضيلة الشيخ محمد حسان - أطال الله بقاءه في الخير - .

الحمدُ لله والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى رَسُولِ الله ﷺ ؛ وَبعْدُ :

○ فلَقَدْ توقَّفْتُ طويلًا أمَامَ هذهِ الوَصِيَّةِ النَّبويَّةِ الجَامِعةِ لِمَنْ آتَاهُ اللَّهُ جَوامِعَ الكَلِمِ ﷺ ؛ تِلكُمُ الوَّصِيةُ التي روَاهَا البُخارِيُّ[1] وغَيْرُهُ : مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ ﵁ أنَّ رَجُلًا قالَ للنبيِّ ﷺ أَوْصِني . قَالَ ﷺ : « لا تَغْضَبْ » ؛ فردَّد مرارًا ، قَالَ ﷺ : « لا تَغْضَبْ » .

وفى رِوَايةِ الترمذيِّ[2] بسندٍ صَحيحٍ مِنْ حديثِ أبي هُرَيْرةَ ﵁ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبيِّ ﷺ قَالَ : عَلِّمْنِي شَيْئًا ولا تُكْثِرْ عَليَّ لَعَلِّي أَعِيَهُ؟ قَالَ ﷺ : « لا تَغْضَبْ » ؛ فردَّدَ ذلكَ مِرارًا . كلُّ ذلكَ يقُولُ ﷺ : « لا تَغْضَبْ » .

وفى رِوَايةِ أحْمَدَ[3] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ : « قَالَ الرَّجُلُ : فَفكَّرْتُ حِينَ قَالَ

---

(١) في « الصحيح » (برقم : ٦١١٦) ، وسيأتي.
(٢) في « السنن » (برقم : ٢٠٢٠) .
(٣) في « المسند » (٣٨ / ٢٣٦) .

النَّبيُّ ﷺ ما قَالَ ؛ فإذا الغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّه » .

○ ما أَفْقَه هذا الرَّجُلَ .. نَعَمْ . الغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ .. فهُو كالمَلِكِ الظَّلُومِ الغَشُومِ الجَهُولِ .. الغَضَبُ يُصِمُّ الآذَانَ عَنْ سَماعِ الحَقِّ .. ويُعْمِي الأبْصَارَ عَنْ رُؤْيةِ الدَّلِيلِ .. وَيتَلاعبُ بالقُلوبِ كتَلاعبِ الأمْوَاجِ المُتَلاطِمَةِ بسفِينةٍ في لُجَّةِ البَحْرِ عِنْدَ اضْطرَابِ الرِّيح !!

○ فقدْ يَملأُ القَلْبَ بالحِقْدِ والحسَدِ والكِبْرِ والحِرْصِ والإصْرَارِ عَلى الانْتِقَامِ وَغَيْرِها مِنَ الأمْرَاضِ الخَطِيرَةِ التي تَسُوقُ الإنْسَانَ إلى مَواطِنِ الرَّدَى والهَلَكَةِ ؛ لأنَّ الشَّيْطَانَ أقْدَرُ ما يكُونُ عَلى ابْنِ آدَم حِينَ يَتمَلَّكَهُ الغَضَبُ .

○ والقَلْبُ مَلِكُ الأعْضَاءِ .. والجَوَارِحُ جُنُودُهُ ورَعَايَاهُ ؛ فإنْ طَابَ المَلِكُ طَابَتِ الجُنُودُ والرَّعَايَا ، وإنْ خَبُثَ المَلِكُ خَبُثَتِ الجُنُودُ والرَّعَايَا .

○ فإنْ تَمَكَّنَ الغَضَبُ مِنَ القَلْبِ انعَكَسَ عَلَى الجَوَارِحِ بِصُورةٍ قَبِيحَةٍ مُزْرِيةٍ لَوْ رَآهَا الغَضْبَانُ - نفسُهُ - لسَكَنَ غَضَبُهُ خَجَلًا مِنْ قُبْحِ مَنْظَرِه ، وسُوءِ مَخْبَرِهِ ، وشَنِيعِ قَوْلِهِ !!

○ فاللِّسَانُ في حَالِ الغَضَبِ يَنْطَلِقُ كَالسَّهْمِ المسْمُومِ الجَارِحِ ؛ يُلْقِي

الفُحْشَ ، ويَكِيلُ التُّهَمَ ؛ التي تُقَطِّعُ الأرْحَامَ ، وتُدْمِي القُلُوبَ ، وتُقَرِّحُ الأكْبَادَ، وتُفَرِّقُ بَيْنَ الأحِبَّةِ ؛ بَلْ وتَقْذِفُ المُحْصَنَاتِ ، وتَتَّهِمُ العَفِيفَاتِ ؛ فَيسْتحِقُّ العَبْدُ - حِينَئِذٍ - اللَّعْنَ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَيَا لَهَا وَاللهِ مِنْ عُقُوبَة !!

● قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور:٢٣] .

نَاهِيكَ عَنْ الغَيْبَةِ والنَّمِيمَةِ وشَهادَةِ الزُّوْرِ وغَيْرِهَا مِنْ ثَمَرَاتٍ مُرَّةٍ لِشَجرةِ الغَضَبِ الخَبِيثَةِ التي تُثْمِرُ كُلَّ ألْوَانِ الشَّرِّ إذا نَبَتَتْ في القلْبِ !!

○○ ومِنْ ثَمَّ تَتَجلَّى أهَمِّيَّةُ هَذهِ الوَصِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الخَالِدَةِ لَمِنْ ربَّاهُ اللهُ عَلَى عَيْنِهِ لِيُرَبِّيَ بِهِ الدُّنْيا .. إِنَّها وَصِيَّةٌ تَجْمَعُ الخَيْرَ كُلَّهُ عَلَى وَجَازَتِها وبَلاغَتِها .

فَمَا أَحْوَجَنَا جَمِيعًا إِلى هَذهِ الوَّصِيَّةِ الغَالِيَةِ ، لاسِيَّما وَنحْنُ نَعِيشُ عَصْرًا طَغَتْ فِيهِ المادِّيَّاتُ وَالشَّهَواتُ وَالشُّبهاتُ ، وَقسَتْ فيهِ القُلوبُ ، وَتراكَمتِ الذُّنُوبُ عَلَى الذُّنوبِ ، وَضَعُفَ الإِيمانُ ، وَجفَّتْ يَنَابِيعُهُ في كَثِيرٍ مِنَ القُلُوبِ ، وَأَصْبَحَ الإِنْسَانُ يتَعرَّضُ لِضُغُوطٍ نَفْسِيَّةٍ خَطِيرَةٍ قَدْ

تُحَوِّلُهُ إلى نَارٍ مُشْتَعلَةٍ مِنَ الثَّوْرَةِ والغَضَبِ ، يَحْتَاجُ فِيها أنْ يَسْمَعَ قَوْلَ الرَّبِّ العَلِيِّ : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: من الآية١٣٤] ، وَيَحْتَاجُ فِيهَا أنْ يَقِفَ طَوِيلًا أمَامَ وَصِيَّةِ الحَبِيبِ النَّبيِّ ﷺ : « لا تَغْضَبْ ».

لكِنَّ الموضوعَ طَوِيلٌ يَحْتاجُ إلى تَفْصِيلٍ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ.

- فَمَا هِيَ أَنْوَاعُ الغَضَبِ وَآثَارُهُ ؟
- ومَا هِيَ أَسبَابُ الغَضَبِ ؟
- ومَا هُو عِلاجُ الغَضَبِ ؟
- وَهَل للتعَامُلِ مَعَ الغَضْبانِ فِقْهٌ ؟
- وَمَا هيَ ثَمَرَاتُ الكَفِّ عَنْ الغَضَبِ ؟
- وَهَل هُنَاكَ غَضَبٌ مَحْمُودٌ ؟

تتعَرَّفُ عَلى كُلِّ هَذَا مِنْ خِلالِ هَذَا البَحثِ النَّفِيسِ ، الذِي جَمَعَ بَيْنَ التَّأصِيلِ العِلْمِيِّ والمَنهَجِ التربَويِّ، بأسْلُوبٍ عَذْبٍ جَمِيلٍ ؛ لأخِينا الحَبِيبِ/ مُحَمَّد العَفِيفِي - جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الجَزَاءِ ، وَأَجْزَلَ لَهُ المَثُوبَةَ وَالعَطَاءَ - .

إِنَّه وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ ، وَصَلى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمدٍ وَعَلى آلِه وَصَحْبِهِ وَسَلَّم .

○ وَكَتَبَهُ أَبُو أَحْمَد مُحَمَّد حَسَّان○

القاهرة / ربيع الآخر / ١٤٢٤

من هجرة المصطفى ﷺ

ജ ജ ◊ ഇ ഇ



○ بيانٌ وكلمةُ شكرٍ وتقديرٍ ○

الحمدُ للهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله ﷺ ؛ وبعد :

○ فعلى الرَّغْمِ مما يشغلُ شيخَنَا محمَّد بنَ حسَّان - سدَّدهُ الكريمُ المنَّانُ بفضْلِهِ وكرمِهِ وإِحْسَانِهِ - مِنْ مسؤولياتٍ دعويةٍ على نطاقٍ واسعٍ في أرجاءِ البسيطة ؛ وذلك مما يُهِمُّ الشيخَ أهميةً كُبرى .

○ فلقدْ جعلَ الدعوةَ حياتَهُ ، والعلْمَ شغلَهُ وعمادَهُ وفؤادَهُ ؛ فنسألُ الله أَنْ يجعلَ ذلكَ في ميزانِ حسناتِهِ ، وأنْ يحفظَهُ منْ بين يديهِ ومنْ خلفِهِ ، وأنْ يصرفَ عنه كيدَ الكائدين ، وشرَّ الشِّرِّيرين ، وعداءَ المعتدين ، وحقدَ الحاقدين، وحسدَ الحاسدين[1] ، وأنْ يطرحَ فيه

(١) فلقد ترصَّد للشيخ - أطال الله بقاءه في الخير - ولدعوته ؛ طائفةٌ تنتسبُ إلى العلم وأهله - قد جالستُهم وتناقشتُ معهم - فوجدتهم - والله - يهرفون بما لا يعرفون - ويتبجَّحون بالحكم على مشايخنا ودعاتنا وعلمائنا - بلا ورع ولا علمٍ ؛ إنما هم نَقَلة ؛ وهم - والله - مسئولون محاسبون على كُلِّ فسادٍ به يُفسدون .

- وعليه - الصحةَ والعافيةَ - وأنْ يجعلَها في مرضاته - ، وأنْ يباركَ له في أهلِه وذويهِ ؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

○ أقولُ على الرغم من كثرةِ مشاغلِ شيخِنا محمدٍ - زادهُ الله بصيرةً - عرضتُ عليه كتابي في (« **ضوابطِ الغضبِ وعلاجِه** ») ؛ فرحَّب أيما ترحيب ، وأخذ الكتاب مني ؛ **وقال** : « نحن نخدمكم » فاستصغرتُ نفسي ! وهكذا عهدتُهُ - حفظهُ الله - متواضعًا صاحب أخلاقٍ عاليةٍ . أحسبهُ كذلك ولا أزكيهِ على الله .

فلمَّا أخذَهُ - حفظَه الله - قرَأه وراجَعَه ؛ **وقالَ لي** : « لقد قَرأتُ الكتَاب ودعَوتُ الله لكَ ، ومَا وجَدتُ أحَدًا كتَبَ في هذَا الموضوع بمثل هذَا الأسلوب » ؛ وهذا محضُ فضل ربِّي عليَّ؛ فجَزَاه الله عني خيَرَ الجزاء ، وأعظمَ له الأجرَ والمثوبةَ والعطاءَ ؛ على حُسْنِ ظنِّه ، وكرِيمِ خلقهِ ، وعظيمِ تواضعِهِ .

○ وفي خِضمِّ هذهِ الكلمة أحبُّ أن أُشيرَ إلى قضيةٍ أحتسبُ في بيانها وعرضِها الأجرَ والثوابَ منَ الله تَعَالَى ؛ ولستُ أهلًا لذلك البيان[1] ؛ لكنِّي لم أرَ أحدًا من إخواني تعرَّض لشرْحِها ؛ **فأقولُ وبالله**

---

(١) وهو واجبٌ تأديته نحو مشايخنا وعلمائنا - وفَّقهم الله وسدَّدهم - وليس =

التوفيق :

○ لقد حبا الله ﷻ شيخَنا مُحَمَّدًا - حفظه الله وسدَّده - بفصاحةِ لسانٍ، وقوةِ عرْضٍ وبيانٍ ، وبلاغةِ كلامٍ بلا تشدُّقٍ أَوْ إعظامٍ[(١)] .

○ والشيخُ محمدٌ - أثابه الله ورعاه - ربَّانيٌّ في دعوته، فقيهٌ في واقعِهِ ؛ ممتثلًا قولَ ربِّه : ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: من الآية٧٩] .

= ذلك من باب المجاملة - والله - والله يشهد على ذلك ؛ ولكن حين تفاقم الأمر ، وزاد – هؤلاء – الطينَ بلَّة ؛ رأيتُ من واجبي النَّصيحة لله ولرسولِهِ ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم .

ولكم تمنيتُ وتمنى الكثيرون ألاَّ يحدث مثل هذا !! وكنتُ قد كتبتُ هذا البيانَ قَبْلَ كتابي « الجَوَاهِرِ الحِسَانِ » ولكن رأيتُ أن أُبقي عليه هنا في مقدمة كتابي هذا لأهميته، والله الموفق.

(١) وقد سطرتُ تلك الكلماتِ؛ لأنني ما كنتُ أتخيَّل أنْ يكون هنا مدخلُ قدحٍ من بعض الطلبة ! في شيخنا - وفقه الله - ؛ فيقال - حسبنا وصلني - : « إنَّ الشيخ يتشدق ويتفيهق في خطابته و .. » إلخ هذا الهراء . وكذبوا !

○ قال الغزاليُّ - رحمه الله وغفر له - مبينًا التفيهقِ والتقعُّر :

« ولا يدخل في هذا تحسينُ ألفاظِ الخطابةِ والتذكيرِ من غيرِ إفراطٍ وإغرابٍ ؛ فإن المقصودَ منها تحريك القلوبِ وتشويقُها ، وقبضُها وبسطُها ، فلرشاقة اللفظِ تأثير فيه ؛ فهو لائق به .. الخ »؛ كما في (« الإحياء » ٣ / ١٩١ و ١٩٢).

○ لذا ؛

كان القبولُ من الله اه ، ومحبةُ الناسِ منجفلة إليه ؛ فهَدى اللهُ على يديهِ من الخلقِ عددًا لا يحصيهم إلا هو سبحانه وتعالى . وما ذلك إلا لصدقِ مُنَاهُ ، وصفاءِ رجاهُ ، نحسبه كذلك ولا نزكِّيه على الله .

○ ومنهجُ الشيخِ محمدٍ - سدَّده الله - في دعوتهِ واضحٌ لكلِّ أحدٍ قريبٍ وبعيدٍ منصف ! ، وهو المنهجُ السلفيُّ الذي سار عليه الصحابة الذين ربَّاهم رسول الله ﷺ وسار عليه التابعون وأتباعهم - الذين هم خير القرون -.

○ **والشيخُ لا يرى خروجًا على حاكمٍ ، ولا يُحبُّ إثارةَ قلاقلَ أو فتنٍ ، ولا يُؤيِّدُ مظاهراتٍ فارغةً** - ولطالما نبَّه على ذلك - **ولا يعرفُ الوقيعةَ في العلماءِ والمشايخِ والدعاة** .

○ **ويرى الشيخُ** أن التنبيه على خطأِ الآخرين أمرٌ شرعيٌّ ، وليس من الغيبةِ المحرَّمةِ - فليس كما رماهُ بذلك عددٌ من الإخوةِ هداهم الله - ؛ لكنَّ الشيخَ يفرِّق بين العامة الذين لا يحسنون[1] ؛ وبين طلبةِ العلم

(١) وقد أخرج البخاريُّ في (« **الصحيح** » ١٢٧) من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال : (**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ**) ؛ وفي مقدمة =

الذين يفهمون الأمور ، ويضعونها في نصابها ، فالطائفةُ الأولى تُفسدُ أكثرَ مما تُصلح إذا ما جَرَّحتَ أمَامَهم دَاعيةً أو شيخًا أو عالـمًا[1] ؛ بخلافِ ما إذا حرصَ حريصٌ على معرفةِ الحقِّ في طائفةٍ أو جماعةٍ أو أشخاصٍ معَيَّنين ؛ فهذا يجبُ أن يُبيَّن له الحقُّ من الباطل ، وأن تُوضَّح له الأمور والأخطاء والعيوب بعلمٍ وبصيرةٍ ؛ وليس على نحو الهوجاء وحبِّ الفتن . وهكذا يكون علاج الأخطاء ؛ وتبيين العِوج . والداعيةُ والعالمُ هو الذي ينظُر في الحالِ الذي أمامَه ، يُحقق المصلحةَ التي تتمشَّى مع الشرعِ وقواعدِ الدين ؛ فيُبين حيثُ يجبُ التبيين ، ويُعرِّض حيثُ يحسُن التَّعريض ؛ وصورُ التَّوجيهِ والإرشادِ والنصيحةِ كثيرةٌ ؛ كالتعريضِ والكنايةِ والتوريةِ ؛ فهناك توجيهٌ مباشرٌ ؛ وخطابٌ صريحٌ ؛ وتوجيهٌ غير مباشر[2] .

= (« صحيح مسلم » ص : ٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : « **مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً** » .

(١) فحينئذٍ يكفي في حق هؤلاء صنيعُ رسولِ الله ﷺ : « **مَا بَالُ أَقْوَامٍ** » ؛ لأن التصريح في بعضِ الأحيان قد يؤدي إلى شرٍّ أو فسادٍ عريضٍ يأباهُ الشرع ، وتأباه المصلحةُ الدينية .

(٢) وهناك رسالة طيبة نافعة في هذا المقام بعنوان : (**التوجيه غير المباشر**) للشيخ صالح بن حميد - حفظه الله - ؛ فلتُنظر فإنها مُفيدة . ط دار المسلم .

○ هذا كلُّهُ مع عدمِ إنكارِ مشروعيةِ علمِ الجرحِ والتعديلِ ، وَذِكْرِ أُناسٍ بأسمائِهم؛ تحذيرًا منهم ومن بدعهم وفسادِهم ، وليس هذا من الغيبة المحرمة ؛ كيف! والنبيُّ ﷺ قال : « **مَا أَظُنُّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا** »(١) .

وإنكارُ ذلكَ جهلٌ فاضحٌ ، وشرٌّ مستطيرٌ.

لكنْ كلُّ بابٍ من أبوابِ الدينِ له ضوابطُهُ وفقهُهُ وآدابهُ وأحكامهُ ، ويجب أن يُراعَىٰ كلُّ ذلك بما يُوافقُ الشرعَ والدينَ ، والمصالحَ والأغراضَ الشرعيةَ الصحيحة .

○ كلُّ هذا يعتقدُهُ الشيخُ - أثابهُ الله - ويعملُ به(٢) ؛ فإذا سُئلَ عن شخصٍ أجابَ بلا مجاملةٍ بما يدينُ لله به ، لا يخشى في الله لومة لائم .

○ ومع ذلك ؛ فنرى من تعرَّض للشيخ بالذَّم والقدْح بلا روِيَّةٍ ولا تثبتٍ ، وبلا ورعٍ ولا خشيةٍ ، والشيخُ مع هؤلاء أهلٌ للعفوِ والصفحِ ؛

---

(١) حديثٌ صحيحٌ . أخرجه البخاريُّ في (« **الصحيح** » ٦٠٦٧) .

(٢) وقريبًا جدًّا من كتابة هذه السطور ؛ تكلَّم الشيخُ على ما يجوز وما لا يجوز من الغيبة في درس من دروس يوم الأربعاء في مسجد التوحيد بمدينة المنصورة بمصر ؛ والتي يجلس للشيخ في تلك الدروس – المهمة – آلاف الإخوة والأخوات .

فقد قال قولةً كريمةً - سمِعَتْها أُذناي وَوَعاها قلبي - قال : « **هؤلاء - وإن - عصوا اللهَ فينا ؛ فنحنُ نطيع الله فيهم** » ؛ وقد جعلَ كلَّ من تكلم فيه بذمٍّ في حلٍّ ؛ فنسألُ الله أنْ يعفُو عنه يومَ القيامةِ جزاءَ عفوهِ وصفحِهِ عن إخوانِهِ .

○ ونقولُ لهؤلاء : اتَّقوا الله وراقِبوه ؛ وقبل أن تتكلَّموا تثبَّتوا ؛ ولا تكونوا نَقَلَةَ أَخْبَارٍ ؛ فكَفَى بالمرءِ إثمًا أنْ يُحدِّثَ بكلِّ مَا سمعَ .

○○ وللشيخ - وفقه الله وسدَّده - أنْ يمضي قُدمًا في دعوته بلا التفاتٍ إلى أقوالِ منْ لا يرقبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمة ؛ فكلامُ هؤلاءِ ليس بضائرِهِ شيئًا بإذنِ الله ما دامَ على الجادَّةِ والمنهجِ القويمِ ؛ والدعوةُ أهمُّ ؛ فلا تكف – أيها الشيخ المبارك – عن البلاغ لدين الله تعالى ؛ كما هي وصيةُ الشيخ الإمام ابن جبرين – رحمه الله تعالى – لك قبل موته بشهور قليلة ؛ فلقد نفع الله بك ، وحبَّب إليك قلوب الخلق ؛ حتى استمع لك القادةُ والوزراءُ ، والحُكَّامُ والملوكُ والأُمراءُ ؛ فكنت - بحقٍّ - واعِظَ الزَّمان ، وفارس الميدان ، وهذا اعتقادي فيك – والله يغفر لي – ؛ فلسْتُ أُزكِّيك على الله ؛ فالله حسيبُك . والكمال لله ، والعصمة لرسوله ومصطفاه صلَّى الله عليه وآله ومن والاه.

وأنت – يا شيخنا – تُذكِّرني بإمام أهل عَصْرِهِ في الوعظ ؛ ابن الجوزيِّ – طيَّب ربي ثراه – والذي قال فيه الذهبيُّ في « السير » (١٢/ ٥١٥) : « كان رأسًا في التذكير بلا مدافعة ، يقول النظم الرائق ، والنثر الفائق .. فهو حامل لواء الوعظ ، مع الشكل الحسَن ، والصوت الطَّيب ، والوقع في النفوس ، وحُسن السيرة ، مع التصوُّن والتجمُّل ، وحسن الشَّارة ، ورشاقة العبارة ، ولطف الشمائل ، والأوصاف الحميدة.. وكان ذا حظٍّ عظيم ، وصيتٍ بعيدٍ في الوعظ ، يحضر مجالِسَهُ الملوكُ والوزراءُ ، وبعضُ الخلفاء والأئمةُ والكبراءُ ، ولا يكاد المجلسُ ينقص عن ألوفٍ كثيرة » . انتهى المرادُ .

فلك الله يا شيخنا ، وحفظك الله ، وسدَّدك ، وأعانك ؛ فسِرْ على بركةِ الله ؛ في الدعوة إليه ، ونسأل الله ألَّا يحرمنا وإياك شرف الدعوة إليه ، وكرامة البلاغ عنه بحِقٍّ ؛ كما نسألُه – تعالى – أن يجعل لنا ذلك زادًا يومَ القدومِ عليه ، وأن يوفقنا جميعًا لكلِّ ما يحبُّه ربُّنا ويرضى ، وأن يأخذ بنواصينا إلى البرِّ والتقوى ، وأن يُلهمنا رشْدنا ، وأن يُطهِّرَ قلوبَنا من الحِقْدِ والحسدِ ، وأنْ يرزقنا الصدقَ والإخلاصَ في القولِ والعملِ والنيةِ .

وأنْ يجمعنا ومشايخنا ووالدينا في جناتٍ ونهرٍ في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ ، مع النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا .

وصَلى الله وسلَّم وبَاركَ على عَبده ونبيِّه محَمدٍ وآله وصَحبه ، والحَمد لله ربِّ العَالمين .

كتبه / أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ العَفِيفِي

منية سمنود ؛ بمصر . أَصْلَحَ اللهُ أَهْلَهَا.

௵௵◊௮௮

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا ، من يهدِه الله فلا مضلَّ له ، ومن يضللْ فلا هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله ؛ **وبعد :**

○ فأحمدُ ربيَ الله أنْ وفَّقني ويسَّر لي سُبلَ العلمِ وطلبَهُ والدعوةَ إليه ، وأسأله المزيد من هذا الخير وحب العلم وأهله والصبر عليه والسداد والتوفيق في الأمر كلِّه .

وأشْكُره سبحانه على امتنانه عليَّ بوالديْن فاضليْن شجَّعاني على المُضيِّ في هذا الطريق الكريم وأعاناني على أمر زواجي ؛ فأسأل الله أن يَرضى عنهما ويُرضهما عنِّي ، وأن يجْزِيهما عنْ إحْسَانِهما إليَّ إحْسَانًا وبِرًّا ورضْوانًا ، وأنْ يحشرني معهما في زمرةِ النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا .

○ **أما بعد ؛**

فتبعًا لسلسلةٍ شَرَعْتُ فيها - وأسأل الله فيها العون والتوفيق والإخلاص - تلك هي **سلسلةُ علاجِ الآفاتِ وذميمِ الصفاتِ في الأممِ والأفرادِ والجماعاتِ** .

وكانت عبارةً عن خطبٍ ألقيتُها في مسجدِ أبي بكرٍ الصديق ببلدتي - وغيره من المساجد التي أتجول فيها - قدَّمتُ من تلك السلسلة موضوعَ الغضبِ أسبابه وآثاره وعلاجه(١) ؛ ثم ثنَّيتُ بموضوعِ الكذبِ خطورته وعقوبته ؛ ثم عن الظلمِ صوره وحرمته وخطورته .

○ **وكان لموضوع الغضبِ أهميته وتأثيره على واقع النَّاس ؛ إذ لا أحد لا يغضب** ؛ فلاقى قبولًا - والفضلُ لله وحده -؛ عند إخواننا ممن أعرفهم وممن لا أعرفهم ؛ فكان ذلك دافعًا لي أن أسطِّر فيه رسالةً يعمُّ بها النَّفع أكثر وأكثر لجميع المسلمين ؛ ويكون ذلك علمًا أنتفع به بعد مماتي ؛ كما قال النبيُّ ﷺ : « **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ**

---

(١) وكان عنوانُه في خطبتي : (**أيها الغضبان .. لا تغضب**) وذلك يوم الثامن عشر من محرم لعام ١٤٢٤ هـ .

مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[1] ؛ فأسألُ الله القبول والإخلاص ، وأن يجعل هذه الرسالة في ميزان حسناتي ، وأن تكون سببًا لنجاتي من النار وفوْزي بالجنانِ مع من أنعمَ الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا .

○○ وقدْ حاولتُ وحَرَصْتُ أن يخرج هذا الموضوع في جزءٍ صغيرِ الحجمِ حتى يتسنَّى شراؤهُ واقتناؤهُ واطلاعُ أكبر عددٍ ممكنٍ من المسلمين عليه . لكن مع محاولتي ذلك لم أستطع تقييد القلم في بعض مواضيعِ الكتابِ وفصولِهِ ـ والله المستعان ـ ؛ وقد وسمتُهُ بـ : (**إزالة الصخب بمعرفة فقه وضوابط الغضب في الكتاب والسنة الصحيحة مع فقه التعامل مع الغضبان**) .

وأسألُ الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد أن يغفر لي زللي، وأن يستر عيبي، وأن يمحو خطأي، وأن يرفع درجاتي، وأن يُثَقِّل موازيني، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم . وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه

---

(١) أخرجه مسلمٌ في (« **الصحيح** » ١٦٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ .

أجمعين ؛ والحمدُ لله رب العالمين .

○ وكتبه أبو عبد الله محمد بن العفيفى ○

٣ ربيع الثاني لعام ١٤٢٤

من هجرة المصطفى ﷺ

ෆෆ◊ෆෆ

● ذمُّ الغضبِ في الجملة ●

الغضبُ في الجملةِ مذمومٌ ، وصفةٌ قبيحةٌ ، وخلُقٌ مكروهٌ ، وداءٌ وبيل ، وشرٌّ مستطير ، ومرضٌ فتَّاك ، ولِـمَ لا يكون كذلك؟!

وهو من نزغِ الشيطان ، والشيطان خُلقَ من نار(١) .

○ لذا ؛ فإن الغضب شعلةٌ مقتبسةٌ من النار(٢) ؛ والنارُ من شأنها الطيش والاستعار ، والحركةُ والاضطراب ، والتلظي والاشتعال(٣) ؛

---

(١) حيث قال اللعينُ عن نفسه : ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: من الآية١٢].

(٢) وذلك مأخوذٌ مما رواه أبو داود وغيره – بإسنادٍ فيه مجهولان – من حديث عطية السعديِّ مرفوعًا ؛ ولفظه : « إِنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ نَارٍ ... الحديث » .
● وله شاهدٌ : عند الترمذي من حديثِ أبي سعيد الخدري مرفوعاً ؛ وفيه : « أَلَا إِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ في قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ... الحديث » .
○ قُلْتُ : وإسنادُه ضعيف ؛ ففيه ابن جدعان ، كما سيأتي - إن شاء الله في موضعه - الكلام على الحديثين .

(٣)● قال العلامة ابن القيم في (« الفوائد » ص : ٢٣٥ الكتب العلمية) : « ولهذا تُشَبَّه النفس بالنار في سرعة حركتِها ، وإفسادها ، وغضبها ، وشهوتها من النار ، والشيطان من النار» .

فمن استفزته نارُ الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان[١]، وهو - أعني الغضب - مفتاحُ كلِّ شر ؛ بل هو جماع الشر كلِّه[٢] ؛ كما أن التحرُّزَ منه جماعُ الخير كلِّه ، والصبرُ عليه أشدُّ وأصعب من مجاهدةِ العدو .

○ فاحذر الغضب ، واتق أسبابه ؛ فإنه من أخلاقِ الناقصين ؛ فالمريضُ أسرعُ غضبًا من الصحيح ، والمرأةُ أسرعُ غضبًا من الرجل ،

---

(١) (« **الإحياء** » ٣/ ٢٥٦ دار الحديث) .

(٢) ففي « **مسند الإمام أحمد** » (٣٨/ ٢٣٦ الرسالة) **بإسنادٍ صحيح** من حديث رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله ! أَوْصِنِي ، قَالَ: « **لاَ تَغْضَبْ** » ، قَالَ الرَّجُلُ : فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ .

● **قال ابن القيم** رحمه الله في (« **الفوائد** » ص : ٦٧) : « دخل الناسُ النارَ من ثلاثة أبواب :

١- بابُ شبهةٍ أورثت شكًّا في دين الله.

٢- وبابُ شهوةٍ أورثت تقديم الهوى على طاعتِهِ ومرضاتِهِ .

٣- وبابُ غضبٍ أورث العدوان على خلقِهِ » ثم أورد أصول الخطايا .

وفي (« ص : ٩٣ ») **أورد أصول المعاصي ، وهي ثلاثة :**

١- تعلقُ القلبِ بغير الله .

٢- وطاعةُ القوةِ الغضبية .

٣- القوةُ الشهوانية .

● وقال أبو حاتم ابن حبان في « **روضة العقلاء** » (ص : ١٤٣) :

« لو لم يكن في الغضب خصلةٌ تُذم إلا إجماع الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأي له؛ لكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقته بكل سبب ».

والصبيُّ أسرعُ غضبًا من الرجلِ الكبير ، والشيخُ الضعيفُ أسرعُ غضبًا من الكهل ، وذو الخلقِ السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل الكريمة .

○ وليس من عادة الكريم؛ سرعة الغضب والانتقام ؛ بل إذا قدر غفر ، وإذا رأى زلةً ستر.

فإن كنت تبغي بالعقابِ تشفيًا

فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر

فإياك والغضب ؛ فكما قال بعضهم : رأسُ الحُمقِ الحدَّة ، وقائده الغضب .

والذي يجبُ على العاقلِ إذا أمكنه الله تَعَالَى أن لا يجعل الانتقام عادته ، والعقوبةَ شيمته ، وإن كان لا بد من العقوبة والانتقام ، فليرفق في انتقامه[1] . إلا أن يكون حدًّا من حدود الله تَعَالَى ؛ كما قَالَ تَعَالَى عن

(١) وأن لا يعجل ؛ **قال الأوزاعيُّ** رحمه الله : « كان عُمر بنُ عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجُلًا حبسهُ ثلاثًا ، ثم عاقبه ؛ كراهية أن يعجل في أول غضبه » ؛ كما في (« **السير** » ٥ / ١٣٣) .
وكان من وصايا مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز قوله : « وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك ؛ فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب ، واحبس =

الزاني والزانية : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: من الآية٢] .

قال القرطبيُّ في « تفسيره » لهذه الآية : « أي : لا تَمْتَنِعوا عن إقامة الحدود شفقة على المحدود ، ولا تخففوا الضرب من غير إيجاع ؛ وهذا قول جماعة أهل التفسير ».

● وفي « صحيح البخاري [(١)] » من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ

= عقوبتك حتى يسكن غضبك ، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب ، مطفأ الجمرة ؛ فإنَّ أول من جعل السجن كان حليمًا ذا أناة ». (« نهاية الأرب » ٦/ ٤٠) ط الكتب العلمية .

(١) (برقم : ٦٧٨٠) .

● قال الحافظ في « الفتح » (١٢ / ٨٠) : « وفي هذا الحديث من الفوائد : جواز التلقيب ، وهو محمول هنا على أنه كان لا يكرهه ، أو أنه ذكر به على سبيل التعريف ؛ لكثرة من كان يسمَّى بعبد الله ، وفيه الردُّ على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه والأمر بالدعاء له . وفيه أن لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب . وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ، ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدًا بما إذا ندم على وقوع المعصية وأقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور ، بخلاف من لم يقع منه ذلك ؛ فإنه يُخشى عليه بتكرار الذنب أن يُطبع على قلبه شيء حتى يُسلب منه ذلك ؛ نسأل الله العفو والعافية » .

يَوْمًا فَأُمِرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ ؛ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ».

فلا مجاملة ولا محاباة عند إقامةِ الحدود على الأشخاصِ ؛ ولكن مع عدم الانتقاص أو التجاوز ؛ فمع جلْدِ هذا الرجل بما صدر منه ، أثبتَ له رسولُ الله ﷺ محبة اللهِ ورسولِه ؛ وهذا التصرف النبوي فيه إرشادٌ إلى ضبط النفس في الإنكارِ، وتصحيحِ خطأ الآخرين .

لأن بعض الناسِ إذا أراد أن يُصحح خطأً لإنسانٍ ؛ قد يغضب غضبًا يجعلهُ يتعدى في الإنكار ، وفي تصحيحِ الخطأ وتقويمه ، فيُفسد أكثر مما يُصلح ، وهذا يحملُ المخطئ على عدم قبول النصيحة ، والانقياد للتوجيه والتصحيح .

وهذا بخلافِ المخطئ الذي قد وُجهت إليه النصيحةُ برفقٍ وأدبٍ ، ولكنه يُعرض ، ويرفض ، ويُعاند ، ولا يذعن؛ فهذا يمكن تعزيره ، بل يجوز الدعاءُ عليه - بعد استفراغ الجَهْد معه في تقويمه ، وإعانته على ترك خطئه أو باطله - ؛ ويؤيدُ ذلك :

● ما أخرجه مسلم في « **الصحيح**[1] » مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه (أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِمَالِهِ ، فَقَالَ : « **كُلْ بِيَمِينِكَ** ». قَالَ : لاَ أَسْتَطِيعُ ، قَالَ : « **لاَ اسْتَطَعْتَ** ». مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ . قَالَ : فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ) .

○ **قال النوويُّ** رحمه الله (« **شرح مسلم** » ١٣/ ١٩٢) :

« وفى هذا الحديث : جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر ، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل ، واستحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه ؛ كما في حديث عمر بن أبي سلمة الذي بعد هذا » .

يقصد حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ؛ فَقَالَ لِي : « **يَا غُلاَمُ : سَمِّ اللهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ** ». وفي رواية : قَالَ : أَكَلْتُ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلْتُ آخُذُ مِنْ لَحْمٍ حَوْلَ الصَّحْفَةِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **كُلْ مِمَّا يَلِيكَ** » . ورواه البخاريُّ كذلك برقم : (٥٣٧٦ - ٥٣٧٨) .

❀❀◊❀❀

(١) (برقم : ٢٠٢١) .

● مغبَّةُ سرعةِ الغضب ●

● ومراتب الغضب[(١)] ●

لقد خلق الله الخلقَ على طبقاتٍ شتَّى :

● فمنهم البطيء الغضب سريع الفيء والرجوع .

● ومنهم سريع الغضب سريع الفيء. فتلك بتلك .

● ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء .

ألا وإنَّ خير هؤلاءِ هو ؛ بطيءُ الغضب ، سريعُ الفيء ، والرجوع ، والأوبة .

وإنَّ شرَّ هؤلاء هو؛ سريعُ الغضب ، بطيءُ الفيء[(٢)] .

---

(١) وسوف يأتي - إن شاء الله - في أواخر الكتاب بابٌ مشابهٌ لهذا الباب ؛ لكن بصورةٍ أوسع ، وتفصيلٍ أشمل .

(٢) وقد ورد ذكر هذه المراتب في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ الذي أخرجه الترمذي في (« السنن » ٢١٩١) في سياقٍ طويلٍ ؛ **وإسناده ضعيف لأجل** علي بن زيد بن جدعان - كما يأتي - وقلتُ هناكَ بأن له طريقًا أخرى عند السمرقندي في (« **تنبيه الغافلين** » ص : ١٢٧) فلعلَّهُ به يُحسَّن ؛ **وقد قال الترمذيُّ** فيه : « حديث حسن صحيح » .

○ **قال ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص : ١٤١) :**

« سرعة الغضب من شيم الحمقى ، كما أن مجانبته من زي العقلاء ، والغضب بذر الندم ؛ فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح ما أفسد به بعد الغضب » .

○ فإياك وسرعةَ الغضب وشدَّته ؛ فإن شدَّة الغضبِ مفسدةٌ ومهلكة لفؤاد الحكيم؛ وإنَّ أقلَ الناسِ غضبًا أعقلهم .

لكن إن كان للدنيا كان دهاءً ومكرًا ، وإن كان للآخرة[١] كان حلمًا وعلمًا .

○ وإياك - كذلك - وعزةَ الغضب ؛ فإنها تُصيِّرك إلى ذِلةِ الاعتذار والندم[٢] ... وتؤول بك إلى التقاطع ، وإفساد ذاتِ البين ، ومنع الرفق ... الخ.

---

(١) أي : ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة ؛ فهذا هو المحمود - وسيأتي ذلك في أنواع الغضب - .

(٢) وكما قال بعضهم :

« لذةُ التشفِّي يلحقُها لذةُ النـدمِ ولذةُ العفوِ يلحقُها حمدُ العاقبةِ ».

○ **وقال الشاعر :**

وإذا ما اعتراك في الغضبِ العزَّ ةُ فـاذكر تـذلـل الاعتـذار

○ بل ويتولَّد من ذلك كذلك الحقدُ ، والحسد ، والكبر ، وعزة النفس ، وهذا كلُّه مما يُسعد اللعين إبليس !!

○ فالعبد إذا غضب فرح الشيطان وسُرَّ ؛ لأنه في حالِ غضبهِ لا يعلم ما يقولُ ، ويعمل بما يندم عليه حين يهدأ ويسكن عنه الغضب .

فالغضب مدخلٌ من مداخلِ الشيطان ؛ وهو أعدى الأعداء للإنسان ؛ والله تَعَالَى يقول - محذرًا عباده - : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يس ٦٠ : ٦٤] .

● وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[الإسراء: ٥٣].

● وقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[القصص: ١٥].

● وقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[المائدة:

٩١].

● وقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فاطر:٦].

والمعنى ؛ كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في (« التفسير ») :

« أي : هو مبارز لكم بالعداوة ، فعادوه أنتم أشدَّ العداوة ، وخَالِفوه وكَذِّبُوه فيما يغرُّكم به ، ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ أي : إنما يقصد أن يُضلَّكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير ؛ فهذا هو العدو المبين !! فنسأل الله القويَّ العزيزَ أن يجعلنا أعداء الشيطان ، وأن يرزقنا اتباع كتابه ، والاقتفاء بطريق رسوله ؛ إنه على كلِّ شيءٍ قدير ، وبالإجابة جدير . وهذه كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠ ﴾ [الكهف: ٥٠] ».

● وفي « صحيح مسلم[1] » من حديث جَابِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ

---

(١) (برقم : ٢٨١٢) .

النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ ».

فالشيطان متخصصٌ في إيقاد العداوات وإشعال الخصومات !!!

○ وأخيرًا - وليس آخرًا - إنَّ هذا الخلُق الذميم - في الجملة - من سمومِ إبليس اللعين التي يبثها في نفس الإنسان ، ويُحركها فيه في كلِّ وقت ، وفى كل حين؛ و « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ »(1) في العروق. وفي رواية : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنِ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ » .

فاتضح من ذلك أن الغضبَ داءٌ من أعظمِ الأدواء ، وقبيحةٌ من أعظمِ القبائح إذا كان مرادًا للنفس، وانتصارًا لها؛ وهذا مزيدُ بيانٍ لذلك :

---

(١) قطعةٌ من حديث صحيح .
أخرجه البخاريُّ في (« الصحيح » ٣٢٨١ ، ٢٠٣٥) ومسلمٌ في (« الصحيح » ٢١٧٤) .
○ قال الحافظُ في « الفتح » (٣٢٨/٤) : « قولُه : (ابْنِ آدَمَ) المراد جنس أولاد آدم ؛ فيدخل فيه الرجال والنساء ؛ كقولِه : «يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ » ، وقوله : «يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ » بلفظ المذكر إلا أن العرف ه ، فأدخل فيه النساء » .

● ذمُّ الغضبِ في غيرِ الحق ●

أخي وأختي في الله ؛

لقد ذمَّ الله سبحانه الغضب في كتابِه ، وأثنى على من كظمَ غيظَه ؛ فقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ۝٣٧ ﴾ [الشورى:٣٧] ؛ أي : سجيَّتُهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ، ليس سجيتهم الانتقامَ من الناس[1].

● وقَالَ تَعَالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ[2] ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

---

(١) قاله ابن كثير في تفسيرها .

(٢) أي : الذين يكتمون غضبهم ؛ فإذا غضبَ أحدُهم ملك نفسَه ، وكظمَ غيظَه، ولم يتعدَّ على أحدٍ بموجبِ هذا الغضب.(« شرح رياض الصالحين » باب : ٧٣) للعلامة ابن عثيمين رحمه الله .

ولقد بوَّبَ أميرُ المؤمنين في الحديث ؛ الإمامُ البخاريُّ - طيَّب الله ثراه - في « **الصحيح** » بابًا **قال فيه** : (بابُ الحذرِ من الغضب) . ثم أورد ذلكم الإمام الآيتين المتقدمتين .

● قال الحافظُ في (« **الفتح** » ١٠/ ٥٣٥) :

« وليس في الآيتين دلالة على التحذير من الغضب ؛ إلا أنه لما ضمَّ من يكظمُ غيظَه إلى من يجتنب الفواحش كان في ذلك إشارة إلى المقصود ».

● **قلتُ** : وقد استدلَّ الغزالي ﷺ في (« الإحياء » ٣/ ٢٥٧) في بيان ذم الغضب بقوله تَعَالَى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: من الآية٢٦] ، **ثم قال** : « إن الله ذمَّ هذه الحميَّة الصادرة عن الغضب بالباطل ، ومدحَ الله المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة » انتهى بمعناه .

فالأصلُ في الغضبِ - ما تقدَّم - ؛ أنه صفةٌ ذميمة ، وخُلُقٌ قبيح[(١)] ؛ حتى عدَّه وهبُ بن منبه اليماني[(٢)] ؛ وهو من ثقاتِ التابعين ؛ وابن قيم

---

(١) ثم إن معناهُ ؛ غليانُ أو ثوران دم القلب لطلب الانتقام . انظر (« **المفردات** » للراغب ص : ٣٦١). (وبتعبير آخر ؛ هو : تغيُّر يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفي في الصدر ؛ وهو في اللغة « اشتداد السخط ») .

(٢)كما في (« **الإحياء** » ٣/ ٢٦٠) .

الجوزية ـ رحمهما الله تَعَالَى ـ ؛ عدًّا ذلك من أركان الكفر ؛ فقال ابن القيم[1] :

« أركان الكفر أربعة :

١- الكبر .

٢- والحسد .

٣- والغضب .

٤- والشهوة » . ثم قال :

« فالكبرُ يمنعه الانقياد ، والحسدُ يمنعه قبولُ النصيحة وبذلُها ، والغضبُ يمنعه العدل[2] ، والشهوةُ تمنعه التفرغ للعبادة » .

وقد أَلَّف الحافظ ابن أبي الدنيا رحمه الله كتابًا سماهُ : « ذم الغضب » .

إلا أنَّ هناك غضبًا ـ غير ذميم ـ يحبُّه الله ويرضاهُ ؛ وبيانُهُ فيما يلي :

---

(٣) « الفوائد » (ص : ١٧٧).

(٤) قال ابن القيم في « الفوائد » (١٧٧) : « وإذا انهدم ركنُ الغضب ؛ سهل عليه العدل والتواضع » .

● أنواعُ الغضب ●

الغضبُ نوعان ؛ كما قال أهلُ العلم ؛ فقد قال ابن عرفة ؛ كما في (« اللسان » ص : ٣٢٦٣) :

« الغضبُ من المخلوقين ، شيءٌ يُداخل قلوبهم ، ومنه محمودٌ ومذمومٌ ، فالمذموم ما كان في غير الحق ، والمحمود في جانب الحق والدين » ونحوهُ في (« **النهاية** » ٢/ ٣٧٠ لابن الأثير) .

● **قلت** : هذا بالنسبة للخلق ؛ أما ما يتعلق بالخالق تَعَالَى ؛ فهناك غضبٌ يصدُرُ من ربِّ العزَّة سبحانه ؛ وهو صفة من صفاته ، نثبتها على الوجه اللائق به - وسيأتي بيانٌ لهذه الصفةِ في نهاية الكتاب - والله الموفق.

ꕥꕥ ◊ ꕥꕥ

● النوعُ المذمومُ من الغضب ●

فكما تقدَّم ؛ فالغضبُ منه ما هو محمودٌ ، ومنه ما هو مذمومٌ ، وسوف نعرِض لهذا الثاني بشيءٍ من الإيضاح :

● **نوعٌ يُذمُّ بالكلية ؛ في غيرِ ذاتِ الله تَعَالَى :**

وهو ما إذا كان انتقامًا ، أو تشفيًا ، أو انتصارًا للنفس ، وغضبًا لها ، لا لله تَعَالَى [1] ؛ فهذا النوع مذمومٌ على كلِّ حال ، وله ثمراتهُ المُرّة ؛

---

(١) فعلى المرءِ أن يراجع نفسه هل غضبهُ لله ، وفي الله ، أو هو لنفسه ولشهواته، ولرضا الخلق، أو حميةً وعصبيةً لقريبه أو صديقهِ أو أستاذهِ ومعلمه ؟!!
وفي « صحيح مسلم » (١٨٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « **مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْـجَمَاعَةَ ، فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ** » . وعُمِّيَّة : الأمر الأعمى ، لا يستبين وجهه .
« وإن من ضعف الحمية الدينية لدى كثيرٍ منا أنك ترى الشخص يغضب لنفسه إذا سبّه أحد ، ولا يغضب لدين الله إذا اعتدى على جنابه أحد ، أو تراه يُدافع عنه باستحياءٍ وضعف ، فإذا كان الدينُ أغلى عندنا من ذواتنا ، وجب علينا أن ننتصر له ، ونحامي عنه ، ونغضب له أكثر مما نغضب لأنفسنا ، وننتصر لها » . انظر : (« **الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس** » للمنجد - سدده الله - ص : ٢٦و٢٧) .

فحالُ القلبِ في الاضطراب - عند هذا النوع - أشدُّ من حالِ السفينة عند اضطراب الأمواج في لُجَّةِ البحر[١] ، وحيث كذلك يظهر الغضب على أعضاءِ الإنسان ، وعلى كلامهِ ، وفعالهِ .

بل لو نظر الإنسانُ إلى نفسهِ حال غضبهِ لرأى قُبح صورتِه ، واستحالةِ خلقتهِ ، ووقتئذٍ يسكنُ غضبهُ حياءً من قبحِ ما اطلع فيه على نفسهِ .

○ فإياك ومغبةَ الغضب ، وآثارَهُ السيئة ، ومخاطرَهُ القبيحة ؛ ومن **تلك الآثار ما يلي :**

ꕥꕥ◊ꕥꕥ

(١) **قال الغزالي في (« الإحياء » ٣ / ٢٦٢) :**
« وبالحقيقة ؛ فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالًا ، وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظًا ، إذ في السفينة من يحتالُ لتسكينها ، وتدبيرها ، وينظر لها ويسوسها ، وأما القلب ؛ فهو صاحب السفينة ، وقد سقطت جبلته ، إذ قد أعماهُ الغضبُ وأصَمَّه » .

● أثرُ الغضبِ على اللسان ●

● **أما أثره على اللسان** ؛ فيقع بسببه كثيرٌ من الأقوال المُحرَّمة (كالسبِّ ، والشتمِ ، والقذفِ ، واللعنِ ، ونحو ذلك) ؛ وكالأَيمان التي لا يستطيعُ الإنسان أن يتحملها بعد ذلك ، أو لا يجوز التزامها شرعًا .

● ونوردُ هنا حكمًا مختصرًا يتعلقُ **باليمين حال الغضب** :

○ أقول : لقد بوَّب الإمام البخاري في (« **الصحيح** » مع الفتح ١١/ ٥٧٣) بابًا في كتاب « **النذور** » بعنوان : « بابُ اليمين فيما لا يملك، وفي المعصية ، وفي الغضب » . واستدلّ لذلك بثلاثة أحاديث ؛ منها ما رواهُ[(١)] من حديث زهدم قال : « كنا عند أبي موسى الأشعري، فقال: أتيتُ رسول الله ﷺ في نفرٍ من الأشعريين، فوافقتُهُ ، وهو غضبان ، فاستحملناه ، فحلف أن لا يحملنا ، ثم قال : « **وَاللهِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَتَحَلَّلْتُهَا** » .

---

(١) في (« **الصحيح** » برقم : ٦٦٨٠) .

ففي هذا الحديث دليلٌ على أن يمين الغضبان واقع ، وفيه كفارة .

○ **قال ابن بطال؛ كما في (« الفتح » ١١/ ٥٧٥):**

« في حديث أبي موسى الرد على من قال إن يمين الغضبان لغو »[(١)] .

● وأيضًا من تلك الفلتات التي تصدرُ من الإنسانِ حالَ غضبهِ ؛ طلاق الزوجة ، والدعاء على الأولاد ، والأموال ، والأهل ؛ بل حتى على نفسه !!

● وقد يحملُ الغضبُ الإنسان على أن يقول كلمة الكفر؛ فيسب الدين، أو يسب ربَّه العظيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● ومنهم من يتألَّى على الله تَعَالَى ؛ فيحلف على أخيه فيقول : والله لا يغفر الله لك .. ونحو ذلك ، وهو في ذلك مُتقوِّلٌ على الله بغير علم ، بل إنه يستحق العقوبة من الله له ؛ ففي « **صحيح مسلم**[(٢)] » من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدّث : « **أَنَّ رَجُلاً قَالَ : وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ**

---

(١) أشار الحافظُ في (« **الفتح** » ١١ / ٥٧٣) إلى رواية أخرجها الطبراني في « **الأوسط** » من حديث ابن عباس رفعه : (**لَا يَمِينَ فِي غَضَبٍ** ...الحديث) ؛ لكن كما قال الحافظ إن: « **سنده ضعيف** ».

(٢) (برقم :٢٦٢١) ، وانظر: (« **صحيح البخاري** » ٢٧٠٥، و « **مسلم** » ١٥٥٧).

لِفُلاَنٍ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى[١] عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » . أَوْ كَمَا قَالَ .

فالإنسانُ - في هذه الحال النكد - مؤاخذٌ على قولهِ ، ومحاسبٌ على لفظهِ ؛ فإن طلَّق امرأته فقد وقع طلاقُهُ[٢] ، وإن دعا على أولاده ، أو

---

(١) أي يحلف ؛ قال **النوويُّ** في « **شرح مسلم** » (١٦ / ١٤٧) : « وفيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها ، واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر ، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر ، ويتأول حبوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته ، وسمي إحباطًا مجازًا ، ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر أوجب الكفر ، ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا ، وكان هذا حكمهم ».

(٢) في الراجح - والعلم عند الله - ؛ قال **الحسن البصري** رحمه الله : « لقد بيّن الله لئلا يندم أحدٌ في طلاقٍ كما أمره الله » فسواء كان الشخص غضبانًا أو غير غضبان فإن طلاقه واقع ؛ راجع « **جامع العلوم والحكم** » لابن رجب (ص : ٣٧٥ الرسالة) ؛ لكن يرى بعض أهل العلم أنه إن غلب الغضب على صاحبه ، فأخرجه عن وعيه وإدراكه ؛ ففي هذه الحالة يرون أن طلاقه غير واقع كحالِ المكره.

- **قال الشيخ العلامة ابن عثيمين** رحمه الله في (« **شرح الرياض** » ٢/ ٤٣٥) :

« ولهذا كان القولُ الراجحُ أن الإنسان إذا غضب حتى لا يملك نفسه ، ثم طلَّق زوجته ، فإنها لا تطلق ، لأن هذا حصل عن غلبة ، ليس عن اختيار ، والطلاقُ عن الغلبة ؛ لا يقع كطلاق المُكرَه » . وهذا رأى **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله ؛ كما نقله عنه تلميذُهُ البار **ابن القيم** رحمه الله في (« **الزاد** » ٥/ ٢١٥ فراجعه) .

أمواله ، أو حتى على نفسه ؛ فوافق ذلك ساعة إجابة استُجيبَ دعاؤهُ .

● ففي « صحيح مسلم[١] » من حديث جابر ﷺ قال :

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْـمَجْدِيَّ ابْنَ عَمْرٍو الْـجُهَنِيَّ . وَكَانَ النَّاضِحُ[٢] يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْـخَمْسَةُ ، وَالسِّتَّةُ ، وَالسَّبْعَةُ ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ[٣] رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ ، فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ ، ثُمَّ بَعَثَهُ ، فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ[٤] . فَقَالَ لَهُ شَأْ[٥] لَعَنَكَ اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ هَذَا اللاَّعِنُ بَعِيرَهُ ؟». قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ الله! قَالَ : « انْزِلْ عَنْهُ ، فَلاَ تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ . لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّـهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ ،فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ ».

---

(١) (برقم : ٣٠٠٩) . وقد بوَّب النووي له بقوله : (باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر) .

(٢) الناضح : هو البعير الذي يستقى عليه .

(٣) **قال النوويُّ** :

« وأما العقبة بضم العين ؛ فهي ركوبُ هذا نوبة ، وهذا نوبة » ودارت عقبة رجل ، أي : جاءت نوبته ووقت ركوبته .

(٤) أي : تلكأ وتوقف .

(٥) كلمة زجر للبعير ؛ **قاله النوويُّ** (١٨/ ١٣٨) .

● وفي « صحيح مسلم[١] » من حديث أم سلمة قالت : « دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ[٢] ، فَأَغْمَضَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ ». فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ . فَقَالَ : « لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ».

● قال ابن رجب رحمه الله في « جامعه » (ص : ٣٧٣) :

« فهذا كلهُ يدل على أن دعاءَ الغضبان قد يُجاب إذا صادف ساعة إجابة ، وأنه يُنهى عن الدعاء على نفسه ، وأهله ، وماله في الغضب » .

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (« عند قول الله تَعَالَى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١ ﴾» [الإسراء:١١]) :

« يخبر تَعَالَى عن عجلة الإنسان ودعائه في بعضِ الأحيان على نفسه ، أو ولده ، أو ماله بالشر ؛ أي بالموت ، أو الهلاك ، والدمار ، واللعنة ، ونحو ذلك ، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه ؛ كما قال الله تَعَالَى : ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ

---

(١) (برقم : ٩٢٠) .
(٢) أي : شخَص بصرُه ، وارتفع .

إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [يونس: من الآية ١١] ، وكذا فسره ابن عباس ومجاهد ، وقد تقدَّم في الحديث : « **لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ...** » ، وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقهُ وعجلته، ولهذا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ » انتهى .

●● وقال في تفسير قوله تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [يونس: من الآية ١١] : « يخبر تَعَالَى عن حلمه ، ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم وأموالهم وأولادهم في حالِ ضجرهم وغضبهم ، وأنه يعلم منهم عدم القصد بالشر إلى إرادة ذلك ، فلهذا لا يستجيب لهم ، والحالة هذه ، لطفًا ورحمة ، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء . ولهذا قال : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [يونس: من الآية ١١] ؛ أي : لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك لأهلكهم ؛ ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك ؛ كما جاء في الحديث ... عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ...** » - ثم قال - : « وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : هو قولُ الإنسان لولدِه أو

مالِه إذا غضب عليه : « اللهم لا تبارك فيه والعنه » فلو يعجِّل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب لهم في الخير لأهلكهم » انتهى .

● قُلْتُ : وذلك محمولٌ على الغضبِ الشديدِ الذي لا يدري الإنسانُ فيه ما يقول ؛ بحيث لا يعقل ولا يعي ؛ أما إن كان غضبُه لا يُخرجه عن وعيِهِ وتصوُّره ؛ فهذا بلا شك مؤاخذ - كما تقدم - وكما هو واضح من كلامِ الحافظ ابن كثير - رحمه الله تَعَالَى - والله أعلم في قوله المتقدم : (.. وأنه يعلم منهم عدم القصد .. الخ).

ﮔﮔ ◊ ﮔﮔ

● أثرُ الغضبِ على الأعضاء ●

●وأما أثرُه على الأعضاء والجوارح ؛ فالضرب ؛ والتهجم ، والتمزيق، والقتل[١] ؛ فإن عجز عن التشفي والانتقام رجع عليه غضبه ، فمزَّق ثوبه ، وضرب نفسه ، أو لَطم خدّه ، أو كسر إناءه ، أو أحرق ثيابه ، أو ضرب بيده الأرض ، أو ضرب أمّه ، أو عقَّ أباه ، أو .. فالغضبُ يؤثر على الإنسان حتى يجعله يتصرَّف تصرُّف المجانين ، وتعاطِي فعل المجانين[٢] .

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في « زاد المعاد » (٢/ ٤٦٣) : « ولما كانت المعاصي كلها تتولد مِن الغضب والشهوة ، وكان نهايةُ قوةِ الغضبِ القتل ، ونهايةُ قوةِ الشهوة الزِّنى ، جمع الله تعالى بين القتل والزِّنى ، وجعلهما قرينين في سورة الأنعام، وسورة الإسراء ... » .

(٢) قال ابن القيم في « الفوائد » (ص : ١٧٨) :
« فالغضب مثل السبع إذا أفلتهُ صاحبه بدأ بأكله » .
وقال : « إذا اقتدحت نار الانتقام من نار الغضب ابتدأت بإحراق القادح ، أَوْثِقْ غضبك بسلسلة الحلم ، فإنه كلب إن أفلت أتلف » .(« الفوائد » ص: ٥٠ و ٥١) ط دار الكتب العلمية .

● ففي « صحيح مسلم »[١]: من حديث وائل بن حجر قال: إِنِّي لَقَاعِدٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؛ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَقُودُ آخَرَ بِنِسْعَةٍ[٢] فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا قَتَلَ أَخِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَقَتَلْتَهُ؟ ». فَقَالَ: إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَعْتَرِفْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ. قَالَ: نَعَمْ. قَتَلْتُهُ. قَالَ: « كَيْفَ قَتَلْتَهُ؟ ». قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَهُوَ نَخْتَبِطُ[٣] مِنْ شَجَرَةٍ، فَسَبَّنِي، فَأَغْضَبَنِي، فَضَرَبْتُهُ بِالْفَأْسِ عَلَى قَرْنِهِ، فَقَتَلْتُهُ.

فها أنت ترى قتلًا نشأ بين رجالٍ بسبب ساعة غضب!!!

○ ثم أثناء الضرب والتشاجر عند الغضب؛ لا يدري الإنسانُ ما حولَهُ؛ فلا يدري ما يُقال له، ولا يستطيع أن يفهم أو أن يستفيد من موعظة أحد من شدةِ تأثير الغضب عليه:

● روى مسلمٌ في « الصحيح[٤] » من حديث: أبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه:

---

(١) (برقم: ١٦٨٠).
(٢) هي حبلٌ من جلود مضفورة، وَقرنُه: جانب رأسه.
(٣) أي: يجمع الخبط، وهو ورق الثمر؛ بأن يضرب الشجر بالعصا، فيسقط ورقه فيجمعه علفًا.
(٤) (برقم: ١٦٥٩).

« كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِي بِالسَّوْطِ ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي : « اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ! ». فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ[1] . قَالَ : فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ الله ﷺ ؛ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ : « اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ! اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ! ». قَالَ : فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي ، فَقَالَ « اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلاَمِ ». قَالَ : فَقُلْتُ : لاَ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

● وفي رواية[2] : « قال : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِي ، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: « اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ ». فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله. فَقَالَ : « أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ ».

● قال النوويُّ رحمه الله في (« شرح مسلم » ١١/ ١٣٠) : « فيه الحث

---

(١) قال ابن قدامة في « مختصر منهاج القاصدين » (٢٣٣و٢٣٤) : « واعلم أنه متى قويت نار الغضب والتهبت أعمت صاحبها وأصمَّته عن كلِّ موعظة ، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ ... ويكون دماغه على مثالِ كهفٍ أُضرمت فيه نار ، فاسودَّ جوُّه ، وحمي مستقرُّه ، وامتلأ بالدخان ، وكان فيه سراجٌ ضعيف ، فانطفأ ، فلا يثبت فيه قدم ، ولا تسمع فيه كلمة ، ولا ترى فيه صورة » .

(٢) عند مسلمٍ أيضًا .

على الرفق بالمملوك ، والوعظ والتنبيه على استعمال العفو ، وكظم الغيظ ، والحكم كما يحكم الله على عباده » .

وانظر لهذا المثال الذي وقع فيه مِنْ تشاجرٍ ، وضربٍ بالأيدي ، والنعال، والجريد من جرَّاء الغضب، وشدة تأثيره ، وامتداده ، وإفساده .

● ففي « الصحيحين[(١)] » من حديث أنس ﷺ قال : « **قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ[(٢)] . فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا ؛ فَانْطَلَقَ الْـمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ - وَهْيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ - فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : إِلَيْكَ عَنِّي ، وَالله لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ[(٣)] ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ : وَالله لَحِمَارُ رَسُولِ الله ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ الله رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَشَتَمَا ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ ،**

---

(١) (خ ٢٦٩١ و م ١٧٩٩) .

(٢) هو ابن سلول المنافق المشهور.

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٥ / ٣٥٢ و ٣٥٣) : « وفي الحديث بيان ما كان النبيُّ ﷺ عليه من الصفح والحلم ، والصبر على الأذى في الله ، والدعاء إلى الله ، وتأليف القلوب على ذلك ، وفيه أن ركوب الحمار لا نقص فيه على الكبار ، وفيه ما كان الصحابة عليه من تعظيم رسول الله ﷺ ، والأدب معه ، والمحبة الشديدة ، وأن الذي يشير على الكبير بشيء يورده بصورة العرض عليه لا الجزم ، وفيه جواز المبالغة في المدح ؛ لأن الصحابي أطلق أن ريح الحمار أطيب من ريح عبد الله بن أبي ، وأقره النبيُّ ﷺ على ذلك » .

فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ ، فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: من الآية٩] .

فانظر كيف أوصلَ الغضبُ أصحابَهُ إلى هذه الحال من التشاجر ومدِّ الأيدي.

● وفي « الصحيحين »[١] من حديث أسامة بن زيد أن النبي ﷺ رَكِبَ حِمَارًا ، عَلَيْهِ إِكَافٌ ، تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ[٢]. وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ ، وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ - وَذَاكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ - حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ، وَالْيَهُودِ فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ... - وفي الحديث - : فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا[٣] ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ ، حَتَّى سَكَنُوا » .

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٤٥٦٦ ، ٦٢٠٧) ومسلمٌ (١٧٩٨).
(٢) أي : كساء غليظ منسوب إلى فدك - بفتح الفاء والدال - وهي بلد مشهور على مرحلتين من المدينة . قاله الحافظ في « الفتح » (٨ / ٧٩) .
(٣) أي : قاربوا أن يثب بعضهم على بعض فيقتتلوا .

● وسوف يأتي في حديث سليمان بن صُرَد المخرج في « **الصحيحين** » نحو ذلك ؛ ففيه : « **اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ** » ، وفي رواية : (**فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ**) .

فانظروا إلى تأثيرِ الغضبِ على الجوارح ، وعلى الأعضاء من تغير اللون، وانتفاخ الأوداج ، والعروق ، وارتعاد الأطراف ، واضطرابها .

○ وكذلك يظهر الزبد على الأشداق ، وتحمرُّ الأحداق ، ويتخبط النظم ، ويضطرب اللفظ ، ويغلق ويُغطِّي كذلك على العقل والفكر ، ناهيك عن الحقد الدفين والحسد(١) الذي يملأ القلوب ، وإضمار الشماتةِ والسوء الذي قُبْحه في الباطن أشد منه في الظاهر ، والظاهر عنوان الباطن ؛ فاعلم !

❑ **وهناك آثارٌ صحية وخيمة تنشأ من جراء الغضب ؛ أثبتتها** الدراسات العلمية والوقائع ؛ فمن ذلك :

أ - جلطاتٌ دماغية ؛ نتيجة الإفراز الزائد لهرمون (الأدرينالين)

---

(١) فالحقدُ ثمرة الغضب ، والحسد من نتائج الحقد .

الذي يؤدي إلى زيادة ضربات القلب بشكل متكرر ، ودفع الدم بغزارة إلى الدماغ مما يحدث نزيفًا فيه .

ب- ترسب الدهون والشحوم في الشرايين مما يؤدي إلى تصلبها ، وعدم وصول الدم إلى الدماغ ؛ فيحدث ذبحة صدرية .

ج – الغضب الزائد والانفعال المستمر يزيد من حموضة المعدة ويحدث فيها قرحة مزمنة قد لا تنفع معها الأدوية .

د – الغضب يحدث اضطرابًا في عمل الكليتين ؛ لأنه يحدث اضطرابًا في توازن الأملاح فيهما .

هـ - يؤثر الغضب على الدورة الدموية الخاصة بالأعضاء التناسلية؛ فيؤدي إلى نوعٍ من العجز الجنسي لدى الرجل ، وبرود جنسي لدى المرأة .

و – الغضب يحدث إمساكًا شديدًا ومزمنًا للأمعاء ؛ لأنها في حالة الغضب تكون متقلصة لا تستطيع القيام بامتصاص المواد المفيدة للجسم من الأطعمة والأشربة.

ز- تنتج عن الغضب الإصابة بمرض القولون العصبي ، وقد تفشى هذا المرض بشكلٍ هائل بين الناس ، وكلُّه بسبب الانفعالات

العصبية الكثيرة ، وهو من الأمراض المزمنة ، وصاحبه يلازم الأدوية طوال حياته .

ح – **الغضب المستمر يؤدي إلى الإصابة بالسكر** ؛ نتيجة زيادة هرمون (الأدرينالين) عند الغضب ، والذي يضعف مفعول هرمون (الأنسولين) الذي يفرزه البنكرياس لحرق السكر في الدم .

ط – **أكدت الدراسات الحديثة أن المصابين بالانفعالات النفسية والعصبية عندهم قابلية أكثر للإصابة بالأمراض الخبيثة** ؛ لأن الغضب يحدث اضطرابًا في الهرمونات في الغدد الصماء ، وعدم استقرارها يهيئ جوًّا مناسبًا داخل الجسم للأمراض الخبيثة .

ي – **تظهر على الغضبان آثار وأمراض لا يعرف لها مصدرًا** ، وقد يعالج عند كثير من الأطباء ، ويعمل كثيرًا من الفحوص المخبرية والإشاعية ، ولا يجدون شيئًا يعالجونه ، فيزداد قلقه وكدره ، ويتضاعف حزنه واكتئابه ، فيستمر معه هذا المرض أزمانًا عديدة [1] .

❧❧◊☙☙

(١) انظر: « **أحاديث في الدعوة والتوجيه** » : (حديث : لا تغضب) (ص١٦ و ١٧) للشيخ فالح الصغير .

● أسبابُ الغضب ●

إذا كان الغضبُ مما يسوق العبد إلى مواطن العطب والهلكة ؛ فما أحوجه إلى معرفةِ معاطبِهِ ومساويه ، ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه، ويعالجهُ إنْ رسخ في قلبه ويداويه ، فإنَّ من لا يعرف الشر يقع فيه؛ فاعلم أن الغضبَ له أسبابٌ نُجملها فيما يلي مع إيراد علاج ذلك بإيجاز:

● فأسبابُ الغضب هي :

(الكبر والعجب[1] ، والمزاحُ والهزل ، والتعيير ، والمماراة والجدال ، والعناد[2] ، والغدر، وشدة الحرص على فضولِ المال والجاه،

---

(١) ويدخل في ذلك ؛ السخرية بالناس ، وازدراؤهم ، واحتقارهم ؛ وقد قال ﷺ: **(الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ)** أخرجه مسلم في (« **الصحيح** » رقم : ٩١).

○ وأعظم ما ينشأ عنه الغضب : الكبر، لكونه يقع عند مخالفةِ أمرٍ يريده ، فيحمله الكبر على الغضب ، فالذي يتواضع حتى يذهب عنه عزة النفس يسلم من شر الغضب . بتصرف من « **الفتح** » (١٠/ ٥٣٦).

(٢) فمهما قُصدَ الإنسان ، أو نُوزعَ في غرضٍ ما ، اشتعلت نار الغضب وثارت .

وحب النفس[(١)]) ؛ وقد يراهُ بعضُ الجهلةِ شجاعة ورجولية ، وعزة نفس ، وكبر همة ، فيبعثهُ ذلك على أن يقع فيه ؛ وحتى يتخلص الإنسانُ من ذلك ؛ فهذا العلاج :

○ **فإليك علاج مهيِّجات الغضب ، وقطع مسبباته :**

● **أما علاجُ الكبر والعجب** ؛ فالتواضع ، وخفض الجناح للمؤمنين ، ومعرفةِ حجم النفس وضعفها ، مع الاطلاع على أكبر قدرٍ ممكن من سيرةِ أعظم الخلق ، وسيد الخلق ، نبينا محمد ﷺ ؛ فهو سيِّدُ المتواضعين ؛ فقد كان :

○ يأكل مع الضعيف ، ويمشي مع المسكين ، ويُساعدُ أصحابه .

○ يدفن الموتى ، ويعود المرضى ؛ كعيادته لسعد بن عبادة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما وغيرهما .

---

(١) **يقول الغزالي** رحمه الله في (« الإحياء » ٣/ ٢٦٨) :
« وهى بأجمعها أخلاقٌ رديئة مذمومة شرعًا ، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب ، فلا بد من إزالة هذه الأسباب **بأضدادها** » .
○ ويمكن أن ننوه أن من مهيجات الغضب ؛ المشكلات الزوجية بجميع محتوياتها ؛ صغيرها وكبيرها ، ولا داعي للتفصيل فيها ؛ فلا يخلو بيتٌ من ذلك ؛ حتى بيوت الصالحين ، وسيأتي معنا بابٌ في ذلك إن شاء الله تعالى .

○ يُداعب الأطفال ، ويسلم عليهم ، ويمسح على رؤوسهم ، ويضحك من غير قهقهة ، ويسابق أهله ، ويستمع إليهن ، ويصغي لهن في الأحاديث الطوال بلا ملل ولا ثقل .

○ يخيط ثوبه بيده ، ويحلبُ شاته ، ويخدم نفسه وأهله (١) .

○ يرمي الجمار - وهو على ناقته - في الحج ، كما يرمي الناس ؛ مع ازدحامٍ شديد حوله (٢) . ولكن لا ضرب ، ولا طرد ، ولا إليك إليك ، ولم يتخذ حرسًا يرفع عنه بعض هذا الزحام .

فهذا هو سيدُ الخلق ، وأعظمُ الخلق ، وأفضلُ الخلق ؛ ومع ذلك

---

(١) ففي (« صحيح البخاري » ٦٧٦) من حديث الأسود قال : سألتُ عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : « كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ » .
● وفي (« مسند أحمد » ٦/ ١٢٢ و ٢٥٦) بإسنادٍ صحيح من حديث عائشة قالت : « سُئلتُ ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته ؟ قالت : كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَكَانَ يَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ » وفي رواية - عنده أيضًا - (٦/ ٢٥٦) : « كَانَ بَشَراً مِنَ الْبَشَرِ ، يَفْلِي ثَوْبَهُ ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ » .
(٢) ● ففي (« سنن الترمذي » ٩٠٣) و (« النسائي » ٥/ ٢٧٠) بإسنادٍ حسن من حديث قدامة بن عبد الله ﷺ قال : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْمِي الْجِمَارَ عَلَى نَاقَتِهِ ، لَيْسَ ضَرْبٌ ، وَلاَ طَرْدٌ ، وَلاَ إِلَيْكَ إِلَيْكَ » .

تراه يُزاحمه الناسُ عند رمي الجمار كما يُزاحمون غيره .

○ كما كان يجلس مع أصحابه في المسجد ، فيدخل الداخل ، ولا يكادُ يُعْرف المصطفى ﷺ من بين الصحابة .

○ وها هو ﷺ يرفع ذراع الشاة ، ويضعها على فيه، فينهس منها ؛ كما في « **الصحيحين**[(١)] » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

« أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ - وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ - فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً [(٢)] ؛ فَقَالَ : « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

يا له من تواضعٍ جم ، وهضم للنفس ، فصلوات من الله وسلامه عليه .

فعلى العبد أن يتأسَّى برسول الله ﷺ في جميع تصرفاته ، وفي عموم أحواله ، كي يَسْلم وترفع عنه كلُّ صفةٍ ذميمة ، وحتى يتسنى له أن ينتشل من نفسه صفتي الكبر والعجب ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: من الآية ٢١] .

---

(١) (البخاري ٤٧١٢ ومسلم ١٩٤) .
(٢) أي : أخذ اللحم بأطراف الأسنان .

فعندئذ يتواضع العبدُ ولا يحتقر أحدًا ، ولا يترفَّع ، ولا يتجبَّر ؛ فيكون ذلك سبيلًا لهضم النفسِ ، وعدم الانتصار لها ، والتشفِّي من أجلها .

● **أما المزاح والهزل** ؛ فعلاجه وإزالته بالجد والهمة العالية في طلب الآخرة ، وكذلك في طلب العلوم الدينية التي توصل العبد إلى الدرجات العلى ، ومنازل الصالحين .

أما الإكثار من المزاح وما شابه ؛ فإنه يوقع الشخص في جملةٍ من الأخطاء التي يندم عليها بعد ذلك من التفريط في حق الله تَعَالَى ، وفي حقِّ الخلق كذلك ، كأن ينجم من جراء ذلك الشقاق والخصام والجدال والغضب ؛ بل ربما وصلَ الحالُ بالمازحين إلى مدِّ الأيدي بالضرب ونحوِهِ من أنواع العداوات ، وكما قال القائل : (**لكل شيء بذر ، وبذر العداوةِ المزاح**) .

لكن إن كان ولا بد من المزاح ، فينبغي أن يكون بالقدر المحدود المعقول ، وأن لا يخرج به عن حدِّ الوقار والاعتدال ، وقد كان النبيُّ ﷺ يمزحُ ولا يقول إلا حقًّا[1] .

---

(١) كما في « سنن الترمذي » (١٩٩٠) بإسنادٍ حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه =

● **أما التعيير** ؛ كأن يُعيِّر الأخُ أخاه لفقرِهِ أو دمامتِهِ أو قِصَره أو طوله أو سمنه أو نحافتِهِ أو لعملِهِ ووظيفته أو لشهادته أو لعدم فهمه وثِقَلِ لسانه !!!

○ **ويدخل في ذلك** ؛ (**التعيير بالذنب**) إذا وقع في ذنب عيَّره به ؛ (وقد يكون قد تاب منه)[1] .

○ **ومن ذلك** ؛ **التنابز بالألقاب** ؛ وهو دعاءُ المرءِ صاحبه بما يكرههُ من اسم أو صفة[2] ؛ وهذا مما نهى الله المسلمين عنه ؛ فقَالَ تَعَالَى :﴿وَلَا

= مرفوعًا . وراجع في مزاحه ﷺ : (« **مختصر الشمائل للترمذي** » ص : ١٢٤ و ١٢٥ للألباني) و (« **مختصر منهاج القاصدين** » ص : ٢٤٦ و ٢٤٧) لابن قدامة ط – نزار) **وقال هناك في المزاح** : « أما اليسير منه ، فلا ينهى عنه ، إذا كان صدقًا ؛ فإن النبيَّ ﷺ كان يمزح ؛ ولا يقول إلا حقًّا ... » .

(١) انظر « **صحيح البخاري** » (٦٦١٤) و « **صحيح مسلم** » (٢٦٥٢) في حِجَاج آدم لموسى عليهما السلام .

(٢) وقد كان ابن عُلية ؛ وهو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم ، يكرهُ أن يُنادى بذلك ؛ فعليةُ هي أمُّه ، وعَلِيُّ بن رباح بن قَصير المصري؛ **قال الحافظ في « التقريب »** : « والمشهور فيه عُلَيٌّ ، بالتصغير ، وكان يغضب منها » ؛ وكان موسى ولَدُه يقول : « لا أجعل أحدًا صغَّر اسم أبي في حلٍّ » ؛ لكن إذا أريد بتلك الألقاب الصفة لا العيب ؛ فذلك جائز ؛ وقد **سُئل ابن المبارك** عن الرجل يقول : حُميد الطويل ، وسليمان الأعمش ، وحميد الأعرج ، ومروان الأصغر ، فقال : « إذا أردت صفته ولم تُرد عيبه فلا بأس به » . وفى « **صحيح مسلم** » عن عبد الله بن سرجس قال : « رأيتُ الأصلع - يعني عمر - =

تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾[الحجرات: من الآية١١] .

فهذا كلُّه ينبغي أن يترفع المسلم عنه ؛ فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره .

ولا ينبغي أن تكون هذه أخلاق مؤمن ومؤمنة بالله واليوم الآخر ؛ وقد قال ﷺ : « رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ »[1] - يعني - : لأجابهُ .

● **أما المماراة والجدال**؛ فهو رائد الغضب ، ورحم الله عبدًا ترك المراء ولو كان مُحِقًّا[2] ؛ فلا شك أن المراء والجدال في الغالب ينشأ عنه

= يُقبِّل الحجر » ، وفى رواية : « الأصيلع ». ولمزيد انظر « تفسير القرطبي » رحمه الله (١٦/ ٢١٦ – آية الحجرات : ١١) .

(١) أخرجه مسلم في (« الصحيح » ٢٦٦٢) .

● قال النوويُّ في « شرح مسلم » (١٦/ ١٧٤ و ١٧٥) : « الأشعث : الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل . وقوله : « مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ » : أي لا قَدْر له عند الناس ؛ فهم يدفعونه عن أبوابهم ، ويطردونه عنهم ؛ احتقارًا له . وقوله : « لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ » أي : لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله ؛ إكرامًا له بإجابة سؤاله ، وصيانته من الحنث في يمينه ، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى ، وإن كان حقيرًا عند الناس ، وقيل : معنى القسم هنا الدعاء ، وإبراره : إجابته ، والله أعلم » .

(٢)● ففي « سنن أبي داود » (٤٨٠٠) بإسنادٍ حسنٍ من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ: « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ =

نوع خصام وشقاق ونزاع[١] ؛ وهذا بلا ريب قد يحمله على الغضبِ لنفسِه ، والانتصار لها ؛ بل وازدراء الآخرين[٢] ؛ بل قد يحمله على إنكار الحق وجحوده ، وقد قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [غافر:٥٦] .

● **قال السعديُّ رحمه الله في « تيسير الكريم الرحمن »**[٣] : « يخبر تَعَالَى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل ، بغير بينة من أمره ولا حجة ، إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق ، وعلى مَنْ جاء به ، يريدون الاستعلاء عليه ، بما معهم من الباطل ؛ فهذا قصدهم ومرادهم. ولكن هذا ، لا يتم لهم ، وليسوا ببالغيه ؛ فهذا نصٌّ صريحٌ ، وبشارة ، بأن كل من جادل الحق مغلوب ، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

= مُحِقًّا » . لكن إن كان الجدال لإقامة حقٍّ وواجب ؛ فهو جدالٌ مشروع ؛ وقد قَالَ تَعَالَى : ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: من الآية١٢٥] .

(١) قال عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله : (ما ماريتُ أخي أبدًا ، إما أن أكذبَهُ ، وإما أن أغضبهُ) ؛ كما في (« الآداب الشرعية » لابن مفلح ١/ ١٨).

(٢) قال ﷺ : « إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ » (خ ٢٤٥٧ و م ٢٦٦٨) والمراد منه ؛ أنك تجادل لغير غَرَضٍ سوى تحقير من تجادله .

(٣) (ص : ٦٨٦) ط الرسالة .

« فَاسْتَعِذْ » أي: الجأ واعتصم « بِاللهِ » من الكبر الذي يوجب التكبر على الحق ، واستعذ بالله من شياطين الإنس والجن ، واستعذ بالله من جميع الشرور.

« إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ » لجميع الأصوات على اختلافها ، « الْبَصِيرُ » بجميع المرئيات، بأي محل وموضع وزمان كانت ». انتهى .

● **أما الغدر** ؛ فسببُهُ أذى يلحقُ به من أي شخصٍ بسببٍ من الأسباب ؛ فيحمله ذلك على بغضهِ وحقدهِ ، ثم تراهُ ينتوى ظلْمَهُ والغدر به .

وعلاجُ ذلك؛ أن يُطيِّب الإنسانُ معاملته مع الآخرين؛ فلا يظلم كي لا يُظلم ، ولا يجهل حتى لا يُجهل عليه ، وإن جُهل عليه عفا ، وإن ظُلم غفر ، وإن ابتُلي صبر ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: من الآية٤٠] .

أي : لا يضيع ذلك عند الله ؛ كما صحَّ في « صحيح مسلم »[1] : من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : « **وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا** ».

---

(١) أخرجه مسلمٌ في « الصحيح » (٢٥٨٨) .

ثُمَّ عليه أن يعلم عاقبة الغدر الوخيمة في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا ؛ فالجزاء من جنس العمل ، وكما يدين المرء فإنه يُدان ، وكما يغدر فسوف يُغدر به عاجلًا أو آجلًا . ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: من الآية٤٣] .

– أما في الآخرة ؛ فكما قال النبيُّ ﷺ : « **يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ إِسْتِهِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدرَةُ فُلَانِ بْن فُلَانٍ** »[(١)].

● **قال ابنُ المنيِّر**[(٢)] : « كأنه عُومِل بنقيضِ قصدهِ ؛ لأن عادة اللواء أن يكون على الرأس ، فنصب عند السفل زيادة في فضيحته ؛ لأن الأعين غالبًا تمتد إلى الألوية ؛ فيكون ذلك سببًا لامتدادها إلى التي بدت له ذلك اليوم ؛ فيزداد بها فضيحة » .

● **وأما شدَّةُ الحرصِ على فضولِ المالِ ، والجاهِ ، والرياسةِ ،**

---

(١) **حديث صحيح :**
أخرجه البخاريُّ في (« **الصحيح** » ٣١٨٨ و ٧١١١) ومسلمٌ في (« **الصحيح** » ١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا . وأخرجه البخاريُّ (٣١٨٦ و ٣١٨٧) ومسلمٌ (١٧٣٦ و ١٧٣٧) من حديث ابن مسعود وأنس بن مالك رضي الله عنهما مرفوعًا . وأخرجه مسلمٌ (١٧٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا .

(٢) كما في « **الفتح** » (٦ / ٣٢٧ و ٣٢٨) .

والطمعِ ، وحبِّ النفس ؛ فعلاجه بالقناعةِ والإيثارِ ، والسخاءِ ، واصطناعِ المعروف .

○ وفي كتاب (« مختصر منهاج القاصدين[١] » لابن قدامة المقدسي رحمه الله) بيَّن فيه علاج الحرص والطمع ، والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة في خمسةِ أمورٍ ، نوجزها فيما يلي :

● **الأول** : الاقتصادُ في المعيشةِ ؛ فمن أراد القناعة ؛ فينبغي أن يسدَّ عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ، ويرد نفسه إلا ما لا بُد منه ، فيقنع بأي طعام كان ، وقليل من الإدام ، وثوب واحد ، ويوطن نفسه على ذلك .

● **الثاني** : يلزم العبد ألا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل في أمور المعيشة ؛ وعليه أن يوقن بأن رزقه لا بُد وأن يأتيه[٢] ، وأن يعلم أن الشيطان يعدُه الفقر ، وإذا انسدَّ أمامه بابٌ كان ينتظر الرزق منه ؛ فلا

---

(١) (ص : ٢٥٩ وما بعدها ط- نزار) .

(٢) وقد صحح بعضُ أهل العلم حديث : (لن تموتَ نفسٌ حتى تستكمِلَ رزقَها وأجلَها). وقد توسَّع في بيانِ طرقِهِ شيخنا أحمد في تعليقه على (« الاعتقاد » للبيهقيِّ ٢٠٩ و ٢١٠ فراجعْهُ) ط الفضيلة .

ينبغي له أن يضطرب قلبه ؛ ولا أن يقلق أو يخاف . ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: من الآية٢و٣] .

فالرزق آتيه لا محالة ؛ فكما أن الموت يطلب العبد ، فكذلك الرزق ، وقد قَالَ تَعَالَى : ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [هود : ٦].

● **الثالث** : أن يعرف ما في القناعة من عزِّ الاستغناء ، وما في الطمع من الذُّل ؛ وكما قال النبيُّ ﷺ : « **لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ**[1] ، **وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**[2] »، ومن لم يُؤثر عز نفسه عن شهوته ؛ فهو ركيك ، ناقص الإيمان ؛ وقد قال ﷺ : « **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا**

---

(١) العرض : ما ينتفع به من متاع الدنيا .

(٢) أخرجه البخاريُّ (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) .

● وقد علَّق ابن بطال رحمه الله على الحديث تعليقًا بديعًا ؛ فقال : « معنى الحديث : ليس حقيقة الغنى كثرة المال ؛ لأن كثيرًا ممن وسَّع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي ، فهو يجتهد في الازدياد ، ولا يبالي من أين يأتيه ، فكأنه فقير لشدة حرصه ، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس ، وهو من استغنى بما أوتي ، وقنع به ورضي ، ولم يحرص على الازدياد ، ولا ألح في الطلب ؛ فكأنه غني ».
راجع « **الفتح** » (١١/ ٢٧٧) .

وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ »[١] . والكفاف : الكفاية بلا زيادة ولا نقص[٢]

○ ورحم الله القائل :

هي القناعة فالزمها تعش ملكًا

لو لم يكن فيها إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها

هل راح منها بغير القطن والكفن

● **الرابع** أن يُطالع المرءُ أحوالَ الأنبياء وأهل الصلاح؛ حتى يهون عليه الصبر على القليل ، والقناعة باليسير ، وأنه إن تنعم بالأكل فالبهيمة أكثر أكلًا منه ، وإن تنعم بالوطء ؛ فالعصفور أكثر سفادًا منه .

● **الخامس** : أن يفهم ما في جمعِ المالِ من الخطرِ ومن الآفات ؛ وأن ينظر إلى ثواب الفقر وفوائده ؛ وقد قال ﷺ « **انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ** »[٣]

معنى أجدر : أحق .   وتزدروا : تحقروا

---

(١) أخرجه مسلمٌ (١٠٥٤) .
(٢) قاله النوويُّ في « شرح مسلم » (٧/ ١٤٥)
(٣) أخرجه مسلمٌ (٢٩٦٣) (٩) .

● قال ابن جرير وغيره : « هذا حديثٌ جامعٌ لأنواعٍ من الخير ؛ لأن الإنسان إذا رأى من فُضِّل عليه في الدنيا ، طلبت نفسه مثل ذلك ، واستصغر ما عنده من نعمة الله تَعَالَى ، وحرص على الازدياد ؛ ليلحق بذلك أو يقاربه ، هذا هو الموجود في غالب الناس ، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ، ظهرت له نعمة الله تَعَالَى عليه ، فشكرها وتواضع ، وفعل فيه الخير » . « شرح مسلم » للنووي (١٨/ ٩٧) .

● والحديثُ المتقدمُ أصلُه في « الصحيحين » (خ ٦٤٩٠ و م ٨/٢٩٦٣) ولفظه : « إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ » .

○ وقال الشاعر :

اصبر على كِسْرةٍ ومِلح فالصبرُ مفتاحُ كلِّ ديْنِ

ولا تعرض لمدح قومٍ يدْعُ إلى ذِلةٍ وشيْنِ

واقنع فإن القَنوع عزٌّ والذلُّ في شهوةٍ بديْنِ

وعلى العبد أن يوقن أن هذه الدنيا أيامٌ قلائل ، سوف تنتهي وتنقضي ، فيصبر ليتمتع التمتع الدائم : ﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾

[الأعلى:١٧] .

● وأيقن تمامًا - أخي الحبيب - بأنه :

إذا أذنَ اللـهُ فـــي حاجـــةٍ

أتــاك النَّجـاحُ على رِسلهِ

ولا تسل الناسَ من فضلهم

ولكن سلِ الله من فضلِهِ

● قال تعالى : ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْـلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيـمًا﴾ [النساء: ٣٢] .

٭٭٭

● علاجُ الغضب ●

فللغضب دواءٌ نافعٌ ، وعلاجٌ شافٍ ، والمسلم مطالبٌ بكسر حدة الغضب وإبعاده ؛ فإذا وقع الغضبُ من العبدِ وجب قلْعهُ ، وإذا هاجَ لزِم علاجهُ ؛ لأنه يُفضي إلى ما لا يُحمد عُقباه ؛ وغايته (القتل) كما هو معلوم .

فلا بدَّ حينئذٍ من دفعه ؛ والسيطرة عليه ، والسعي إلى تسكينه وتهدأته على وَفْق ما جاء في الكتاب والسنَّة ؛ فمن أسبابِ دفعِ الغضب[1] ما يلي :

---

(١) ● قال ابن القيم رحمه الله في « الفوائد » (ص : ١٧٧) : « وقلْعُ الغضب بمعرفة النفس ، وأنها لا تستحق أن يُغضب لها ، وينتقم لها ؛ (فإن ذلك إيثارٌ لها بالرضا ، والغضب على خالقها وفاطرها) ، وأعظم ما تدفع به هذه الآفة أن يُعوِّدها أن تغضب له سبحانه ، وترضى له ، فكلما دخلها شيءٌ من الغضب ، والرضا له ، خرج منها مُقابلة من الغضب ، والرضا بها ، وكذا بالعكس » انتهى .

● قُلْتُ : وهذا من التوحيد ؛ وهو يتعلق بالقلب ؛ فيُقدّم مراد الله على مراد نفسه ، ورضا الله على رضا نفسه ويعلم بأن الفاعل هو الله .

○ وقد قال الحافظ في « الفتح » (١٠/ ٥٣٧) : « وقال الطوفي : أقوى الأشياء =

(١)

الاستعاذة(١)

فتعوذ بالله من الشيطان اللعين ؛ فإنه رأسُ البلاءِ ، وأُسُّ الفساد !!

= في دفع الغضب : استحضار التوحيد الحقيقي ، وأنه لا فاعل إلا الله ، وكلُّ فاعلٍ غيره ، فهو آلةٌ له ، فمن توجّه إليه بمكروه من جهة غيره ، فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه ، لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربّه جلّ وعلا، وهو خلاف العبودية » .

● قُلْتُ : ومما يُعينُ على ترك الغضب - ما يأتي - من التعوذ ، والسكون ، وتغيير الحال ، إن كان قائمًا جلس ، وإن كان جالسًا اضطجع ، مع الوضوء أو الاغتسال ... الخ .

(١) قال ابن كثير في « التفسير » (١/ ١٥) : « والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى ، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير ؛ كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله *** ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره *** ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

ومعنى : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ؛ أي : أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي ، أو يصدني عن فعل ما أمرت به ، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه ؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله » .

● قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ ﴾ [الأعراف:٢٠٠] .

○ قال القاسميُّ في « محاسن التأويل[١] » : « وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ » أي : يصيبنك من الشيطان وسوسة تثير غضبك على جهلهم وإساءتهم ، وتحملك على خلاف ما أمرت به من العفو والأمر بالمعروف « فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ » أي : استجر به ، وادعه في دفعه « إِنَّهُۥ سَمِيعٌ » أي : لدعائك « عَلِيمٌ » أي : باستعاذتك » . اهـ.

● وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦ ﴾ [فصلت:٣٦] .

● وقَالَ تَعَالَى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨ ﴾ [المؤمنون ٩٦: ٩٨].

فمن مكارم الأخلاق التي أمر الله رسوله بها ؛ قوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

---

(١) (٥ / ٢٤٧) ط . الحديث .

● قال العلامة السعديُّ رحمه الله : « أي : إذا أساء إليك أعداؤك ، بالقول والفعل ، فلا تقابلهم بالإساءة ، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته ، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم ، فإن ذلك فضل منك على المسيء ، ومن مصالح ذلك :

أنه تخفُّ الإساءة عنك ، في الحال ، وفي المستقبل ، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق ، وأقرب إلى ندمه وأسفه ، ورجوعه بالتوبة عما فعل .

ويتصف العافي بصفة الإحسان ، ويقهر بذلك عدوه الشيطان ، ويستوجب الثواب من الرب ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ وقَالَ تَعَالَى : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي : ما يوفق لهذا الخلق الجميل ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

وقوله : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ أي : بما يقولون من الأقوال المتضمنة للكفر ، والتكذيب بالحق ، قد أحاط علمنا بذلك ، وقد حلمنا عنهم ، وأمهلناهم ، وصبرنا عليهم ، مع إنكارهم ، وتكذيبهم لنا ، فأنت - يا محمد - ينبغي لك أن تصبر على ما يقولون ، وتقابلهم

بالإحسان ؛ هذه وظيفة العبد في مقابلة المسيء من البشر ، وأما المسيء من الشياطين ؛ فإنه لا يفيد فيه الإحسان ، ولا يدعو حزبه ، إلا ليكونوا من أصحاب السعير ؛ فالوظيفة في مقابلته أن يسترشد بما أرشد الله إليه رسوله ؛ فقال ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ أي : أعوذ بك من الشرِّ الذي يصيبني بسبب مباشرتهم وهمزهم ومَسِّهم ، ومن الشرِّ الذي بسبب حضورهم ووسوستهم ، وهذه استعاذة من مادة الشرِّ كلِّه وأَصْلِهِ ، ويدخل فيها الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان ، ومن مسِّه ووسوسته ، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر ، وأجاب دعاءه ، سَلِمَ من كلِّ شر ، ووفق لكلِّ خير » . اهـ.

فالغضب من نزغات الشيطان ؛ فحينئذٍ يلزم الإنسان أن يستعيذَ بالله من شرِّه ، وأن يستجير بالله من نزغِه ؛ وقد كان النبيُّ ﷺ يأمر مَنْ غضبَ بتعاطي أسبابٍ تدفع عنه الغضب ، وتُسكنه ؛ كالاستعاذة :

● ففي « **الصحيحين** » من حديث سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال :

« اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ ، وَأَحَدُهُمَا

يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا[١] قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ[٢] ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » . فَقَالُوا لِلرَّجُلِ : أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ[٣] ؟ قَالَ : إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ ».

○ وفي رواية أخرى[٤] : (فَقَالَ : أَتَرَى بِي بَأْسٌ ؟ أَمَجْنُونٌ أَنَا ؟ اذْهَبْ).

○ ولمسلم[٥] : (فَقَالَ الرَّجُلُ : وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟) ، وعنده

---

(١) في رواية : (فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا ، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ) عند البخاريِّ (٦٠٤٨) وفي أُخرى : (فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ) عند مسلم (برقم : ٢٦١٠/ ١١٠) .

(٢) في رواية : (حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ) عند البخاريِّ (٦٠٤٨) وفي أُخرى لمسلم : (تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ) ونحو هذا عند البخاري (٣٢٨٢).

(٣) في رواية مسلم : (فقام إلى الرجل رجلٌ ممن سمع النبي ﷺ ؛ فقال : أتدري ما قال رسول الله ﷺ آنفًا ؟) وعند البخاري (٦٠٤٨) في رواية : (فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ : تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ) .

(٤) البخاري (٦٠٤٨) .

(٥) (م : ٢٦١٠) .

● قُلتُ : وفي الباب أحاديث ؛ منها : ما رواه ابنُ عدي في « الكامل » من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بلفظ : « إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ ، سَكَنَ غَضَبُهُ » ورمز السيوطيُّ في « الجامع الصغير » لضعفه ؛ كما في (« الفيض » ص : ٤٠٨) . لكن أشار المناويُّ إلى طريقٍ آخر له أخرجه الطبراني في « الصغير » و « الأوسط » من حديث ابن مسعود مرفوعًا بنحوه . =

كذلك :

(فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَمَجْنُونٌ تَرَانِي ؟).

● قال الحافظ في « الفتح » (١٠/ ٤٨٢ و ٤٨٣) :

« قوله : (اذْهَبْ) هو خطاب من الرجل للرجل الذي أمره بالتعوذ ، أي امضِ في شغلك .وأخلق بهذا المأمور أن يكون كافرًا أو منافقًا ، أو كان غلب عليه الغضب حتى أخرجه عن الاعتدال بحيث زجر الناصح الذي دلّه على ما يُزيل عنه ما كان به من وهج الغضب بهذا الجواب السيئ ، وقيل إنه كان من جفاة الأعراب ، وظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون، ولم يعلم أن الغضب نوع من شر الشيطان، ولهذا يخرج به عن صورته ، ويزيد إفساد ماله ، كتقطيع ثوبه ، وكسر آنيته ، أو الإقدام على من أغضبه

= وقال : « قال الهيثميُّ : رجاله ثقات ، وفي بعضها[1] اختلاف » ؛ وقد صححه بمجموع ذلك مع شواهد أخرى العلامة الألباني رحمه الله في « الصحيحة » (برقم : ١٣٧٦) .

(١) في « المجمع » (٨ / ٧٠) : « وفي بعضهم » قلت : والذي في « المجمع » : « عن ابن عباس » وليس : « عن ابن مسعود » فيما وقفت عليه .

ونحو ذلك مما يتعاطاه من يخرج عن الاعتدال » .انتهى .

○ **قال المناويُّ في «الفيض» (١/ ٤٠٨) :**

« والاستعاذةُ من أقوى سلاح المؤمن على دفع اللعين إبليس ومكْرِه . وإذا تأمل معنى الاستعاذة وهو الالتجاء إلى الله تَعَالَى ، والاعتصام به ، وضمَّ له التفكر فيما ورد في كظم الغيظ وثوابه ، واستحضر أن الله أعظم قدرة من قدرته على من غضب عليه : سكن غضبه لا محالة » .

ﮩﮩ ◊ ﮨﮨ

(٢)

واذكر ربك

● قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: من الآية٢٤].

وفي الآية أقوالٌ في معناها ، ومن ذلك : « إِذَا نَسِيتَ » أي : إذا غضبت[(١)] ؛ فاذكر ربك .

وقيل : إذا نسيت الاستثناء ، فاستثن عند ذكرك له ، ولو بعد سنة .

قال ابن كثير : « ومعنى أن يستثني ولو بعد سنة » أي : إذا نسي أن يقول في حلفه وفي كلامه « إن شاء الله » وذكر ولو بعد سنة ؛ فالسُّنة له أن يقول ذلك ، ليكون آتيًا بسُنَّة الاستثناء ، حتى ولو كان بعد الحنث . لا أن يكون ذلك رافعًا لحنث اليمين ومسقطًا للكفارة ».

● وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

(١) ورد ذلك عن عكرمة رحمه الله ؛ كما عند ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٨ / ٢٨٨)، و« الحلية » لأبي نعيم (٣ / ٣٣٤) و « شعب الإيمان » للبيهقيِّ (٦ / ٣١٢) .

تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠١] .

فالعبد إن ذكر الله سبحانه أمسك عن الكلامِ البذيء ، وعن الفحش من القول. وسوف يُحيي الذكرُ قلبَهُ حينئذٍ فيُجنّبه معاطب الغضب ومساويه ، وبالطبع فإن الذكر طمأنينة للقلب ، وسكينة له ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: من الآية٢٨] ؛ فعلى العبد أن يعمد في حالِ غضبه إلى الذكر ؛ من التكبير ، والتسبيح ، والتحميد ، حتى يهدأ ، وتنطفئ نار الغضب وتسكن .

○ **ولا شكَ أنَّ من فوائدِ الذكرِ :**

(أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره) ؛ كما في الحديث الذي أخرجه الترمذيُّ في « السنن[1] » وغيره **بإسنادٍ صحيح** من حديث الحارث الأشعري أن النبيَّ ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا** » وفي الحديث : « **وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ[2]**

---

(١) (برقم : ٢٨٦٣ و ٢٨٦٤) ؛ وهو بطولهِ في « روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء والمرسلين » للمؤلف - غفر اللهُ له - (ص : ٣٨٣) .

(٢) أي : بعده .

سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ[١] مِنْهُمْ ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ الله » .

والغضب من الشيطان ، فتدبره !

ﮂﮂ ◊ ﮂﮂ

(١) أي : حفظ نفسه منهم . (« تحفة الأحوذي »٧ / ٣١٩) .

(٣)

استحضارُ ما جاءَ في كظمِ الغيظِ والعفوِ من الفضلِ والثواب

○ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤].

● قال القاسميُّ رحمه الله[1] : « وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ » أي : الممسكين عليه في نفوسهم ، الكافين عن إمضائه مع القدرة عليه ؛ اتقاء التعدي فيه إلى ما وراء حقه . « وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ » أي : ظلمهم لهم ، ولو كانوا قد قتلوا منهم ، فلا يؤاخذون أحدًا بما يجني عليهم ، ولا يبقى في أنفسهم موجدة ؛ كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الشورى: ٣٧]».

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

---

(١) « محاسن التأويل » (٢ / ٤٦١ و ٤٦٢) .

قال الإمام البخاريُّ في « الصحيح »[(١)] : « العرف : المعروف » ، ثم روى[(٢)] حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﭭ قَالَ :

« قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا . فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا ابْنَ أَخِي ! لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ . قَالَ : سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ : هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ . فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ : يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . وَاللَّـهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّـهِ .

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن: من الآية١٤].

---

(١) (كتاب « التفسير » باب (٥) من سورة الأعراف) .
(٢) (برقم : ٤٦٤٢) .

والآيات والأحاديث في فضلِ العفوِ والحلمِ وكظمِ الغيظِ واحتمالِ الأذى كثيرةٌ معلومة[١] ، ومتمثلُ ذلك في مراتب عليَّة جليلة .

وأنت - أخي في الله - إن تذكَّرت فضل ذلك جيدًا ؛ فإنك حينئذٍ سترغب في ثواب ذلك ، وسوف ينطفئ الغيظ ولا بد - بإذن الله - .

● وعليك أن تنظر إلى رضا الخالق جلَّ وعلا ، وإلى ثوابه -كما سبق - لا أن تنظر إلى الخلق بأنك ستصغر في أعينهم ، وأن هذا عجز منك أو ذلَّة ، إن أنت عفوت أو حلمت . كلا بل أيقن بأن الله سيزيدك عزًّا ورفعة بعفوك ؛ كما قال ﷺ : « **مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا** » حديث صحيح[٢] .

● **قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية** رحمه الله (« **الفتاوى** » ٣٠/ ٣٦٨) :

« وكما أن من توهم أنه بالعفو يسقط حقه أو ينقص ! غالطٌ جاهلٌ

---

(١) وقد أورد **العلامةُ النووي** في كتابه المبارك « **رياض الصالحين** » أبوابًا ونصوصًا عدّة في فضل « الحلم والأناة والرفق » (٧٤) و « العفو والإعراض عن الجاهلين » (باب ٧٥) و « احتمال الأذى » (باب ٧٦) فانظرها تشفي صدرك بإذن الله .

(٢) أخرجه مسلمٌ في « **الصحيح** » (حديث ٢٥٨٨) باب استحباب العفو والتواضع .

ضالٌّ ؛ بل بالعفو يكون أجره أعظم ، فكذلك من توهم أنه بالعفو يحصل له ذُل ، ويحصل للظالم عزٌّ واستطالة عليه ؛ فهو غالط في ذلك . كما ثبت في **الصحيح** » - ثم ساق هذا الحديث وقال - وهذا ردٌّ لما يظنه من يتبع الظن ، وما تهوى الأنفس ، من أن العفو يُذله ، ... ».

● **فعليك بالعفو** ؛ فالعفو أقرب للتقوى ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[البقرة: من الآية٢٣٧] .

● **وعليك بالصفحِ** ؛ فما أحلاهُ وأجلاهُ وأغلاهُ ؛ وقُل كما قال الأوّلُ:

سألزمُ نفسي الصفح عن كلِّ مذنبٍ
وإن عظمت منه علـيَّ الجرائـمُ
فما النـاسُ إلا واحـدٌ مـن ثلاثـةٍ
شريفٌ ومشروفٌ ومثلي مقاومُ
فأمـا الـذي فـوقـي فأعرفُ قدْرهُ
وأتبعُ فيه الـحـقَّ والـحقُّ لازمُ
وأما الذي دوني فإن قالَ صنتُ عن

إجـابتــه نفسـي وإن لامَ لائـمُ

وأما الـذي مثلـي فــإن زلَّ أوهنــا[(١)]

تفضَّلتُ إن الحرَّ بالفضلِ حاكمُ

● وخَيْرٌ من ذلك قول الله سبحانه : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور: من الآية٢٢]، وقوله : ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر: من الآية٨٥] .

---

(١) وفي نسخ : « أو هفا » بالفاء ؛ كما في « **روضة العقلاء** » (رقم : ٥١٣).

(٤)

تخويفُ النفسِ من عقابِ الله

فعليك أن تخوِّف نفسك من عقابِ الله وبطشِه ، وأنه إذا دعتك قدرتك على ظلم العباد ؛ فتذكَّرْ قدرة رب العباد عليك ؛ وقد قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾[البروج:١٢] أي : إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام لقويَّةٌ شديدة ، وهو للظالمين بالمرصاد[١] ؛ فإنك إن أمضيت غضبك على خلق الله، فلا تأمن أن يمضي الله فيك غضبه عاجلًا أو آجلًا ؛ فتذكر هذا عند الغضب – رحمني الله وإياك – .

○ ورحم الله من قال :

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مُقتدرًا
فالظلمُ ترجعُ عقباهُ إلى الندمِ
تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ
يدعو عليك وعينُ الله لم تنمِ

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (ص ٤٨٩) .

(٥)

استحضارُ ثمرةِ الغضبِ المرَّة

وقد تقدَّم التذكير بهذا ؛ فتذكر حالك عند الغضب من قُبح الصورة ، واستحالة الخِلْقة ، واحمرار الوجه ، وانتفاخ الأوداج ، وارتعاد الأطراف ، واضطراب الكلام ، وتخبط الألفاظ[١] .

وعليك ألا تغفل عن نفرة الناس منك ، وانحراف القلوب عنك ، وحذرها من القرب منك - لسوء خُلُقك - فتبقى وحيدًا فريدًا .

وكذلك عليك أن تعلم أن الغضب سوف يُربي ويشعل نار العداوة مع الآخرين ، وقد يصل بعد ذلك إلى الانتقام والاعتداء ؛ بل وإلى سفك الدماء !!

وتذكَّرْ أيضًا ما جاء في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد ، وأن أقرب ما يكون العبد من غضب الله وسخطه إذا غضب ، ونفَّذ غضبه مع

---

(١) وراجع : « الاستقامة » لشيخ الإسلام (٢ / ٢٧٢) ط مكتبة السنة .

غيره ؛ وقد سُئل النبيُّ ﷺ ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ الله! مَا يَمْنَعُنِي [١] مِنْ غَضَبِ الله تَعَالَى ؟ قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » [٢] .

❀❀◊❀❀

(١) وفي رواية : (مَا يُبَاعِدُنِي) ؛ لكنها من رواية ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عند أحمد ؛ كما سيأتي .

(٢) حديثٌ صحيحٌ ، ستأتي الإشارة إليه إن شاء الله .

(٦)

السكوتُ والإمساكُ عن الكلام[١]

فإنك إن أمسكتَ عن الكلام حالَ الغضب ، وحبست اللسان وألجمته ، زالَ الشر وانتهى ؛ فحاول أن تعالجه وقتئذٍ بذاك الصمت والكفِّ عن الحديث ؛ وهو دواءٌ سهلٌ يسيرٌ بإذنِ الله ؛ قَالَ ﷺ : « مَنْ صَمَتَ نَجَا[٢] » .

---

(١) لذا ؛ فلا ينبغي لشخصٍ أن يُصدر أحكامًا وقراراتٍ وقت غضبهِ ، بل عليه أن يُمسك ، وأن يتمهل ويتوقف إلى حين يزول غضبُهُ ؛ ذلك لأن الحاكم حالة الغضب قد يحيدُ عن الصواب ، ويتجاوز إلى غير الحق في حكمه ؛ فمن ثَمَّ مُنع ؛ كما في « **الصحيحين** » (خ ٧١٥٨ و م ١٧١٧) من حديث أبي بكرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : « **لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، وَهْوَ غَضْبَانُ** » وانظر (« **الفتح** » ٣/١٤٦و ١٤٨) .

● **فائدة : قال ابن القيم** رحمه الله **في « إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان »** (ص : ٦٥) : « إن الفقهاء اختلفوا في صحة حكم الحاكم في الغضب على ثلاثة أقوال ، وهي ثلاثة أوجه في مذهب أحمد : أحدها : لا يصح و لا ينفذ ؛لأن النهي يقتضي الفساد . والثاني : ينفذ . والثالث : إن عرض له الغضب بعد فهم الحكم نفذ حكمه ، وإن عرض له قبل ذلك لم ينفذ ... » إلى آخر كلامه .

(٢) **حديثٌ صحيحٌ** ؛ أخرجه الترمذيُّ في (« **السنن** » ٢٥٠١) من حديث =

● قال المباركفوريُّ رحمه الله[1] : « قوله (مَنْ صَمَتَ) أي : سكت عن الشر (نَجَا) أي : فاز وظفر بكلِّ خير ، أو نجا من آفات الدارين .

قال الراغبُ : الصمت أبلغ من السكوت ؛ لأنه قد يستعمل فيما لا قوة له للنطق ، وفيما له قوة للنطق ، ولهذا قيل لما لا نطق له : الصامت ، والمصمت ، والسكوت يقال لما له نطق فيترك استعماله .

فالصمت في الأصل سلامة . لكن قد يجب النطق شرعًا .

ومقصودُ الحديث : أن لا يتكلم فيما لا يعنيه ويقتصر على المهم ؛ ففيه النجاة ».

= عبد الله بن عمرو مرفوعًا به .

● قُلْتُ : وفي سنده ابن لهيعة ؛ وهو ضعيفٌ لاختلاطِهِ ؛ إلا أنه توبع من عمرو بن الحارث عند الطبراني في (« المعجم الكبير » قطعة من الجزء ١٣ برقم ١١٤) (بتحقيق الشيخ حمدي السلفي) . وسندُهُ صحيح باستقلاله ؛ وقد جوَّدهُ الحافظ العراقي ؛ كما في (« تحقيق الإحياء » ٣/ ١٧٣)، وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣/ ٥٣٦) (٣٩) : « رواته ثقات » .

وله شاهدٌ بلفظ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْزَمِ الصَّمْتَ » راجعه في (« الضعيفة » ١٦٥٥) .

(١) « تحفة الأحوذي » (٦/ ٤٢٠) .

● وفى « مسند أحمد[١] » و(« الأدب المفرد » للبخاري) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا ، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ » .

(١) (٤ / ٣٩ و ٣٣٨) (٥/ ٤١٣ الرسالة) و (« الأدب المفرد » ٢٤٦ و ١٣٥٨) والطيالسى في (« المسند » ٢٧٣٠) من طرق : عن ليث - وهو ابن أبي سليم - عن طاووس عن ابن عباس مرفوعًا به .
● قُلْتُ : وليث بن أبي سليم ؛ ضعيف لاختلاطه ؛ قال الحافظ في « التقريب » : « صدوق ، اختلط أخيرًا ، ولم يتميز حديثه فترك ».
ومع ذلك ؛ فقد رمز له السيوطي لصحته في (« الجامع الصغير » كما في « الفيض » ٤/٣٢٨) .
ورمز لحسنه في أوائل (« الجامع » كما في « فيض القدير » ١/ ٤٠٧) ؛ وقد صححه العلامة أحمد شاكر في (« تحقيق المسند » ٢١٣٦ و ٢٥٥٦) بُناءً على توثيق ليث بن أبي سليم
لكن تعقَّب المناويُّ السيوطيَّ بقوله :
« ليس بسديد . قال الهيثمي : فيه ليث بن أبي سليم - وهو مدلس - ، ولم يخرج له مسلم إلا مقرونًا بغير ه » .
ولم أقف على هذا السياق في « المجمع » إلا أنى رأيتُ قولًا يعارضه ؛ ففي (« المجمع » ٨/ ٧٠) قال بعدما عزاه لأحمد والطبراني : « ورجال أحمد ثقات ؛ لأن ليثًا صرَّح بالسماع من طاووس ».
● قُلْتُ : وليس التضعيف لأجل تدليس ليث ؛ فإنه غير موصوف بذلك ، لكنه من أجل اختلاطه ؛ ومما يؤيده قولُ الهيثميِّ في موضع آخر من (« المجمع » ١/ ١٣١): « وفيه ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف ».
○ هذا ؛ وقد أشار العلامة الألباني رحمه الله في « الصحيحة » (١٣٧٥) إلى متابعة =

وفي رواية : « **وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ** » قَالَهَا ثَلَاثًا .

فعليك بالصمت حينئذٍ ، فإنه خيرٌ لك إلا من ذكرٍ أو خيرٍ تفعله ؛ ففي « **الصحيحين** »[(١)] من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** ».

فالسنَّةُ ؛ الإمساك عن الكلام إلا كلامًا فيه خير .

لعمركَ إن الحلم زيـــنٌ لأهلــه
ومـــا الـحِلْـم إلا عــادةٌ وتحلُّمُ
إذا لم يكن صمتُ الفتى عن ندامة
وعَيٍّ ؛ فإن الصمتَ أولى وأسلمُ[(٢)]

= لليث ، لكنها -كما قال رحمه الله - لا يفرح بها ، فسنغضُّ الطرف عنها .

● **قُلْتُ** : وللحديث شاهدٌ - أشار إليه الشيخ رحمه الله أخرجه ابن شاهين في (« **الفوائد** » برقم ١ تحقيق الشيخ بدر البدر) (ص : ٧٣) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ولفظه : « **إِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ** » . وهو شاهدٌ قويٌّ للحديث ، لولا عدم معرفة شيخ ابن شاهين وشيخ شيخه ، كما نبَّه الشيخ البدر - حفظه الله - ؛ فالإسناد حسن بدونهما.

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) .

(٢) نسبت لعليِّ بن هشام الشاعر ؛ كما عند ابن عساكر في « **تاريخه** » (٤٣ / ٢٦٦) .

وقال بعضُهم :

إِذا نطقَ السفيهُ فلا تجبْهُ ... فخيرٌ من إِجابتِه السكوتُ

فإِن كَلَّمْتهُ فَرَّجْتَ عنه ... وإِن خليتـه كمـداً يموتُ[1]

وقال الشَّاعر:

يُخاطِبُني السفيهُ بكلِّ قبحٍ ... فأكرَهُ أن أكونَ لـه مجيبًا

يزيدُ سفاهةً وأزيدُ حِلمًا ... كعودٍ زادَهُ الإِحراقُ طيبًا[2]

وخيرٌ من ذلك قول الله تَعَالَى في صفات المؤمنين : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

● **قال ابنُ رجبٍ الحنبلي في « جامعه » (ص : ٣٦٦ الرسالة) :**

« وهذا أيضًا دواءٌ عظيمٌ للغضب ؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبهِ كثيرًا من

---

(١) من أبيات مؤمل الشاعر ؛ كما عند البيهقيِّ في « **الشعب** » (٦/ ٣٦٢) ، ونسبت لغيره ؛ كالشافعي ، وذلك في « ديوانه » ، وكسالم بن ميمون الخواص ؛ كما في « **روضة العقلاء** » لابن حبان (ص : ١٤٢) ولغيرهم .

(٢) نسبت لعليٍّ بن أبي طالب ﷺ ؛ وهو في « **ديوان** » عليٍّ ﷺ ، ونسبت للإمام الشافعي ﷺ وهو في « **ديوانه** » كذلك .

السباب وغيره مما يعظم ضررهُ ، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه ، وما أحسنَ قولَ مورق العجلي رحمه الله: « ما امتلأتُ غيظًا قطُّ ، ولا تكلَّمتُ في غضبٍ قطُّ بما أندمُ عليه إذا رضيت »[١]. وغضب يومًا عُمرُ بن عبد العزيز ؛ فقال له ابنه عبد الملك - رحمهما الله - : أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضَّلك به تغضبُ هذا الغضب ؟ فقال له : أوَمَا تغضب يا عبد الملك ؟ فقال عبد الملك : وما يُغني عنِّي سعةُ جوفي إذا لم أُردِّدْ فيه الغضب حتى لا يظهر[٢] ؟!

فهؤلاء قومٌ قللوا أنفسهم عند الغضب رضي الله عنهم » . انتهى

● **وَقَالَ الـمُناويُّ في « الفيض » (١/ ٤٠٧) :**

(« **إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ** » لشيءٍ نابه « **فَلْيَسْكُتْ** » عن النطق بغير الذكر المشروع ؛ لأنَّ الغضب يصدر عنه من قبيح القول ما يوجب الندم عليه عند سكونِ ثورة الغضب .

---

(١) أخرجه ابن حبان في « **الثقات** » (٥/ ٤٤٦) وأبو نعيم في « **الحلية** » (٢/ ٢٣٥) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « **المصنف** » (٥/ ٣٥٨) ، وأبو نعيم في « **الحلية** » (٥/ ٣٥٨) وابن عساكر في « **تاريخه** » (٣٧/ ٤٥) .

ولأن الانفعال ما دام موجودًا فنارُ الغضبِ تتأججُ وتتزايد ؛ فإذا سكتَّ أخذت في الهدوء والخمود).

وَقَالَ (٤/ ٣٢٨) : (« **إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ** » ؛ فإن السكوت يسكِّن الغضب ، وحركة الجوارح تثيره) .

(٧)

الجلوسُ والاضطجاعُ

● قال ابنُ العربي - كما في - « فيض القدير » (١/ ٤٠٨) :
« والغضبُ يهيج الأعضاء : (اللسان) أولًا ، ودواؤهُ السكوت ، و (الجوارح) بالاستطالة ثانيًا ، ودواؤه الاضطجاع ، وهذا إذا لم يكن الغضب لله ؛ وإلا فهو من الدين ، وقوة النفس في الحق ؛ فبالغضب قُوتلَ الكفار ، وأُقيمت الحدود ، وذُهبت الرحمة عن أعداء الله من القلوب ».

● وقال ابنُ رجبٍ رحمه الله في « جامعه » (ص : ٣٦٠):

« وقد قيل : إن المعنى في هذا أن القائم متهيئٌ للانتقام ، والجالس دونه في ذلك ، والمضطجع أبعد عنه، فأمره بالتباعد عن حالةِ الانتقام » .
- ثم قال - : « ولهذا المعنى قال النبيُّ ﷺ في الفتن : « **إِنَّ الـمُضَّطجِعَ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَاعِدِ ، وَالقَاعِدَ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ ، وَالقَائِمَ خَيْرٌ مِنَ الـمَاشِي، وَالـمَاشِيَ خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي** » . انتهى .

●● وقال ابن قدامة رحمه الله في « مختصر المنهاج » (ص : ٢٣٦) :

« وأما الجلوس والاضطجاع فيمكن أن يكون أُمر بذلك ليقرب من الأرض التي منها خُلق ، فيذكر أصله ، فيذِلَّ ، ويمكن أن يكون ليتواضع بذُلِّه ، لأن الغضب ينشأ من الكبر ». لكن ردَّ هذا الأخير المناويُّ في (« فيض القدير » ١/ ٤٠٧ و ٤٠٨) فقال بعد قوله : « إن القائم متهيئٌ للانتقام ، والجالس دونه ، والمضطجع دونهما ، والقصد أن يبتعد عن هيئة الوثوب والمبادرة للبطش ما أمكن لمادة المبادرة . وحمْلُ الطِّيبي الاضطجاع هنا على التواضع والخفض ؛ لأن الغضب منشؤه الكبر والترفع : صرْفٌ للفظ عن ظاهرِهِ بلا ضرورة » .

وراجع « شرح السنة » للبغوي (١٣/ ١٦٢) ط المكتب الإسلامي .

فمِمَّا يُهدِّئُ الغضبَ عنك ويُسكِّنه كذلك : الجلوس إن كنت قائمًا ، والاضطجاع إن كنت جالسًا .

وقد تقدَّم أنَّ الغضبَ يُهيج الأعضاء ويثيرها ؛ فاللسان يُداوَى بالسكوتِ ؛ كما سبق ، والجوارح تُداوَى بالجلوس والاضطجاع ؛ كما أشرتُ .

ذلك لأن القائم حالَ الغضب متهيئٌ للوثوب والبطش ، والجالس دونه ، وأبعد ما يكون حال الاضطجاع من ذلك وممنوع منه، ثم إنه أدعى لإذلال النفس وطَرْح الكبر ، فتدَبَّرْ هذا والزمْهُ ! تنجو من مغَبَّةِ تلك الأزمة .

● **وفي هذا البابِ** ؛ حديثٌ أخرجه الترمذيُّ في « **السنن**[1] » وأحمد في « المسند » من حديث **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه **قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ** ﷺ **يَوْمًا صَلاَةَ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ ، ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا** ... وكان فيما قال : « **أَلَا**

---

(١) (برقم : ٢١٩١) وأحمد (١٧/ ٢٢٧ و ٢٢٨ الرسالة) من طريق علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا به .

● **قُلْتُ** : **وإسنادُهُ ضعيف** ؛ عِلَّته عليُّ بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيفٌ ؛ لكن للحديث شاهدٌ كما ذكرتُ ، وشاهدٌ آخر عن الحسن مرسلًا كما سأورده في تخريج الشاهد . ثم وقفتُ على طريق أخرى من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : عند نصر بن محمد السمرقنديِّ في كتابه « **تنبيه الغافلين** » (ص: ١٢٧ ط دار الجيل) ؛ **فقال** :

« حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا المسيب عن محمد بن مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إِيَّاكُمْ وَالغَضَب ؛ فَإِنَّهُ يُوقِدُ فِي فُؤَادِ ابْنِ آدَمَ النَّارَ**... » والمسيب هو ابن شريك . وهو صالح في الشواهد - أعني هذه الطريق - ، وقد أرشدني إلى هذه الطريق مؤلف « **فقه الغضب** » (حاشية ص : ٢٠٩) ط الصحابة .

وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ، وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ ، فَمَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَلْصَقْ بِالأَرْضِ »[١] .

● وله شاهدٌ :

أخرجه أحمد في « المسند[٢] » بإسنادٍ رجاله ثقات من حديث أبي ذرٍّ قال (الراوي عنه) : كان (يعني : أبا ذر) يَسْقِي عَلَى حَوْضٍ لَهُ ، فَجَاءَ

---

(١) وفى رواية أحمد : « فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَالأَرْضَ الأَرْضَ ». وعند البغوي في « شرح السنّة » (٤٠٣٩) : « اتَّقُوا الغَضَبَ ؛ فَإِنَّهُ جَمْرَة عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ... فَمَنْ أَحَسَّ ذَلِكَ فَلْيَضطجعْ ، وَلْيَتَلَبَّدْ بِالأَرْض » .

(٢) (٣٥ / ٢٣٨ الرسالة) من حديث : داود بن أبي هندٍ عَن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبي الأسود عن أبي ذر قال : فذكره .

● قال الهيثميُّ في « المجمع » (٨/ ٧١) : « رجاله رجال الصحيح » .

○ قُلْتُ : لكن رواه أبو داود في « السنن » (برقم : ٤٧٨٢) ومن طريقه البيهقيُّ في « الشعب » (٨٢٨٤) ، وابن حبان في « الصحيح » (٥٦٨٨) والمزيُّ في « تهذيبه » (٣٣/ ٢٣٥) من طريق داود بن أبي هند به (لكنْ بإسقاط : أبي الأسود) . ثم أعقبه أبو داود بطريق آخر (برقم : ٤٧٨٣) من طريق داود عن بكر - وهو المزني - أن النبي ﷺ بعث أبا ذر فذكره مرسلًا .

● قال أبو داود :

(وهذا أصح الحديثين) اهـ. يعني أن المرسل أصح من المرفوع الذي أخرجه هو نفسه . وكذا رجَّحه الدارقطنيُّ في « العلل » (١١٣٥) .

○ قُلْتُ : وله شاهدٌ ؛ أخرجه عبد الرزاق في (« المصنف » ٢٠٢٨٦) عن الحسن مرسلًا بلفظ : « إِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ ، وَإِلَى احْمِرَارِ عَيْنَيْهِ ، فَإِنْ وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ ؛ فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَقْعُدْ ، =

قَوْمٌ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ يُورِدُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ وَيَحْتَسِبُ شَعَرَاتٍ مِنْ رَأْسِهِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا ، فَجَاءَ الرَّجُلُ فَأَوْرَدَ عَلَيْهِ الْحَوْضَ فَدَقَّهُ ، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَائِمًا فَجَلَسَ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا ذَرٍّ! لِمَ جَلَسْتَ ، ثُمَّ اضْطَجَعْتَ ؟ قَالَ : فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا :

« إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ » (١) .

● **قال الإِمَامُ الخطابيُّ في « معالم السنن » (٤ / ١٠٠) :**

« القائمُ متهيئٌ للحركة والبطش ، والقاعد دونه في هذا المعنى ، والمضطجع ممنوعٌ منهما ، فيشبه أن يكون النبيُّ ﷺ إنما أمره بالقعود

= **وَإِنْ كَانَ قَاعِدًا فَلْيَتَّكِ »**.

وإسنادٌ ضعيفٌ لإرساله كما ترى ؛ وهو عند البيهقيِّ في (« الشعب » ٨٢٩٠).

● وقد أشار الحافظ ابن رجب في « جامعه » (ص : ٣٦٥) إلى شاهدٍ له من حديث أنس ، ولم يذكر في أي الكتب هو . **والحديث في الجملة صحيحٌ** لغيره ، وقد صحَّح غيرُ واحدٍ سند أحمد باستقلاله من حديث أبي ذر مرفوعًا به . وحديث أبي سعيد قد يتقوَّى بالشواهد المذكورة كذلك ، ولعلَّه من أجل ذلك قال الترمذيُّ عنه : « حسن صحيح » ، وحسَّنه كذلك البغوي في « شرح السنَّة » (٤/ ٢٤٢).

(١) وهذا اللفظ جاء من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ الذي سبق من طريق علي ابن زيد به . والذي أخرجه السمرقنديُّ في « تنبيه الغافلين » (ص : ١٢٧) .

والاضطجاع ؛ لئلا تبدر منه في حال قيامه وقعوده بادرة يندم عليها فيما بعد ، والله أعلم » .

ﮋﮋ ◊ ﮊﮊ

(٨)

الوضوءُ أو الاغتسال

وهذا مما يسكن الغضب كذلك ويهدؤه . فكما تقدّم أن الغضب جمرةٌ توقد في قلب ابن آدم ، وإطفاؤها يكونُ بالماءِ ؛ وهذا المسكِّن مستفادٌ بالتجربة العملية [١] .

● وكما ورد في « **سنن أبي داود** [٢] » و « **مسند أحمد** » **بإسنادٍ** ضعيفٍ من حديث عطية السعدي ﷺ ؛ وذلك من طريق : أبي وائل القاصِّ قال :

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في « **الزاد** » (٢/ ٤٦٣) : « ولما كان الغضبُ والشهوةُ جمرتين مِن نارٍ في قلبِ ابن آدم ، أمر أن يُطفئهما بالوضوء و... ».

(٢) (برقم : ٤٧٨٤) وأحمد في « **المسند** » (برقم : ١٧٩٨٥) ط الرسالة .

● **قُلتُ** : وإسناد هذا الحديث ضعيف كما تقدّم ؛ إذ فيه مجهولان ، وقد شرح ذلك العلامة الألباني رحمه الله في « **الضعيفة** » (٢/ ٥١) (برقم : ٥٨٢) ، وراجع (« **الميزان** » ٢/ ٣٩٥ للذهبي).

= ○ وقد ذهب إلى تحسينه بعضُ من يشتغل بالحديث في عصرنا ؛ فقال في تحَقيق (« **جامع العلوم والحكم** » للحافظ ابن رجب رحمه الله) (ص : ٣٦٦ =

دخلنا على عروة بن محمد السعدي فكلَّمهُ رجلٌ فأغضبه ، فقام فتوضأ ، ثم رجع وقد توضأ ، فقال : حدثني أبي عن جدِّي عطية قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ » وفي رواية[1] :

من حديث معاوية : (فَلْيَغْتَسِلْ) ؛ لكنها أيضًا لا تصح .

ﮋﮋ◊ﮊﮊ

= ط الرسالة) : « وسندُه حسن ؛ وأخطأ من ضعّفه ممن ينتحلُ صناعَة الحديث في زماننا » انتهى .

● **قُلتُ** : يقصدُ الشيخَ الألباني بذلك - فقد ضعَّفه الشيخ كما في المصدر المتقدِّم وكما في « **ضعيف الجامع** » (برقم : ١٥١٠) وغيرِه - . والحقُّ هو ما ذهب إليه الشيخ العلامة الألباني رحمه الله من تضعيف الحديث . ثم وجدتُ الشيخ الأرناؤوط قد تراجع - بعد تخطئته من ضعفه ممن ينتحل ! صناعَة الحديث !! - فضعَّفهُ نفسه ! في تحقيقه « **للمسند** » (برقم : ١٧٩٨٥) (٢٩/ ٥٠٥) ، فلمَ العجلة في النقد ! .

(١) عند أبي نعيم في « **الحلية** » (٢/ ١٣٠) .

(٩)

الاستعانةُ بالصلاة[١]

وهذا أفضلُ سلاح ، وأعظمُ دواء ؛ (الاستعانة بالصلاة عند الغضب) ، وعند حدوث أيِّ ضيقٍ على وَجْهِ العُموم ؛ وقد قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة ٤٥ : ٤٦] .

وقد نُعي إلى ابن عباس أخوه قُثم ، وهو في سفر ، فاسترجع ، ثم تنحَّى عن الطريق ، فأناخ فصلَّى ركعتين أطال فيهما الجلوس ، ثم قام يمشي إلى راحلته ، وهو يقول : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .[٢]

---

(١) قال ابنُ القيم في (« الداء والدواء » ص : ١٣٧) : « اعلموا أن الغضب جمرةٌ في قلب ابن آدم ، وإنما تطفأ النار بالماء ، والصلاة ، والتكبير ؛ فإياكم أن تُمكِّنوا ابن آدم عند غضبه » .

(٢) أخرجه الطبريُّ في « التفسير » (برقم : ٨٥٢) بسندٍ حَسَنٍ عن عبد الرحمن ابن جوشن .

○ وقَالَ تَعَالَى :﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الحجر٩٧ : ٩٨] ؛ أي : من المصلين . فافزع إلى الله فيما نابك وضاق منك صَدْرُك بالتسبيح والتحميد والصلاة يكفك ، ويكشف الغم عنك[١] . ففي الصلاة كشفٌ للغمة، وتفريجٌ للكربة ، وشرحٌ للصدر ، وتثبيتٌ للأمر .

● وكان النبيُّ ﷺ إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة[٢] .

● وفي « **مسند أحمد** » و « **السنن الكبرى** » للنسائي[٣] بسندٍ جيدٍ من حديث عليٍّ بن أبي طالب ﷺ قال : « **لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ وَمَا مِنَّا**

---

(١) « **تفسير ابن عجيبة** » (٣/ ٤٢٧) .

(٢) كما في « **سنن أبي داود** » (١٣١٩) و « **مسند أحمد** » (٥ / ٣٨٨) و« **تفسير الطبري** » (برقم : ٨٥٠ و ٨٥١) بإسنادٍ حسَّنهُ الحافظ في (« **الفتح** » ٣/ ١٧٢) من حديث حذيفة ﷺ قال: « **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى** » .
قال في « **النهاية** » (١ / ٣٦٩) : « حزبه ؛ أي : نزل به أمر مهمٌّ ، أو أصابه غمٌّ » ، ورُويَ بالنون من الحزن ؛ كما في « **عون المعبود** » (٣/ ١٢١) لكن لم أره مسندًا ، والله أعلم .
● وأيضاً؛ حين دخل إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة أرضَ الجبَّار قام الخليل إلى الصلاة ؛ كما في « **صحيح مسلم** » (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . وهو عند البخاريِّ (٣٣٥٧) موقوفًا .

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٣٨) والنسائيُّ في « **الكبرى** » (برقم : ٨٢٥) ط الرشد ، والطيالسي في « **مسنده** » (١١٦) وابن خزيمة في « **صحيحه** » =

إِنْسَانٌ إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ » .

وهكذا الأنبياء جميعهم إذا فزعوا ، فزعوا إلى الصلاة..[1]. ولأنها تشتمل على الاستعاذة ، والعون .

● **فائدة : قال الإمام الطبريُّ** رحمه الله[2] : « فإن قال لنا قائلٌ : فما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله ، وترك معاصيه ، والتعري عن الرياسة ، وترك الدنيا ؟ قيل : إن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله ، الداعية آياته إلى رفض الدنيا ، وهجر نعيمها ، المسلية النفوس عن زينتها وغرورها ، المذكرة الآخرة ، وما أعد الله فيها لأهلها ؛ ففي الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجدِّ فيها » .

= (برقم : ٨٩٩) والمروزيُّ في « **تعظيم قدر الصلاة** » (٢١٣) .
● **قُلْتُ** : ورجالُهُ ثقات . وانظر (« **العلل** » للدارقطني ٤/ ١٢٠ و١٢٢).

(١) كما في « سنن الترمذي » (٣٣٤٠) وأحمد (٦/ ١٦) بإسنادٍ صحيح من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا . لكن لعل هذا الوارد مدرجٌ من قولِ ثابت البناني في سياقِ حديث صهيب هذا ؛ - أعني قوله - فيه : « **وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوا ؛ فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ** » - ؛ فراجع « **الضعيفة** » (٦/ ٢٨٠) و (« **روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء والمرسلين** » ص : ٤٢٦ و ٤٢٧ ط - الفاروق) .

(٢) في « **تفسيره** » (١/ ٣٧٢) ط السلام .

● وفي « سنن أبي داود[١] » و « مسند أحمد » من حديث عَبْدِ الله بْـنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْـحَنَفِيَّةِ عَنْ صِهْرٍ لَنَا مِنَ الأَنْصَارِ ؛ أَنَّهُ قَـالَ لِبَعْضِ أَهْلِهِ : « يَا جَارِيَةُ ! ائْتُونِي بِوَضُوءٍ لَعَلِّي أُصَلِّي فَأَسْتَرِيحَ ، فَرَآنَا أَنْكَرْنَا عَلَيْهِ ذَاكَ ؛ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « قُمْ يَا بِلاَلُ ! أَقِمْ فَأَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ » .

فالصلاة راحةٌ وطمأنينة ، وسعادة وسكينة ؛ وهي قُرَّة عين النبي ﷺ ، وراحة نفسه ، والعبد إذا أقبل ولجأ بها إلى الله تَعَالَى من أي نصب أو وصب أو همٍّ أو غمٍّ أو حزَن ؛ فإنه سيشعر بالمواساة والمناجاة ، والتأييد من الله تَعَالَى له ، فينجو من المهالك ، ويسلم من المعاطب والمخاوف ، ومن متاعب الدنيا وأشغالها !!

● فاستعن بالصلاة في جميع أمورك؛ وأكثر فيها من التضرع ، والابتهال، والذكر ، والدعاء ؛ فإن أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد[٢] .

---

(١) (برقم : ٤٩٨٦) وأحمد (٥/ ٣٦٤و٣٧١) ، والطحاوي في « المشكل » (١٤/ ٨٧) والخطيب في « تاريخه » (١٠ / ٤٤٢) وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٧١٤٩) وصححه الزيلعيُّ في « تخريج الكشاف » (١/ ٦٢) ووافقه الألباني وغيره .

● قُلْتُ : ورجالُهُ ثقات . وفي إسناده اختلاف على سالم بن أبي الجعد ، وانظر (« العلل » للدارقطني ٤/ ١٢٠ و١٢٢).

(٢) كما في « صحيح مسلم » (رقم : ٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

● قُلْتُ : وقد أورد جملة أحاديث طيبة في فضل الصلوات وكثرة السجود ؛ =

فالصلاةُ من أكبر العون على الثبات في الأمرِ ؛ وقد قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: من الآية٤٥] .

● **قال ابن القيم** رحمه الله[1] : « والمقصودُ أنه سبحانه أرشد عباده إلى ما يدفعون به شرَّ قوتي الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة ».

= شيخنا أبو عبد الله عليُّ بن المغربي - طيَّب الله ثراه - في كتابه الجليل « **الصحيح المسند من فضائل الأعمال والأوقات والأمكنة** » (١/ ٥٦ – ٩٦ ابن عفان) فانظرها غير مأمور .

(١) « **زاد المعاد** » (٢ / ٤٦٣) ط الرسالة .

● أعظمُ الناسِ قوّةً مَن يحلُم وقت الغضب(١) ●

(١) وذلك بأن لا يُعجِّل العقوبة ؛ بل يتمهل ويتريث ويتروَّى ؛ وقد سُئل بعضهم عن الفتوة ؟ فقال : « الصفح عن عثراتِ الإخوان » . وكان بعضُ السلف يتمثل بهذا البيت :

ليست الأحلام في حالِ الرضا إنما الأحلام في حالِ الغضبِ

● **مسألة :**

● **سؤال :** رجلٌ اعتدى على رجلٍ فضربه أو أخذ ماله أو أهانه أو ... فهل الأفضل العفو أم لا ؟

●● **وجوابُهُ**؛ أنه يُفرّق بين الظالم الجائر وغيره؛ فقد قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في (« **الفتاوى** »٣٠/ ٣٦١) : « لا يكون العفو عن الظالم ». وانظر كلامَهُ إلى (٣٠/ ٣٦٩).

○ **وقال العلامة ابن عثيمين** رحمه الله في (« **شرح رياض الصالحين** » ٢/ ٣٩٧) :

« نقول : في هذا تفصيل : إن كان الرجل شريرًا سيئًا إذا عفوت عنه ازداد في الاعتداء عليك ، وعلى غيرك ، فلا تعف عنه ، فهو ليس أهلًا للعفو ، لأن الله يقول : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾ [الشورى: من الآية٤٠] والعفو في مثل هذه الحال ليس بإصلاح .

– أما إذا كان الرجل حَسَنَ الخلق ، لكن بدرت منه هذه الإساءة ، فالأفضل العفو عنه : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ؛ والنفس ربما تأمرك أن تأخذ بحقك ، ولكن كما قُلْتُ : إذا كان الإنسان أهلًا للعفو ؛ فالأفضل أن تعفو عنه ، وإلا فلا ».انتهى .

○ **ونحوُه قالَه شيخُهُ العلامةُ السعدي** رحمه الله في (« **مجموع الفوائد واقتناص الأوابد** » ص : ٦٣ و ٦٤) ط - ابن الجوزي .

إن القوةَ الحقيقيةَ ليست بغلبةِ الرجالِ ومصارعتهم - وإن كانت هذه من القوة ؛ فالمؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير - لكن القوَّة الأساسية لدى الشخص هي ضبط النفس عند الغضب ، **والعفو عند الإساءة مع القدرة على الانتقام .**

● وفي « **الصحيحين**[١] » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**[٢] **، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ** » .

وفي رواية[٣] :

« **لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ** » .

وفي رواية لأحمد[٤] (٥ / ٣٦٧) من حديث رجلٍ شهد رسول الله ﷺ يخطب ؛ وفيه أنه قَالَ : « **مَا الصُّرَعَةُ ؟** ». قَالُوا : الصَّرِيعُ . فَقَالَ :

---

(١) (خ ٦١١٤ و م ٢٦٠٩) .
(٢) الذي يصرع الرجال بقوته كثيرًا .
(٣) لابن حبان ؛ كما في (« **الموارد** » ٢٥١٨ للهيثميِّ).
(٤) وفيه أبو حصبة أو ابن حصبة جهَّله غيرُ واحدٍ من أهل العلم ؛ كالحسينيِّ وغيره ؛ كما في « **المجمع** » للهيثمي (٣/ ٢٢) وقد حسَّنَهُ العلامة الألبانيُّ في « **صحيح الجامع** » (٣٨٥٩) ؛ فلعله لشواهده ، فقد صحَّحه لغيره الشيخ الأرناؤوط في تعليقه على « **المسند** » (٢٣١١٥) .

« الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ ، الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ ؛ الرَّجُلُ يَغْضَبُ فَيَشْتَدُّ غَضَبُهُ ، وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ ، وَيَقْشَعِرُّ شَعَرُهُ ، فَيَصْرَعُهُ غَضَبُهُ ».

● وفي « صحيح مسلم[1] » من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : « مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ ؟ ». قالوا : الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ . فَقَالَ : « لَيْسَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ».

● قال الإمام الخطابيُّ في « معالم السنن » (٤/ ١٠٠) :

« الصرعة - مفتوحة الراء - هو الذي يصرع الرجال ويغلبهم في الصراع » .

● وقال الحافظ في « الفتح » (١٠/ ٥٣٥) :

« الصُّرعة - بضم الصاد وفتح الراء - : الذي يصرع الناس كثيرًا بقوته ، والهاء للمبالغة في الصفة ، والصرعة بسكون الراء بالعكس ، وهو من يصرعه غيره كثيرًا ، وكل ما جاء بهذا الوزن بالضم وبالسكون ؛ فهو كذلك كهمزة ولمزة وحفظة وخدعة وضحكة .. ».

(١) (برقم : ٢٦٠٨) .

● وفي « مسند البزَّار » بإسنادٍ حسَّنَهُ الحافظُ في « الفتح[1] » من حديث أنس أن النبيَّ ﷺ مَرَّ بِقَومٍ يَصْطَرِعُونَ ؛ فَقَالَ : « مَا هَذَا ؟ » قَالُوا : هَذَا فُلانٌ الصَّرِيعُ ! مَا يُصَارِعُ أَحَدًا إِلَّا صَرَعَهُ ؛ فَقَالَ : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ ؟ رَجُلٌ كَلَمَهُ [ظَلَمَهُ] رَجُلٌ ، فَكَظَمَ غَيْظَهُ ، فَغَلَبَهُ ، وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ ، وَغَلَبَ شَيْطَانَ صَاحِبِهِ ».

● قال ابنُ بطال؛ كما في (« الفتح » ١٠/ ٥٣٧) :

« وفي الحديث الأول أن مجاهدة النفس أشدُّ من مجاهدةِ العدو ، لأنه ﷺ جعل الذي يملك نفسه عند الغضب أعظمَ الناس قوة ».

● وقال شيخ الإسلام في « الاستقامة » (٢/ ٢٧١) :

« والشجاعة ليست هي قوة البدن ؛ فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب .. ، ولهذا كان القويُّ الشديد هو الذي يملك نفسه عند

(١) (« الفتح » ١٠/ ٥٣٥) .
○ قُلتُ : وهو في « كشف الأستار » (برقم : ٢٠٥٤) وفي سنده شعيب بن بيان ، وعمران - يعني : القطان - وفيهما ضعف ؛ كما في « التقريب » (٣٠٩٢ و ٥٧٩٨) و « المجمع » (٨/ ٦٨) لكن لعلَّه لشواهده حسَّنَهُ الحافظ ؛ والله أعلم .

الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح ؛ فأما المغلوب حين غضبه ؛ فليس هو بشجاع ولا شديدٍ » .

فالحليمُ العاقل لا يقابل النار بالنار ، ولا الإساءة بالإساءة ، ولا الشر بالشر ، ولا يرد على السفيه سفاهته ؛ بل يتماسك ولا يهتز ولا يضطرب ، وقد جعل الصمت رائده ، والحلم قائده . ولربما صبر الحليم على الأذى حتى يُرى وكأنه يتدلَّه .

ولربما حجب الحليمُ ❓ جوابَهُ بالصمت منه وإنه لمفوَّهُ

والصمت للمرء الحليم وقاية ❓ ينفي بها عن عرضهِ ما يكره .

● وفي « صحيح البخاري[1] » من حديث أنس رضي الله عنه قال :

« كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : « غَارَتْ أُمُّكُمْ » ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ، فَدَفَعَ

(١) (برقم : ٥٢٢٥).

الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وَأَمْسَكَ الْـمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ فيه ».

● قال الحافظ في (« الفتح » ٩/ ٢٣٦) : « وقال شُرَّاحُ الحديث : فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها ؛ لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة ».

● وأخرج النسائيُّ في « السنن[1] » بإسنادٍ صحيح من حديث أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ أَنَّهَا - يَعْنِي - أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَّزِرَةً بِكِسَاءٍ ، وَمَعَهَا فِهْرٌ[2] ، فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فِلْقَتَي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : « **كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ** ». مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَةَ ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ ».

○ ويُلاحظ أن المسامحة هنا لكونها على شخصه ﷺ ، أما إذا كان الخطأ على الشرع ، فهو عليه الصلاة والسلام لا يحابي زوجةً ولا قريبًا ولا صديقًا ؛ بل الشرع عنده فوق كلِّ أحد .

---

(١) (٧/ ٧٠) .

(٢) أي : حجر .

● وما أحلى وأغلى وأجلى وأجمل هذا الخُلُق العالي من سيد الخلق ﷺ ؛ كما في الحديث الذي رواه البخاريُّ ومسلم[١] من حديث أنس بن مالك ﷺ قال :

كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ[٢] غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً[٣] ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ[٤] النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ، فَضَحِكَ[٥] ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ »[٦] . بأبي هو وأمي ﷺ .

---

(١) (خ ٣١٤٩ و م ١٠٥٧) .

(٢) نسبة إلى نجران بلد معروف بين الحجاز واليمن (« الفتح » ١٠/ ٥٢١) .

(٣) في رواية لمسلم : (**ثُمَّ جَبَذَهُ إِلَيْهِ جَبْذَةً . رَجَعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي نَحْرِ الأَعْرَابِيِّ**) وفى رواية أخرى : (**فَجَاذَبَهُ حَتَّى انْشَقَّ الْبُرْدُ ، وَحَتَّى بَقِيَتْ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**) .

(٤) عند مسلم : (**إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ النَّبِيِّ ﷺ**) .

(٥) أي : النبي ﷺ .

(٦) ● **قُلتُ** : وهذا لأن الخطأ على شخصه ﷺ فيُسامح - وخاصة على الجفاة من الأعراب - ؛ لكن إن كان الخطأ على الحق والدين ؛ فإنه كان يغضب وينتقم لله تعالى .

● قال الحافظ في (« الفتح » ١٠/ ٥٢٢) :

« وفي هذا الحديث بيان حلمه ﷺ ، وصبره على الأذى في النفس والمال والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام ، وليتأسَّى به الولاة بعدهُ في خُلقهِ الجميل من الصفح ، والإغضاء ، والدفع بالتي هي أحسن ».

« فانظر إلى هذا الخُلُق الرفيع ؛ لم يوبِّخه النبي ﷺ ، ولم يضربه ، ولم يكفهر في وجهه ، ولم يعبس ؛ بل ضحك ﷺ ، ومع هذا أمر له بعطاء .

○ ونحنُ لو أن أحدًا فعل بنا هذا الفعل ما أقررناه عليه ، بل لضاربناه! وأما الرسول ﷺ الذي قال الله فيه :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] ؛ فإنه التفت إليه ، وضحك إليه ، وأعطاه العطاء ؛ فصلوات ربي وتسليماته عليه .

○ وهَكَذَا ينبغي للإنسان أن يكون ذا سعة ، وإذا اشتد الناس أن يسترخي هو؛ وسُئل معاوية ﵁ : « بم سُسْتَ الناس ؟ » - وذلك لأن معاوية معروف بالسياسة والحكمة - فقال[1] : « أجعلُ بيني وبين الناس

(١) أخرجه ابنُ حبان في « **روضة العقلاء** » (رقم : ١٩٢) عن معاوية قال : « لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت » ، قيل : وكيف ؟ قال : « لأنهم إن مدُّوها خليتها ، وإن خلَّوْ مددتها ».

شعرة ؛ فإن جذبوها تبعتهم ، وإن جذبتها تبعوني ، لكن لا تنقطع » ومعنى كلامه : أنه سهل الانقياد ؛ لأن الشعرة إذا جعلتها بيْنك وبين صاحبك إذا جذبها أدنى جذب انقطعت ، لكن من حُسْن سياسته ﷺ كان يسوس الناس بهذه السياسة! إذا رآهم مقبلين استقبلهم ، وإذا رآهم مدبرين تبعهم حتى يتمكن منهم .

فهكذا ينبغي للإنسان أن يكون دائمًا في سياسته الناس رفيقًا حليمًا كما كان النبيُّ ﷺ هكذا »[١] .

○ وفي تفسير قوله تَعَالَى : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران: من الآية٣٩] قيل : (السيد : هو الحليم التقي)، وقيل: (السيد : هو الذي لا يغلبه الغضب) .

○ فلا تكُنْ سريع الغضب يستثيرك كلُّ شيء ، ويستثيرك كلُّ إنسان ؛ بل كن مطمئنًا متأنيًا ؛ ودع للصلح موضعًا[٢] .

---

(١) (« شرح رياض الصالحين » ٢/ ٤٣٣) للعلامة ابن عثيمين – رحمه الله .
(٢) وشتم رجلٌ رجلًا ؛ فقال له : (يا هذا لا تفرط في شتمنا ، ودع للصلح موضعًا) ، والقائل هو عمر بن ذر ، وانظر : (« السير » ٦/ ٣٨٩) .

وهدِّئ من نفسك ، ووسع صدرك ، وافتح قلبك ، واخفض جناحك ، وتخلَّق بخُلق الحلم والأناة[١] .

● ففي « صحيح مسلم[٢] » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ »[٣].

● وفي « صحيح مسلم » كذلك[٤] من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال : « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ

---

(١) وقد ورد أن جعفر الصادق - رحمه الله تعالى - كان له غلامٌ يصب الماء على يديه يومًا؛ فوقع الإبريق من يد الغلام في الطست ، فطار الرشاش في وجه جعفر رحمه الله؛ فنظر إليه نظر مُغضب ، فقال له الغلام : يا مولاي! ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قال : قد كظمتُ غيظي ، قال : ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال : قد عفوت عنك ، قال : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال : « اذهب ، فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى ». (« المستطرف » ١ / ٤١٧) . وورد ذلك عن علي بن الحسين ؛ كما عند البيهقي في « الشعب » (٨٣١٧) .

● قُلْتُ : أما من انتقم ؛ فقد قيل : « من انتقم فقد شفى غيظه ، وأخذ حقه ، فلم يجب شكره ، ولم يُحمد في العالمين ذكره » . والعرب تقولُ : « لا سؤدد مع الانتقام ».

(٢) (برقم : ١٧) .

(٣) قال ابن الرومي في « ديوانه »:

وإذا بغى باغٍ عليك بجهلِهِ فاقتله بالمعروفِ لا بالمنكرِ .

(٤) (برقم : ٢٥٩٤) بابُ فضلِ الرفق ، وهو بابٌ مهمٌّ ؛ فانظره غير مأمور .

إِلاَّ شَانَهُ ». وفي رواية[١] : « **يَا عَائِشَةُ ! إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ** » ، وكلما تخلَّق المسلم بهذه الأخلاق الحميدة ، واتصف بهذه الصفات الجليلة من الرفق والحلم والأناة ، كلما كان أبعد عن صفة الغضب والطيش والعنف والشدة ، أو أن يستهويه الغضب ، وتأخذه عزةُ النفسِ، فلا يقبل من أحدٍ قولًا، ولا يأخذ من أحدٍ نصيحة .

● فإن من الناسِ من إذا قيل له : « اتق الله » ؛ أخذته العزة بالإثم.[٢]

● وإن من الناس من إذا قيل له : « اتق الله » ؛ غضب[٣] ، وقال عليك نفسك .

وهذا غاية الظلم للنفس ، وعدم معرفة ما يصلحها ؛ ولقد أحسن أبو العتاهية - إسماعيل بن القاسم - حيث يقول[٤] :

---

(١) (برقم : ٢٥٩٣) .
(٢) وهذا من الكبرياء على النصيحة ؛ وهو مذمومٌ غاية الذم ، نسأل الله الهداية .
(٣) ● **قُلْتُ** : وقد قيل : « كفى بالمرء إثمًا أن يُقال له : اتق الله ، فيغضب ، ويقول : عليك نفسك » .
(٤) « **الاستذكار** » (٨/ ٢٨٧) و« **التمهيد** » (٧/ ٢٥٠) لابن عبد البر =

ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم

عدوًّا لعقل المرء أعدى من الغضبِ

وهذا أيضًا مناقضٌ لحسنِ الخُلُق .

○ وقد سُئل ابن المبارك ؛ فقيل له : أَجمِلْ لنا حُسن الخلق في كلمة ؟

فقال : « تركُ الغضب ».

● قال ابن رجب رحمه الله في « جامعه[1] » :

« وكذا فَسَّر الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه حُسْنَ الخلق بترك الغضب ».

= و (« المستطرف » ص : ٢١٢) للأبشيهى رحمه الله ، ونسب هذا البيت للكريزي ؛ كما في « روضة العقلاء » لابن حبان (ص : ١٤١) .

● وراجع في ترجمة أبي العتاهية : (« الشعر والشعراء » لابن قُتيبة ٢/ ٧٩١) ؛ فقد قال فيه : (ويُرمى بالزندقة) .

○ **قُلْتُ** : وهذا أستبعدُهُ جدًّا ؛ والله أعلم ، ولقد أحسن الإمام الذهبيُّ رحمه الله حين ترجم له في « السير » (١٠/ ١٩٥) وقال : « أبو العتاهية : رأس الشعراء ، الأديب الصالح الأوحد .. تنسَّك بأخرة ، وقال في المواعظ والزهد فأجاد ، وكان أبو نواس يعظمه ، ويتأدب معه لدينه ، ويقول : ما رأيته إلا توهمت أنه سماويٌّ وأني أرضيٌّ ... ». إلى آخر ما قال .

(١) (ص : ٣٦٣) .

وتفسيرُ هؤلاء الأئمةِ الأعلامِ – أمثالِ ابْنِ المبارك وأحمد وإسحاق – رحمهم الله تعالى رحمة واسعة – لِـحُسْنِ الـخُلُقِ في قضية « تَرْكِ الغَضَبِ » ؛ تفسيرٌ رائعٌ ، بديعٌ ساطعٌ ؛ فحقًّا إِنَّ حُسْن الـخُلُق يَكْمُنُ في ضبطِ النفْسِ ، وعدمِ التعصُّبِ والغضبِ السريع الذي يفرزُ إفرازاتٍ أليمةً موجعةً ؛ فيُخرج صاحبهُ عن حدِّ الأدبِ ، ويُوصلُهُ بمرارةٍ إلى سُوءِ الـخُلُق !!!

○ وَأَهْتَبِلُ الفرصةَ في هذا المقامِ لأسوقَ – لك أيها القارئ – كلامًا ماتعًا يُتحفُنا به شيخُنَا وَإمامُنا مُحَمَّد حَسَّان – بَارك عليه الرَّحمنُ – في بيانٍ شافٍ وتوضيحٍ كافٍ لمنزلةِ حُسْنِ الـخُلُقِ ؛ باعتبارها منزلةً من منازلِ الإحسانِ العظيمِ ، وعلاجًا لـخُلُق الغضبِ الذميمِ ؛ **فيقول مؤصِّلًا ومُفصِّلًا – حفظه الله تعالى – في كتابِهِ النفيسِ : « جبريلُ يَسأَلُ والنبيُّ يُجيبُ »**[1] :

(١) وقد نقلت حديثه وكلماته بتمامها لنفاستها وأهميتها (٧ / ٦٧ – ١٠٧) ط فياض بالمنصورة .

« ما أحوج الأمةَ الآن بصفةٍ عامة ، والصحوة المباركة بصفةٍ خاصة بكلِّ طوائفها من العلماء والدعاة وطلبة العلم إلى هذه المنزلة السامية .

فكم من مظاهر خلابة ؛ لكنك إن فتشت فيها عن حسن الخلق انقلب إليك بصرك خاسئًا وهو حسير ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف:٢، ٣] .

○ وفي الأثر المرويِّ عن عليٍّ ﷺ[(١)] : « يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ ؛ فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ ، وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلاَنِيَتَهُمْ ، يَجْلِسُونَ حِلَقاً فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً ؛ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدَعَهُ ، أُولَئِكَ لاَ تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ تِلْكَ إِلَى الله ﷻ » .

وكم من صاحب لحية لم يتخلق بأخلاقِ صاحب السنة ! وكم من صاحبة نقابٍ وحجابٍ لم تتخلق بأخلاق صاحب السنة !! أنا أتكلَّم هنا

(١) وفي إسناده مقال ؛ وقد أخرجه الدارميُّ في « السنن » (١/ ٢٠٦) وابن عبد البر في « جامعه » (١٢٣٧) والخطيب في « الجامع » (٣٢) .

عن الصفوة ؛ فما ظنك بالعامة ؟!!

إنَّ الأمة الآن تحتاج إلى أن تتربى على حسن الخلق بحُكَّامها ، وعلمائها ، ورجالها ، ونسائها ، وأطفالها ؛ فالأزمة الآن – وربِّ الكعبة – هي أزمة خلقٍ وتربية !!

إن أرض الدعوة - الآن - تحتاج بجِدٍّ وإخلاصٍ إلى علماء ربانيين ودعاةٍ صادقين لا يجاملون - أبدًا - أفرادها على حساب المنهج والتربية والخلق .

● ربما لا ترى – الآن – شابًّا من شبابنا يرحم والدًا من آبائنا في المسجد ؛ فضلًا عن وسيلة المواصلات ، أو الشارع ، أو في وظيفةٍ من الوظائف ـ إلا من رحم ربك ـ ربما يدخلُ عليك في وظيفتك ـ وأنت مسئولٌ ـ رجلٌ في سنٍّ والدك فتنظر إليه باستهتارٍ شديدٍ ، ولا تعطيه مكانته من التوقير والاحترام والإجلال !!

● ربما ترى الأخت تلبس النقاب ، ولكنها ربما خلعت جواربها وقُفَّازها ، وأظهرت نصف وجهها ، وربما تضحكُ في محلٍّ عام ضحكة تلفت أنظار من في المحلِّ جميعًا !!

● ربما ترى رجلًا يحافظ على الصلوات في بيت الله ؛ لكنه سبَّابٌ لعَّانٌ فحَّاشٌ في كل ألفاظه في البيت ؛ فيحتاج إلى حسن الخلق .

● ربما ترى مسئولًا يقف الناس بين يديه لمركزه ومنصبه ؛ لكنه إن تكلم وتحرك لسانه لا يتكلم إلا بالسب واللعن والطعن !

● ربما ترى مهندسًا قد وكَّله الله على أموال المسلمين ؛ لكنه متخصص في الغش والخيانة ، يبني العمارات الشاهقة وبعد سنة أو سنتين تخر العمارة على كلٍّ من فيها ، فيقتل من يقتل ، ويهلك من يهلك !!!

● ربما ترى ابنًا في البيت يسبُّ أباه وأخاه الأكبر منه ، وأخته ، ويضرب أمه ويُهينها !!

● ربما ترى بنتًا خرجت من بيتها عن قصدٍ وعن عمدٍ وهي شبهُ عارية على مرأى ومسمع من أبيها وأمها !!

فنحن قد لا نحتاج إلى كثير من الجوانب المادية الأخرى كما نحتاج إلى حسن الخلق .

فما قيمة علمك إن لم تكن حَسَن الخلق ؟ ما قيمة العلم عند رجلٍ إن زلَّ أخوه زلَّة في حقه نسي كلَّ فضائله ومناقبه ؟!

فحُسْن الخلق ـ أيُّها الإخوة ـ ليس كلمةً ؛ إنما هو منهجٌ ودينٌ ؛ لذا

ستعجب إن عَلِمْتَ أن النبيَّ ﷺ إنما لَـخَّص المنهج الذي بعث به في إتمام حسن الخلق ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« **إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ** »[(١)] .

● **فما هو حُسْن الخلق ؟**

الـحُسْن : ضد القبح ، يُقال : امرأة حسناء يعني جميلة ، ويقال : رجل حسن يعني جميل ، والحُسَّانة ؛ كما قال أهل اللغة هو : أَحَسَنُ مِنَ الحسن ، والخلق : اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها[(٢)] .

● **قال الجُورجانيُّ** ـ وهو من أهل اللغة : « الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة ، يصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير حاجةٍ إلى فكرٍ ورَوِيَّة ؛ فإن كان الصادر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة سُمِّيت هذه الطبيعة أو الهيئة خلقًا حسنًا ، وإن كان الصادر من هذه الهيئة أو الطبيعة الأفعال القبيحة سُمِّيت هذه الهيئة أو الطبيعة خُلقًا سيِّئًا »[(٣)] .

---

(١) سيأتي تخريجه .
(٢) راجع « **مقاييس اللغة** » (٢/ ٥٧ ، ١١٤) و « **القاموس المحيط** » (٤/ ٢١٥ و ٢١٦) و « **لسان العرب** » (١٣/ ١١٥ ـ ١١٧) .
(٣) « **التعريفات** » للجرجاني (١٠٤) وانظر : « **الإحياء** » للغزالي (٣/ ٥٨) .

○ أنواعُ الخلق وأقسامهُ :

● **القسم الأول** : الخلق الجبلي ، وهو الذي فُطر الشخص عليه ؛ كما في « صحيح مسلم »[(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ لِلأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : « **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ** » .

وفي روايةٍ[(٢)] : قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا ؟ قَالَ : « **بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا** » ، قَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ .

فالأخلاق عنده غريزية فطرية غير متكلَّفة ؛ بل هي سجية وطبيعة فيه .

---

(١) أخرجه مسلمٌ ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ (١٧ ، ٢٥) ، ورواه أيضًا برقم (١٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) عند البخاريِّ في «**الأدب المفرد**» (٩٧٥) ، وفي «**خلق أفعال العباد** » (٢٨) ، وأبي داود ، كتاب الأدب ، باب في قبلة الجسد (٥٢٢٥) من حديث الزارع ابن عامر العبدي رضي الله عنه .

وأخرجه أحمد (٤/ ٢٠٥، ٢٠٦) ، والبخاريُّ في «**الأدب المفرد**» (٥٨٤) ، وفي «**خلق أفعال العباد** » (٢٧) من حديث أشج بن عبد القيس به ، وصحَّحه الألبانيُّ في « **الظلال** » (١٩٠) ، و« **صحيح الأدب** » وغيرهما .

● **القسم الثاني:** وهو المكتسب ، وعليه أدلة كثيرة من الشرع ؛ بل ومن الواقع أيضًا ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى:١٤].

قال السعديُّ رحمه الله **في تفسير الآية** : « ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي : قد فاز وربح من طهَّر نفسه ، ونقَّاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق » .

وقال : « قولُه تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس:٧ ـ ١٠] ؛ أي : طهر نفسه من الذنوب ، ونقاها من العيوب ، ورقاها بطاعة علام الغيوب ، وعلَّاها ورفع قدرها وشأنها بالعلم النافع والعمل الصالح » .

فالناس صنفان : صنفٌ يقهر نفسه ويلجمها بلجام التقوى والخوف من الله ، ويجعل النفس مطية إلى الطاعة والخير ، وصنفٌ تركبه نفسه وتقوده إلى كل شهوة وشبهة .

والحاصل أن هاتين الآيتين كما هو واضحٌ بجلاء يَدُلَّان على أن الأخلاق تتغير بالتربية والتزكية .

ولا شك أن الإيمان يُهذِّب الأخلاق ، ويزكِّي أصْحَابه ، ويُطَهِّر

الضمائر والقلوب ، وشتَّان شتَّان بين أخلاقِ رجلٍ يحافظ على الصلوات ، مجددٍ للإيمان ، مصححٍ للعقيدة ، يواظب على دروس العلم ، وبين أخلاق رجلٍ آخر لا يجلس إلا في أماكن اللهو والمجون والفتن والمعاصي .

● ففي « الصحيحين »[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » .

وأظنكم - جميعًا - تعلمون أخلاق عمر ﷺ قبل الإسلام ؛ تلك الأخلاق التي قادته يومًا أن يفكِّر في أن يقتل رسول الله ﷺ ، ولكن انظر إليه بعدما زكَّى الله نفسه بالإيمان ، وشرح الله صدره للإسلام ، كان لا يقبل نسمة هواءٍ باردةٍ تهبُّ على رسول الله ﷺ إن كان يعلم أنها تؤذي

---

(١) أخرجه البخاريُّ ، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك (٥٥٣٤) ، ومسلمٌ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (٢٦٢٨) .

حبيبه ومصطفاه ؛ فلقد تغير تمام التغيير ، وتحوَّل إلى محبٍّ صادقٍ .

● ففي « **صحيح البخاري** »(١) من حديث عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيد عمر بن الخطاب ؓ ؛ فَقَالَ له عمر : يَا رَسُولَ الله ! لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ** » ؛ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ وَالله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **الْآنَ يَا عُمَرُ** » .

○ **قال الخطابيُّ – فيما نقله عنه الحافظُ في « الفتح »(٢) :**

« حُبُّ الإنسان لنفسه طبع ، وحُبُّ الإنسان لغيره اختيار بتوسط الأسباب ، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حُبَّ الاختيار؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه » .

قال الحافظ :

« **قُلْتُ** : فعلى هذا فجواب عمر أولًا كان بحسب الطبع ، ثم تأمل

---

(١) أخرجه البخاريُّ (برقم : ٦٦٣٢) .
(٢) «فتح الباري » لابن حجر (١١ / ٥٣٦) .

فعرف بالاستدلال أن النبيَّ ﷺ أحب إليه من نفسه ؛ لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى ، فأخبر بها اقتضاه الاختيار ، ولذلك حصل الجواب بقوله : الآن يا عمر . أي : الآن عرفت فنطقت بما يجب » .

وها هم سحرةُ فرعون يُظهرون خُلُقَهم في هذه الكلمات : ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾[الشعراء:٤٤] ؛ فلما رأوا المعجزة تتحقق بين أيديهم ، وتحولت عصا موسى بالفعل إلى حيةٍ عظيمةٍ حقيقية ، وهم يعرفون تمامًا ـ فهم أعلم من غيرهم ـ بأن عصيهم لا تتحول إلى ثعابين ؛ وإنما هم يسحرون أعين الناس فقط ، يقول تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه:٦٦] ؛ فهذا خيال وليس واقعًا حقيقيًّا ؛ فلما رأوا العصا تحولت إلى ثعبان حقيقيٍّ بكلِّ يسرٍ وسهولة ، وبدون تلكؤ خرُّوا سُجَّدًا لله تعالى : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشعراء:٤٧ ـ ٥٠] ، ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا

جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ ﴾ [طه:٧٢].

إذًا ؛ فالأخلاق تتغير بالتربية والتزكية والتهذيب ، وبالتحلُّم والتعلُّم ، وبالإيمان ، والتقوى ، والدعاء .

○ **يقول القزوينيُّ** - وهو من أهل اللغة (١) : « حُسْنُ الخلقِ سلامةُ النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك في ذات الله ، وقد يكون فيما بين الناس ، أما ما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى ؛ فهو أن يكون العبد منشرح الصدر لأوامر الله تعالى ونواهيه بفعل ما فرض الله عليه ، طيب النفس به ، سلسًا نحوه ، وينتهي عما حرم الله عليه ، راضيًا به ، غير متضجر منه ، ويرغب في نوافل الخير ، ويترك كثيرًا من المباح لوجهه تعالى وتقدَّس ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله ، مستبشرًا لذلك ، غير ضجرٍ منه ، ولا متعسرٍ به » .

فمقتضى حسن الخلق مع الله أن يقول الله : « أمرتُ ونهيتُ » ، وأن يقول العبد صاحب الخلق الحسن : « سمعتُ وأطعتُ » ، يقول تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

---

(١) « مختصر شعب الإيمان » للقزويني (١١٦ - ١١٧) .

﴿يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

❑ **أما في المعاملات بين الناس** ؛ فصاحبُ الخلق الحسن يكون سمحًا لحقوقه ، لا يطالب غيره بها ، ويُوفي ما يجب لغيره عليه منها ؛ فهو لا يرى لنفسه حقًّا على غيره ؛ فما الذي يُعطيني الحق أن أرى لنفسي حقًّا على غيري ؟ فصاحب الخلق الحسن لا يعامل الناس هكذا ؛ بل تراه سمحًا في حقوقه ، سليم الصدر ، طيب النفس .

● **قال الماورديُّ**[(١)] : « حسن الخلق : أن يكون سهل الحريكة ، ليِّن الجانب ، طلق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة » .

وجِمَاعُ حُسْن الخلق مع الناس أمران ؛ هما بذلُ المعروف قولًا وفعلًا ، وكف الأذى قولًا وفعلًا ، وهذا إنما يقوم على خمسة أركان : العلم ، والجود ، والصبر ، وطيب العود ، وصحة الإسلام .

أما العلم ؛ فلأنه يعرف به معالي الأخلاق ، وسفاسف الأخلاق ، فيمكنه العلم من أن يتحلى بمعالي هذه الأخلاق ومن ترك سفسافها ، والله سبحانه وتعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها ؛ كما

---

(١) « أدب الدنيا والدين » للماورديِّ (٢٣٧) .

أخبرنا بذلك نبينا ﷺ (١) .

أما الجود ؛ فبسماحة النفس ؛ فهو يبذل وينقاد لكل ما تأمره به النفس الباذلة السخية من كرمٍ وفضل .

وأما الصبر ؛ فلأنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعباء كل ذلك لن يصل إليه .

أما طِيبُ العُودِ ؛ فهذه منَّةٌ من الله تعالى عليه أن يخلقه سلسًا سهلًا غير معقدٍ ، سريع الاستجابة لداعي الخيرات .

أما صحة الإسلام ؛ فهي جماع ذلك ، والمصحح لكلِّ خلق حسن ؛ فإنه بحسب قوة إيمانه ، وتصديقه بالجزاء ، وحسن موعود الله وثوابه ، يسهل عليه تحمُّل ذلك ؛ بل ويتلذذ بالصبر على كل العقبات التي تصادفه في طريق تحقيق ذلك ، والله الموفق والمعين (٢) .

○ **أيها الأفاضل** : لقد أمرنا الله تعالى في آيات كثيرةٍ من القرآن بحسن الخلق ؛ أكتفي منها بهذه النصوص الكريمة : أبدأ هذه الآي بقول الله

---

(١) وسيأتي .

(٢) « تهذيب السنن » لابن القيم (١٣/ ١٣٠ شرح « السنن ») ؛ راجع في هذا الباب « نضرة النعيم » (٥/ ١٥٦٩ ـ ١٥٧٢) .

تعالى في حقِّ صاحب أعظم خلق ؛ الذي زكَّاه ربُّه ـ جلَّ وعلا ـ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم:٤] .

● وقال الله تعالى : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:٨٣] .

● وقال الله ﷻ : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣ ﴾ [الإسراء:٥٣] .

● وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ ﴾ [فصلت:٣٤] .

● وقال سبحانه : ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦ ﴾ [العنكبوت:٤٦] .

● وقال الله جلَّ وعلا : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ ﴾ [فصلت:٣٣] .

● وقال الله ﷻ في صفات عباد الرحمن : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ

يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٣ ـ ٧٠] .

● وقال الله ﷻ حكاية عن لقمان وهو يوصي ولده : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٧ ـ ١٩] .

● وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩] .

● وقال جلَّ وعلا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي

ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ [النحل:٩٠] .

○ ومن النصوص النبوية في ذلك ما يلي : **روى أبو داود والترمذيُّ في « سننيهما » وابن حبان في « صحيحه » والحاكم في « مستدركه » وغيرهم**[1] من حديث عائشة ﵂ ، وكذلك من حديث أبي هريرة ﵁ أن النبيَّ ﷺ قال : « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ** » . وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على ثقل حسن الخلق في الميزان .

● **وفي الحديث الذي رواه أحمد في «مسنده» والبخاريُّ في « الأدب المفرد » والحاكم في «مستدركه»**[2] **وقال : «صحيحٌ على شرط مسلم»**

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق (٤٧٩٨) ، وأحمد (٦/ ٦٤ ، ٩٠ ، ١٣٣ ، ١٨٧) ، والحاكم (١/ ٦٠) ، وابن حبان (١٩٢٧) وصحَّحه العلامة الألبانيُّ في **«صحيح الجامع »** (١٩٣٢) ، و**«الصحيحة»** (٧٩٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٣٨١) والبخاريُّ في **« الأدب المفرد »** (٢٧٣) وابن سعد في **« الطبقات »** (١ / ١٩٢) وأبو يعلى في **« مسنده »** كما **« إتحاف الخيرة »** (٥٢١٧) والحاكم (٢ / ٦١٣) والطحاويُّ في **« المشكل »** (٤٤٣٢) والبيهقيُّ في **« الشعب »** (٧٩٧٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : **« صَالِحَ الأَخْلَاقِ »** وفي رواية **« مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ »** عند البزار في **« مسنده »** (٨٩٤٩) والقضاعيِّ في **« مسنده »** (١١٦٥) وتمام في **« فوائده »** (٢٧٦) والبيهقيِّ في **« الكبرى »** (١٠/ ١٩١) والخرائطيِّ في **« مَكَارم الأَخْلاق »** (١).

● وله شواهد عدة ؛ فأخرجه ابن وهب في **« جامعه »** (ص : ٧٥) وفي =

وهو حديثٌ صحيحٌ من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ ».

لاحظ أن النبيَّ ﷺ لخَّص الغاية من بعثته ورسالته في إتمام مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ومعالي الشيم والأحوال التي يشهد بحسنها كلُّ عاقل ، ونهى عن سفسافها ومساوئها ومرذولها !

ولا غرو إذا فهمنا الأخلاق بمعناها العام في ذلك في أدب العبد مع ربه ، ومع نبِيِّه ، ومع الخَلْق ، وهي بهذا المعنى الواسع تعني الدين كلَّه ، أما إذا قَصَرْنا الأخلاق على المعنى الجزئي في التعامل مع الخلق فحسب ؛

= « مصنفه » (٧/ ٤٤٠) من طريق زيد بن أسلم مرسلًا ، وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١/ ١٩٣) عن مالك – وهو في « الموطأ » (٣٣٥٧) بلاغًا بلفظ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الخُلُقِ » . وأخرجه الطبرانيُّ في « الكبير » (٢٠/ ٦٥) والبيهقيُّ في « الشعب » (٧٩٨٠) وغيرهما من حديث معاذ مرفوعًا بلفظ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ عَلَى تَمَامِ مَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ » وفي إسناده عبد الرحمن ابن أبي بكر الجدعاني وهو ضعيف ؛ كما قال الهيثميُّ في « المجمع » (٧/ ٣٣١) وأخرجه الطبرانيُّ في « الأوسط » (٦٨٩٥) والبيهقيُّ في « الشعب » (٧٩٧٩) والبغويُّ في « شرح السنة » (٣٦٢٢) و (٣٦٢٣) من حديث جابر مرفوعًا . راجع « الضعيفة » (٢٠٨٧) و« المجمع » (٨/ ١١٧) ؛ فبان أن الحديث صحيح عن أبي هريرة ﷺ كما قال الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » (٢٤ / ٣٣٣ و ٣٣٤) .

فهذا أسلوبٌ نبويٌّ بليغٌ يلفت به الأنظار لبيان عِظَمِ الأخلاق ، وجلال قدرها ومكانتها ؛ كقوله ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ »[١] ، وقوله : « الحَجُّ عَرَفَةُ »[٢] وكلا المعنيين مراد. وأمر بها ﷺ بوضوحٍ وجلاءٍ ، وأعلنها لأهل مكة صراحة بلا خفاء ؛ ففي « الصحيحين »[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لَـمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لأَخِيهِ : ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي ، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ ائْتِنِي . فَانْطَلَقَ الأَخُ ؛ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ ، فَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ » .

وتدبَّر معي هذا الحديث الجميل الذي رواه الترمذيُّ في « السنن »[٤] من حديث جابر بن عبد الله ؛ أن النبيَّ ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ

---

(١) أخرجه مسلمٌ (برقم ٥٥) عن تميم الداريِّ .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٩ و ٣١٠) وأبو داود (١٩٤٩) والترمذيُّ (٨٨٩) والنسائيُّ (٣٠١٦) وابن ماجه (٣٠١٥) بسندٍ صححه الألبانيُّ في « الإرواء » (١٠٦٤) .

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٨٦١) ومسلم (٢٤٧٤) .

(٤) أخرجه الترمذيُّ ، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في معالي الأخلاق (٢٠١٨) ، وصحَّحه العلامة الألباني في « الصحيحة » (٧٩١) .

أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلاَقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ » قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ ؟ قَالَ : « الْمُتَكَبِّرُونَ ».

○وفي رواية في «الصحيحين» [1] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا ».

○وفي « مسند » أحمد و« سنن » أبي داود والترمذي وغيرهم [2] من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُق ، وَإِنَّ الله لَيَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ ».

والفاحش لا يُخرج إلا الفحش والبذاءة ، لا يحسن الكلام الطيب ،

---

(١) أخرجه البخاريُّ ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٥٩) ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه ﷺ (٢٣٢١) .

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق (٤٧٩٩) ، والترمذيُّ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٢) ، وقال : « حديث حسن صحيح» ، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٤٤٢، ٤٤٦ ، ٤٤٨) ، والبخاريُّ في « الأدب المفرد» (٤٦٤) ، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨٧٦) ، و «صحيح الجامع» (٥٦٣٢) .

ولا يجيد إلا السبَّ واللعن ، حتى مع زوجته ، وهي أقربُ الناس إليه ؛ بل حتى مع أولاده ، فربما لا ينادي على ولده إلا بالسباب ، ولا يأمر امرأته إلا بالفحش من القول ؛ فليحذر وليتذكر قول صاحب الخلق ﷺ : « وَإِنَّ الله لَيَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ »!!

● وفي « سنن » الترمذي[1] من حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : « مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْـخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْـخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ ».

● وروى أبو داود في « السنن » والطبرانيُّ في « الكبير » و « الأوسط » والبيهقيُّ في « الكبرى » وغيرهم بسندٍ حسن بشواهده[2] من حديث أَبِي أُمَامَةَ الباهلي ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ :« أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ

---

(١) أخرجه الترمذيُّ ، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ (٢٠٠٣) ، وصححه العلامة الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٧٢٦) .

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق (٤٨٠٠) ، والبيهقيُّ في « الشعب » (٨٠١٧) وفي « الكبرى » (٢٠٩٦٥) ، (١٠/٢٤٩) ، والطبرانيُّ في « الكبير » (٧٤٨٨) و«الأوسط » (٤٦٩٣) ، وفي « مسند الشاميين » (١٥٩٤) ، والرويانيُّ في « مسنده » (١٢٠٠) ، وحسَّنه بشواهده الألبانيُّ في « الصحيحة » (٢٧٣) .

مَازِحًا ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ ».

● ويقولُ أَنَسٌ [(١)] : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ ؛ فَقُلْتُ ـ والقائِلُ أَنَسٌ : وَالله لاَ أَذْهَبُ ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ الله ﷺ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي ـ قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلاَمُ ـ فَقَالَ : « يَا أُنَيْسُ ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ الله .

فوالله ما عنفه ولا وبخهُ ؛ بل لاطفه وداعبه ! بالله لو أمرت ولدك أن يذهب إلى قضاء حاجة وتلكّأ ماذا سيكون حالك ؟! صلَّى الله على صاحب الخلق ، ولم أجد أبدًا في تاريخ الدنيا كلِّها ، ولا في تاريخ البشر بشرًا أرحم من رسول الله ﷺ.

● وفي «صحيح مسلم» [(٢)] من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال : « صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ صَلاَةَ الأُولَى ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ

---

(١) أخرجه مسلمٌ ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا (٢٣١٠) .

(٢) أخرجه مسلمٌ ، كتاب الفضائل ، باب طيب رائحة النبيِّ ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه (٢٣٢٩).

مَعَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، ـ قَالَ : وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي ـ قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ » .

تصوَّرْ كَمْ طفلاً من أولاد الصحابة يسلِّمُ عليهم رسول الله ﷺ ويمسحُ بيديه الشريفتين على خدَّي كلِّ واحدٍ منهم ؟ فالنبيُّ ﷺ يقول لأنس : « يَا أُنَيْسُ » ، وكان يلاطف السيدة عائشة ؛ فيقول لها : « يَا عَائِشُ » .

قال أَنَسٌ [1] : « والله لَقَدْ خَدَمْتُه تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُه قَالَ لِشيءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وكَذَا ؟ أو لِشَيْءٍ تَرَكْتُه : هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذا ؟

● وفي لفظ «الصحيحين» [2] : قال أَنَسٌ ﷺ : خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، وَالله مَا قَالَ لِي : أُفًّا قَطُّ ، وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ : لِمَ فَعَلْتَ كَذَا ؟ وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا ؟

● وفي « مسند » أحمد و« سنن » أبي داود والترمذي وغيرهم من

---

(١) أخرجه مسلمٌ ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا (برقم: ٢٣٠٩) .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (٦٠٣٨) ، ومسلمٌ ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا (٢٣٠٩) .

حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ »قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : « إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هي الْحَالِقَةُ »(١) .

● قال الله ـ جَلَّ وَعَلاَ : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء:١١٤] ؛ فالإصلاح بين الناس من أعظم القربات ، وكذا الأمر بالمعروف ، ويتبعه النهي عن المنكر ؛ فهو من شروط خيرية الأمة ؛ كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]

وفي الحديث الذي رواه أحمد في « مسنده » والترمذيُّ في « سننه » واللفظ له بسندٍ حسن(٢) من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال :

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٤) ،والبخاريُّ في «الأدب المفرد» (٣٩١) ،وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب في إصلاح ذات البين (٤٩١٩) ، والترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب (٥٦) ٢٥٠٩) ، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٣٩) .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤١٥) ، والترمذي ،كتاب صفة القيامة عن رسول الله ﷺ (باب ٤٥) (٢٤٨٨) ، وقال : « هذا حديث حسن غريب » ، وصحَّحه العلامة الألباني في « الصحيحة» (٩٣٨) .

« أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ » أي : لا يتعالى ، ولا يعرف الكبر .

والأحاديثُ كثيرة جدًّا في بيان منزلة حسن الخلق.

□وأودُّ أن أقف مع فضائل حسن الخلق :

● **فمنها** : أن حسن الخلق امتثالٌ لأمر الله في آيات كثيرة ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف:١٩٩] ، وكذلك امتثال لأمر النبيِّ ﷺ ؛ كما في حديث أبي ذرٍّ ﵁ أن النبيَّ ﷺ قال له : « اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » (١). وهذا ثابتٌ أيضًا عن معاذ بن جبل ﵁.

● **ومن فضائل حسن الخلق** : أن الله أثنى به على نبيه ﷺ؛ فقال جَلَّ وَعَلاَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:٤].

● **ومنها** : أن من رزقه الله حُسْن الخلق يفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى ، وهذه منزلة عظيمة ؛ كما قال ـ عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٨ و ٢٣٦) والترمذيُّ (١٩٨٧) والدارميُّ (٢٧٩١) والحاكم (١/ ١٢١) ؛ وهو في « **الصحيحة** » (١٣٧٣) ، و « **صحيح الجامع** » (٩٧) .

أَحَبَّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا »[١].

وقد ذكرتُ حديث رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا »[٢] ؛ فحسن الخلق يجعلك محبوبًا لله ، محبوبًا لرسول الله ﷺ .

● وحُسْن الخلق من أسباب النجاة من النار ؛ كما قال ـ عليه الصلاة والسلام : « مَنْ كَانَ لَيِّنًا هَيِّنًا سَهْلاً حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ »[٣].

● وحُسْن الخلق يثقل ميزان العبد يوم القيامة ؛ كما ذكرت حديث أبي الدرداء ﷺ ، وحُسْن الخلق يدلُّ على كمال إيمان العبد ؛ كما في الحديث : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ

---

(١) أخرجه الطبرانيُّ في «الكبير» (٤٧٨) (١/ ١٨٣) ، وفي «الأوسط» (٦/ ٢٦٨) ، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٤٣) ،وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٧٩) ، و «الصحيحة» (٤٣٢) من حديث أسامة بن شريك ﷺ.

(٢) تقدم آنفًا .

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٥٠٦٠) ، والبيهقيُّ في «الكبرى» (١٠/ ١٩٤) ، والحاكم في«المستدرك» (١/ ٢١٥) ، وصحَّحه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبيُّ ، وصحَّحه العلامة الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦٤٨٤) من حديث أبي هريرة ﷺ .

لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا »[١]. وحَسَنُ الخلق محبوبٌ إلى الله ؛ فالله يحبُّ معالي الأمور ؛ كما في الحديث الذي رواه الطبرانيُّ في « الكبير » والبيهقيُّ في « الأسماء والصفات » وغيرهما[٢] بسندٍ صحيح من حديث الحسين بن عليٍّ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وأَشْرَافَهَا ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا ».

● وحُسْن الخلق خيرُ عطاءٍ من الله سبحانه وتعالى للعبد ؛ كما في الحديث الذي رواه أحمد في «مسنده» وابن ماجه في «السنن»[٣] بسندٍ صحَّحه شيخُنا الألبانيُّ رحمه الله من حديث أسامة بن شريك ﷺ عن النبيِّ ﷺ : «خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الإِنْسَانُ خُلُقٌ حَسَنٌ ».

● وحُسْن الخلق يبلغ به صاحبه درجة الصائم القائم ؛ كما تقدَّم ؛

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠) ، وأبو داود ، كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨٢) ، والترمذيُّ ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في المرأة على زوجها (١١٦٢) ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٨٤) .

(٢) أخرجه الطبرانيُّ (٢٨٩٤) والبيهقيُّ في « الأسماء » (ص: ٥٣) ، وهو في «الصحيحة» (برقم١٦٢٧) .

(٣) أخرجه أحمد (٤/٢٧٨) ، والبخاريُّ في «الأدب المفرد» (٢٩١) ، وابن ماجه ، كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (٣٤٣٦) ، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٧٨١) ، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٢١) ، و«الصحيحة» (٤٣٢) .

ففضائل حسن الخلق عظيمةٌ كريمةٌ جليلةٌ . وأنا أعجب لدين تتبوأ فيه الأخلاق هذه المكانة السامقة ، والمنزلة الرفيعة العالية ، حتى سئل النبيُّ ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : « **تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الـخُلُقِ** »[(١)].

● **قال ابنُ القيم** رحمه الله[(٢)] : « جمع النبيُّ ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق ؛ لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه ، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه ؛ فتقوى الله توجب له محبة الله ، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته » .

وبعد الحديث عن فضائل حسن الخلق ومنزلته الرقراقة ؛ أودُّ أن أبين أصوله وأركانه ؛ فَحُسْنُ الخلق يقومُ على أربعة أركان ، ومنشأ جميع الأخلاق السافلة أيضًا على أربعة أركان ، سنتعرف عليها بإيجازٍ أولًا ، ثم أتحدث مع أساس الخُلُقِ مع الخَلْق ؛ فلقد ذكر ابنُ القيم رحمه الله في هذه الثانية : إحدى عشر مشهدًا .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨) ، والبخاريُّ في « الأدب المفرد » (٢٨٩، ٢٩٤) ، والترمذيُّ (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) والطيالسي (٢٥٩٦) بسندٍ حَسَّنه العلامة الألبانيُّ في «**الصحيحة**» (٩٧٧) .

(٢) « **الفوائد** » (ص : ٥٤) .

فأقولُ : حُسْن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور أبدًا قيامُ ساقه إلا عليها ؛ ألا وهي : الصبر ، والعفة ، والشجاعة ، والعدل .

● **قال ابنُ القيم** رحمه الله[1] : « **فالصبر** يحملُ الإنسان على الاحتمال ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى ، والحلم ، والأناة ، وهذه هي أركان الحكمة ؛ فالحكمةُ التي امتن الله بها على من يشاء من عباده ، وهم أهل الفضل والخير ؛ كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

أركانها : « العلم والحلم والأناة » . **وآفاتها وأضدادها ومعاول هدمها** : « الجهل والطيش والعجلة »[2] ؛ **أما العفة ـ وهي الركن الثاني من أركان حسن الخلق** : فهي تحمل العبد على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل ؛ بل وتحمل العفة صاحبها على الحياء ، والحياء رأسُ كلِّ خير ؛ بل وتمنع العفةُ صاحبها عن الفحشاء ، وعن البخل ، وعن الكذب ، وعن الغيبة والنميمة .

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤) .
(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٤٨) .

أما الركن الثالث من أركان حسن الخلق ؛ فالشجاعة: والشجاعة : تحمله على عزة النفس ، وإيثار الأخلاق الفاضلة ، والشيم الكريمة ، وتحمله الشجاعة على الإقدام والبذل والسخاء ؛ بل وتكبح الشجاعةُ صاحبها عن البطش والظلم ؛ كما قال النبيُّ ﷺ : « **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ؛ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ** »[1] ؛ نسأل الله أن يرزقنا هذا الخلق النبيل ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .

والعَدْل ـ الذي هو الركن الرابع من أركان حسن الخلق ـ يحمل صاحبه على التوسط في كلِّ شيء ؛ فالوسط العدل ؛ كما قال النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فالعدل يحمل صاحبه على الوسطية بين طرفي الإفراط والتفريط ، ويحمل صاحبه على خلق الجود والسخاء الذي هو التوسط بين الذل والقِحة ، ويحمل صاحبه أيضًا على الشجاعة التي هي التوسط بين الجبن والتهور ، ويحمل صاحبه أيضًا على خلق الحلم الذي هو التوسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس ؛ هذه هي أركان حسن الخلق .

وكذلك الأخلاق المنحطة السافلة بناؤها أيضًا على أربعة أركان وهي : الجهل ، والظلم ، والشهوة ، والغضب .

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

● فالـجَهْلُ هو : الأساس الأول لكلِّ خلق منحط سافل ! وهو أنواع ؛ فمنها : الجهل بالله ، والجهل برسول الله ﷺ ، وبالدين ، والجهل بقَدْر من تجهل عليه ، والجهل بقدر نفسك ، والجهل بقدر الغاية التي خلقت من أجلها . وأنا أقول : إن سرَّ التشرذم والتهارج والنزاع والخلاف بين العاملين على الساحة الإسلامية بصفة خاصة وبين الأمة المسلمة بصفةٍ عامة أراه يتمثل في سببين : الجهل ـ وهو أخطر هذين السببين ـ والهوى ، ولو أتيتني بأيِّ مرضٍ من أمراض الأمة عامة سأدرج لك هذا المرض أيًّا كان نوعه تحت مرضٍ من هذين المرضين ، أو داءٍ من هذين الداءين !! والدواء للجهل هو العلم ، ودواء الهوى هو الإخلاص والتجرد ؛ نسأل الله أن يعلمنا وأن يرزقنا الإخلاص والتجرد في الأقوال والأحوال والأعمال ؛ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه ؛ فالجهل يُري صاحبه الحسن قبيحًا ! تقول : قال الله وقال رسوله ؛ فربما يردُّ عليك أحدهم بسفاهةٍ ليسئ إلى العالم وعلمه في آنٍ ! ويُري الجهلُ صاحبه القبيح حسنًا ؛ فتراه يُقبل على المعصية ، ويغرق في مستنقع الشهوات ، ويظن بأن هذا القبيح هو الحسن بعينه ، ويُري الجهلُ صاحبه الكمال نقصًا ، والنقص كمالًا .

● **أما الظُّلْمُ** ؛ فهو يحمل صاحبه على وضع الشيء في غير موضعه ، فيغضب الظالم في موضع الرضا ، ويرضى في موضع الغضب ، ويجهل في موضع الحلم والأناة ، ويبخل في موضع البذل ، ويبذل في موضع البخل ، ويحجم في موضع الإقدام ، ويقدم في موضع الإحجام ، ويلين الظالم في موضع الشدة ، ويشتد في موضع اللين ، ويتواضع في موضع العزة ، ويتكبر في موضع التواضع .

● **أما الشَّهْوةُ** ـ وهي المرض الثالث من أمراض الأخلاق السيئة ـ فهي تحمل الإنسان على الحرص ، وعلى الشح ، وعلى البخل ؛ فمرض الشهوة مرضٌ يتعلق بهذه الأعراض الدنيوية ؛ لأن الفتن نوعان لا ثالث لها : فتن الشبهات ، وفتن الشهوات ، أما فتن الشبهات ، فقد مزقت الأمة إلى فرق ؛ قال عنها النبيُّ ﷺ : « **افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَهِيَ الجَمَاعَةُ** »(١) ؛ نسأل الله أن نكون من

(١) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم (٣٩٩٣) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا ، وأخرجه أحمد (٤/ ١٠٢) ، والدارميُّ (٢٥١٨) ، وأبو داود ، كتاب السنة ، باب شرح السنة (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ مرفوعًا ، وأخرجه الترمذيُّ ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء =

الفرقة الناجية ؛ ففتنة الشبهات مزقت الأمة ؛ قال ابنُ القيم رحمه الله[١] : « وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والروافض وسائر طوائف أهل البدع فيما وقعوا فيه إلا سوء الفهم عن الله ورسوله » نعم.. إنها الشبهات !!

● أما فتنة الشهوات ؛ فهي فتنةٌ خطيرة أيضًا ؛ قال فيها النبيُّ ﷺ كما في «الصحيحين»[٢] : « .. فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ ».

فالشهوةُ تحمل صاحبها على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والجشع والذل والدناءة ؛ لأنه يريد المال فيذل نفسه ، ويطمع في عَرَضٍ من أَعْرَاضِ الدنيا ؛ فيضحِّي من أَجْلِ هذا العَرَضِ بالغالي والنفيس ، حتى ولو ضحَّى من أَجْلِ ذلك بدينه ! ولا حول ولا قوة إلا بالله .. لا

= في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٠) وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم (٣٩٩١) وأبو داود ، كتاب السنة ، باب شرح السنة (٤٥٩٦) ، وأحمد (٢/ ٣٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصحَّحه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤) .

(١) « الروح » (٦٣) ط الكتب العلمية.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣١٥٨) ومسلم (٢٩٦١).

تعجب ؛ فهذا كلامُ النبيِّ ﷺ وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ؛ كما في الحديث الذي رواه مسلمٌ[1] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ، وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** ». حمله على ذلك خلق الشهوة .. شهوة الحرص .. شهوة جمع المال .. شهوة حب النساء .. شهوة حب المنصب .. شهوة حب الجاه .. إلى آخر هذه الشهوات الرخيصة ؛ أسأل الله أن ينجينا وإياكم منها بمنه وكرمه .

● **أما الغضبُ** ؛ فهو خلق ذميمٌ يحمل الإنسان على الكبر ، وعلى الحقد ، وعلى الحسد ، وعلى العدوان ، وعلى السفه ، وعلى الظلم ، **والإنسان إذا غضب ولم يلجم نفسه في حالة الغضب أو بعد الغضب بلجام التقوى والخوف من الله ؛ فإنه يتمادى في ظلمه ، وسفهه ، وجهله ، وطيشه ، وعدوانه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .**

وأساسُ الأخلاقِ ـ بعدما تعرفنا على أركان حسن الخلق وسوء الخلق : أن نعرف مقام الخُلُق ، وأن الـخَلْق بأقدارهم مربوطون ، وفي

---

(١) أخرجه مسلمٌ ، كتاب الإيمان ، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٨) .

طاقتهم محبوسون ، وعلى الحكم موقوفون ، إذا أردت أن تتعامل مع الناس بخُلُقٍ تعرَّف على هذه الأسس ، إذا عرفت ذلك استفدت بهذه المعرفة ثلاثة أشياء ، أولاً : أَمْنُ الخلق منك ، ومحبةُ الخلق لك ، ونجاة الخلق بك [(١)] ؛ أي : ما قال لك أحد شيئًا إلا بقدر ، وما فعل بك أحد شيئًا إلا بقدر ، وما أحبك إنسان إلا بقدر ، وما أبغضك إلا بقدر ؛ فلابد أن نفهم القدر ، وأن نفهم أساس الأخلاق من هذا المنطلق ، وبذلك ستعيش - أيها المسلم - حياة جديدة مع زوجتك ، ومع أولادك ، ومع رئيسك ، ومع مرؤوسيك ، ومع نفسك ، وقبل كلِّ ذلك مع الله ﷻ ، ومع رسول الله ﷺ .

ولا يمكن لمخلوقٍ أن يتجاوز قَدَر خالقه الذي قدَّره له ؛ فالمخلوقون موقوفون على الحكم الكوني القدري لا يتعدُّونه أبدًا ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر:٤٩] .

● قال ابنُ القيم - رحمه الله تعالى - في « المدارج » [(٢)]: « إن العبد إذا نظر إلى المخلوقين بعين الحقيقة لم يطالبهم بما لا يقدرون عليه ، وامتثل فيهم

---

(١) «المدارج» (٢/ ٣٠٣) .
(٢) (٢/ ٣٠٤) .

أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بأخذ العفو منهم ، فأمنوا من تكليفه إياهم ، وإلزامه لهم ما ليس في قواهم وقدرهم .

وأيضًا ؛ فإنهم يأمنون لائمته ، فإنه في هذه الحال عاذر لهم فيما يجري عليهم من الأحكام فيما لم يأمر الشرع بإقامته فيهم ؛ لأنهم إذا كانوا محبوسين في طاقتهم ، فينبغي مطالبتهم بما يطالب به المحبوس ، وعُذْرهم بما يعذر به المحبوس ، وإذا بدا منهم في حقك تقصير ، أو إساءة ، أو تفريط ؛ فلا تقابلهم به ولا تخاصمهم ؛ بل اغفر لهم ذلك واعذرهم ؛ نظرًا إلى جريان الأحكام عليهم ، وأنهم آلة ، وبذلك تشهد حقيقةَ جنايتهم عليك ؛ كما قال بعض الصالحين لرجلٍ تعدَّى عليه وظلمه : « إن كنت ظالمًا ؛ فالذي سلَّطك عليَّ ليس بظالم » .

❑ **وها هنا العبد يشهد أحد عشر مشهدًا فيما يصيبه من أذى الخلق ، وجنايتهم عليه :**

● **أحدها : « مَشْهَدُ القَدَرِ »** وأن ما جرى عليه من الخلق بمشيئة الله وقضائه وقدره ، حينئذٍ يرى هذا الأذى الذي أصابه من الخَلْق ؛ كالمتأذي بالحرِّ مثلاً أو بالبرد أو بمصيبة الجوع ، أو بالمرض ، أو بالألم ، أو بهبوب الريح ، أو بانقطاع المطر ... إلى غير ذلك ؛ فكما أن الريح تهبُّ

بقدر ، فإن القول الذي يسمعه ، وأن الفعل الذي يؤذيه إنما هو أيضًا بقدر ؛ قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٦] ؛ فما شاء الله كان ، ووجب وجوده ، وما لم يشأ لم يكن ، وامتنع وجوده ، وإذا شهد هذا : استراح ، وعلم أنه كائن لا محالة ، فما للجزع منه وجه .

● **الـمَشْهَدُ الثاني : « مَشْهَدُ الصَّبْرِ »** فالعبد يفكر في الصبر ، وجزاء الصبر ، وعاقبة الصابرين ، وما يترتب عليه من الغبطة والسرور.

ويخلصه الصبر من ندامة مقابلة الظلم بالانتقام ؛ فالذي يذوق حلاوة الصبر لا يفكر في أن ينتقم من أخيه لمجرد اعتدائه عليه ؛ **قال ابنُ القيم** : « فما انتقم أحدٌ لنفسه قط إلا أعقبه ذلك ندامة ، وعلم أنه إن لم يصبر اختيارًا على هذا ـ وهو محمود ـ صبر اضطرارًا على أكبر منه ـ وهو مذموم » .

● **ثم بَعْد مشهدِ الصبر « مَشْهَدُ العَفْوِ »** والله تعالى لا يزيد العبد بالعفو إلا عزًّا وكرامة ؛ كما قال النبيُّ ﷺ : « **وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا** ... »[1]. وما انتقم أحدٌ لنفسه إلا ذلَّ .

---

(١) أخرجه مسلمٌ ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ .

● **قال ابنُ القيم**[1]: « وفي الصفح والعفو والحلم من الحلاوة والطمأنينة والسكينة ، وشرف النفس ، وعزها ، ورفعتها عن تشفيها بالانتقام : ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام » .

● **فإذا ذقت مشهد العفو وحلاوته رزقك الله « الرِّضَا » والرِّضَا لا** يذوق حلاوته إلا أصحاب النفوس المطمئنة ؛ لاسيما إذا كان ما أصبت به في الله سبحانه وتعالى ، وفي حق الله ، وفي جنب الله ﷻ .

● **قال ابنُ القيم:** « فإذا كان ما أصيب به في الله ، وفي مرضاته ومحبته رَضِيَت النفس بما نالها في الله ، وهذا شأن كل محبٍّ صادق ، يرضى بما يناله في رضا محبوبه من المكاره ، ومتى تسخط به ، وتشكى منه ، كان ذلك دليلاً على كذبه في محبته » .

فالعبد الصادق الصابر يرضى بما يتعرض له من الأذى في سبيل إرضاء محبوبِهِ سبحانه وتعالى .

فليتكَ تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غِضَاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هين وكلُّ الذي فوق التراب تراب

---

(١) «المدارج» (٢/ ٣٠٥) .

● المَشْهَدُ الخَامِسُ : «مَشْهَدُ الإِحْسَان» فيقابل الإساءة بالحسنة ، وكان الصِّدِّيق يُحْسن إلى مسطح ويُكْرمه بعد أن عاتبه الله تعالى لما امتنع عن الإنفاق عليه بسبب مشاركتهِ في حديث الإفك الشهير ؛ فنزل القرآن : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور:٢٢] ؛ فيقابل السيئة بالحسنة ، وهذه صفة من صفات عباد الرحمن ؛ قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣] ، لا يلتفت إلى الجهلاء ولا إلى الجاهلين ، وهذه درجةٌ عاليةٌ قَلَّ من يصل إليها ، أن يسيء إليك أخوك فتحسن إليه ، أن يجهل عليك فتحلم عليه ؛ فهذه درجة الصديقين ، فيصل العبد بعد ما يذوق حلاوة الرضا إلى مشهد الإحسان ، كلما أساء إليه أحدٌ أحسن إليه ، ويهون على العبد في هذه المرتبة وفي هذا المشهد علمه بأنه قد ربح عليه ، وأنه قد أهدى إليه حسناته ومحاها من صحيفته ، وأثبتها في صحيفة من أساء إليه ؛ فينبغي لك أن تشكره ، وتحسن إليه بما لا نسبة له إلى ما أحسن به

إليك [1]، ويهون عليه أيضًا : أنه يعلم أنَّ الجزاء من جنس العمل ؛ فكما أحسن في الدنيا إلى من أساء إليه ؛ فإن الله ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ يحسن إليه يوم القيامة إن أساء ؛ فيبدل الله سيئاته حسنات .

● قال ابنُ القيم : « فإن كان هذا عملك في إساءة المخلوق إليك : عفوت عنه ، وأحسنت إليه ، مع حاجتك وضعفك وفقرك وذلِّك ؛ فهكذا يفعل المحسن القادر العزيز الغني بك في إساءتك ، يقابلها بما قابلت به إساءة عبده إليك» . عاملهُ الله يوم القيامة بجنس عمله ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ [الرحمن:٦٠] ؛ فيحسن إليك ربُّك سبحانه ، فبعدما وصل إلى درجة أن يحسن إلى من يسيء إليه ، فيذيقه الله سبحانه وتعالى برد القلب وسلامته، وهو مشهد شريف جدًّا لمن ذاق طعمه ، وعرف حلاوته ، وهو ألا يشتغل قلبه وسرُّه بما يتعرض عليه من الأذى على يد أخيه ، فإذا نام لا يُفكر كيف ينتقم ويثأرُ لنفسه ؛ لأن الله ﷻ يذيقه حلاوةً وبردًا وسلامة في قلبه ، فلا يجد في قلبه مكانًا للتفكير في الانتقام من أخيه الذي أساء إليه ، ليس في قلبه غلٌّ ولا حقدٌ ولا حسدٌ ؛ بل ينام الليل وهو يشهد الله على سلامة صدره وصفاء قلبه ،

---

(١) «المدارج » (٢/ ٣٠٥) .

اللهم اجعلنا من هؤلاء .

● الـمَشْهَدُ السَّابعُ : « مَشْهَدُ الأَمْنِ » فإنه إذا ترك المقابلة والانتقام : أَمِن ما هو شر من ذلك ، وإذا انتقم واقَعَهُ الخوفُ ولابد ؛ فإن ذلك يزرع العداوة ، والعاقل لا يأمن عدوه ، ولو كان حقيرًا ؛ فكم من حقير أردى عدوه الكبير ، فإذا غفر ولم ينتقم ، ولم يقابل : أمن من تولد العداوة ، أو زيادتها ولابد أن عفوه وحلمه وصفحه يكسر عنه شوكة عدوه ، ويكف من جزعه ، بعكس الانتقام [١] .

● فإذا ذقت هذا المشهد ، وذقت حلاوته انتقلت إلى « مَشْهَدِ الـجِهَادِ » وهو أن تشهد أن ما أصابك من أذى الناس إنما هو بسبب جهادك في سبيل الله ؛ كأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وكإقامة دين الله وإعلاء كلمته .

وصاحب هذا المقام قد اشترى الله منه نفسه وماله وعرضه بأعظم الثمن ، فإن أراد أن يُسلِّم إليه الثمن ، فليسلِّم هو السلعة ؛ ليستحق ثمنها ، فيجب عليك أن تسلِّم نفسك لله ، وأن تسلم كلَّ ما تملك لله من أجل إعلاء كلمته ، ومن أجل الدعوة إلى دينه ، فإذا أصبت فقد وقع

(١) «المدارج» (٢/ ٣٠٦) .

أجرك على الله بنص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ﷺ ؛ فلما عزم الصديق ـ رضوان الله عليه ـ على تضمين أهل الردة ، وأن يلزمهم بما أتلفوه من أموال المسلمين ، ومن أنفسهم ودورهم وبيوتهم ؛ فقال له عمر ـ رضوان الله عليه ـ بمشهد الصحابة : « يا خليفة رسول الله ؛ تلك دماءٌ وأموال ذهبت في الله ، وأجورها على الله ، ولا دية لشهيد » ؛ لأن أجره قد وقع على الله سبحانه وتعالى ، فأقر الصحابة جميعًا قول عمر ـ رضوان الله عليه [1] ـ فمن باع نفسه وعرضه وماله لله ؛ فقد وقع أجره على الله يقينًا ، فمن قام لله حتى أوذي في الله يحرم عليه أن ينتقم ؛ كما قال لقمان لولده : ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧] ؛ فلابد أن تعلم أن من عزم الأمور أن تصبر على ما أصابك يا مَنْ أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ؛ لأنه لابد وحتمًا أنك ستتعرض للأذى ـ على اختلاف صوره وأشكاله ـ إن سرت على طريق الأنبياء والمرسلين ؛ فالطريق إلى الله ليس مفروشًا بالورد ، وليس ممهدًا بالزهور ، ولكنه طريق طويل شاق ، تعوي فيه الذئاب ، مفروش بالأشواك ، مليء بالدماء والأشلاء ، لا تثمر شجرته إلا إذا رويت مِنْ

(١) « زاد المعاد » (٣/ ١١٦) .

آنٍ لآخر بدماء الأطهار الأبرار ؛ فلابد أن تعلم طبيعة الطريق ، حتى لا تنزلق مع أول منعطف من منعطفات الفتن والمحن ، ومع أول ابتلاء تصاب به ، أو تتعرض له ، إذا سرت على طريق الأنبياء ، وعلى طريق سيد الأنبياء محمد ﷺ ؛ **فإذا ذقت مشهد الجهاد ، وعرفت حلاوته ذقت «الـمَشْهَدَ التَّاسِعَ » وهو « مَشْهَدُ النِّعْمَةِ »** وذلك من وجوه :

أحدها : أن تشهد نعمة الله ﷻ عليك يا من تعرضت للأذى في أن جعلك مظلومًا تترقب النصر من الله ، ولم يجعلك ظالمًا تترقب النقمة والمقت من الله ؛ فلو خيِّر العاقل بين الحالتين ـ ولابد من إحداهما ـ لاختار أن يكون مظلومًا .

ومنها : أن يشهد نعمة الله في التكفير بذلك من خطاياه ؛ فإنه ما أصاب المؤمن همٌّ ولا غمٌّ ولا أذى إلا كفر الله به من خطاياه ؛ فذلك في الحقيقة دواء يستخرج به منه داء الخطايا والذنوب ، ومن رضي أن يلقى الله بأدوائه كلِّها وأسقامه ، ولم يداوه في الدنيا بدواء يوجب له الشفاء ؛ فهو مجنون سفيه فأذى الخلق لك كالدواء الكريه من الطبيب المشفق عليك ، فلا تنظر إلى مرارة الدواء وكراهته ومن كان على يديه ، وانظر إلى شفقة الطبيب الذي ركبه لك ، وبعثه إليك على يدي من نفعك بمضرته .

ومنها : أن يشهد كون تلك البلية أهون وأسهل من غيرها ؛ فإنه ما من محنة إلا وفوقها ما هو أقوى منها وأمر ؛ فإن لم يكن فوقها محنة في البدن والمال فلينظر إلى سلامة دينه وإسلامه وتوحيده ، وأن كل مصيبة دون مصيبة الدين فهينة ، وأنها في الحقيقة نعمة ، والمصيبة الحقيقية مصيبة الدين .

ومنها : توفية أجرها وثوابها يوم الفقر والفاقة ، وفي بعض الآثار : « أنه يتمنى أناس يوم القيامة لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض ، لما يرون من ثواب أهل البلاء » هذا ، وإن العبد ليشتد فرحه يوم القيامة بمالَهُ قِبَلَ الناس من الحقوق في المال والنفس والعرض ؛ فالعاقل يعُدُّ هذا ذخرًا ليوم الفقر والفاقة ، ولا يطلبه بالانتقام الذي لا يجدي عليه شيئًا .

● **المَشْهَدُ العَاشِرُ : « مَشْهَدُ الأُسْوَةِ »** وهو مشهدٌ شريفٌ لطيفٌ ؛ فإن العاقل اللبيب لا يرضى أن يكون له أسوة إلا برسول الله ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١] ؛ فإن أوذيتُ فواجب عليَّ أن أصبر كما صبر سيد أولي العزم من الرسل الذي قال له ربُّه : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف:٣٥] .

● قال ابنُ القيم [(١)]: « فأنبياء الله ورسله أشد الخلق امتحانًا بالناس ، وأذى الناس إليهم أسرع من السيل في الحدور ، ويكفي تدبُّر قصص الأنبياء - عليهم السلام - مع أممهم ، وشأن نبينا ﷺ وأذى أعدائه له بما لم يُؤْذَهُ مَنْ قبله ،وقد قال له ورقة بن نوفل : « لَمْ يَأْت رَجُلٌ قَطُّ بِما جِئْتَ بِه إِلَّا عُودِي ، وإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا » [(٢)]. وهذا مستمرٌّ في ورثته كما كان في مورثهم ﷺ ؛ أفلا يرضى العبد أن يكون له أسوة بخيار خلق الله ، وخواص عباده : الأمثل فالأمثل ؟ ومن أحبَّ معرفة ذلك فليقف على محن العلماء ، وأذى الجهال لهم » انتهى.

إذا ذقت حلاوة « مَشْهَدِ الأُسْوَةِ » مَنَّ الله ﷻ عليك بأعلى وأرقى مشهد؛ ألا وهو « مَشْهَدُ التَّوْحِيدِ » وهو أجلُّ المشاهد في مراتب الإيذاء من الخلق ، وهو أرفعها ؛ فإن العبد إن امتلأ قلبه بمحبة الله ، والإخلاص لله ، وإيثار مرضاته ، والتقرب إليه ، وقَرَّت عينه به ، ولم يأنس إلا به ، واطمئن إليه ، وسكن إليه ، واشتاق إلى لقائه ، واتخذ

---

(١) «المدارج » (٢/ ٣٠٨) .

(٢) أخرجه البخاريُّ ، كتاب بدء الوحي ، باب (رقم ٣) (حديث٣) ، ومسلمٌ ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١٦٠) .

الله ﷻ وليًّا دون ما سواه ، ففوض أموره كلَّها إليه ، ورضي به وبقضائه ، خيره وشره ، وأحبه سبحانه وتعالى ، وخافهُ ورجاه ، وذكره ، وتوكل عليه ، فإنه بعد كلِّ ذلك لا يبقى في قلبه متسع لشهود أذى الناس له البتة ، فضلاً عن أن يشتغل قلبه وفكره بطلب الانتقام ؛ فهذا لا يكون إلا من قلبٍ ليس فيه ما يغنيه عن ذلك ويعوضه منه ، فهو قلب جائع غير شبعان ، فإذا رأى أيَّ طعام رآه هَفَتْ إليه نوازعه ، وانبعثت إليه دواعيه ، وأما من امتلأ قلبه بأعلى الأغذية وأشرفها ؛ فإنه لا يلتفت إلى ما دونها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم [١] .

○ **أَيُّهَا الأَحِبَّةُ** : هذه المشاهد لا تتم إلا بتحسين خلقك مع الحق سبحانه وتعالى بأن تعلم أن كل ما يأتي منك يوجب عذرًا ؛ فأنت مقصِّر على طول الخط ، وأنا مقصر على طول الخط ؛ فكلُّ قولٍ ، وكل عملٍّ بدَر مني ومنك يوجب عذرًا لله ، وأن تعلم أن كل ما آتاك منه سبحانه وتعالى يوجب شكرًا ؛ فالعبد السائر إلى الله يسير بين نعمتين : **الأولى** : مطالعة المنة . **والثانية** : مطالعة عيب النفس ، فتشعر على طول الخط بالتقصير ؛

---

(١) « المدارج » (٢/ ٣٠٨) .

فعلى العبد أن يعتذر لربه سبحانه وتعالى دومًا.

قال بعض السلف : « لا أدري أي النعمتين أشكر : على ذنوب سترها عليَّ ، وجعل لي بدلاً منها لسانًا حسنًا عند الناس ، أم على نِعَمٍ أنعم بها عليَّ لست أهلاً لها ؟ » .

● **قال ابنُ القيم في «المدارج»** [1] : « قال ـ أي: صاحب المنازل : « الدرجة الثانية : تحسين خلقك مع الحق ، وتحسينه منك : أن تعلم أن كل ما يأتي منك يوجب عذرًا ، وأن كل ما يأتي من الحق يوجب شكرًا ، وأن لا ترى له من الوفاء بدًّا » .

ثم علَّق ابن القيم بقوله : « وهذه الدرجة مبنية على قاعدتين :

أن تعلم أنك ناقص ، وكل ما يأتي من الناقص ناقص ؛ فهو يوجب اعتذاره منه لا محالة ؛ فعلى العبد أن يعتذر إلى ربه من كل ما يأتي به من خير وشر ، أما الشرُّ : فظاهر ، وأما الخير : فيعتذر من نقصانه ، ولا يراه صالحًا لربه .

فهو ـ مع إحسانه ـ معتذر في إحسانه ، ولذلك مدح الله أولياءه

بالوجل منه مع إحسانهم بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون:٦٠] ؛ فإذا خاف فهو بالاعتذار أولى ، والحامل له على هذا الاعتذار أمران :

أحدهما : شهود تقصيره ونقصانه .

الثاني : صدق محبته ؛ فإن المحبَّ الصادق يتقرب إلى محبوبه بغاية إمكانه ، وهو معتذر إليه ، مستحي منه ؛ أن يواجهه بما واجهه به ، وهو يرى أن قدره فوقه وأجل منه ، وهذا مشاهد في محبة المخلوقين .

القاعدة الثانية : استعظامُ كلِّ ما يصدر منه سبحانه إليك ، والاعتراف بأنه يوجب الشكر عليك ، وأنك عاجز عن شكره ، ولا يتبين هذا إلا في المحبة الصادقة ؛ فإن المحبَّ يستكثر من محبوبه كل ما يناله ، فإذا ذكره بشيء وأعطاه إياه ، كان سروره بذكره له ، وتأهيله لعطائه أعظم عنده من سروره بذلك العطاء ؛ بل يغيب بسروره بذكره له عن سروره بالعطية ، وإن كان المحب يسره ذكر محبوبه له ، وإن ناله بمساءة ؛ كما قال القائل :

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرَّني أني خطرت ببالكا

فكيف إذا ناله محبوبه لمسرة ـ وإن دقت ـ فإنه لا يراها إلا جليلة

خطيرة ؛ فكيف هذا مع الرب تعالى الذي لا يأتي أبدًا إلا بالخير ؟ ويستحيل خلاف ذلك في حقه ، كما يستحيل عليه خلاف كماله ، وقد أفصح أعرف الخلق بربه عن هذا بقوله : « والشَرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ » [1] ؛ أي : لا يضاف إليك ، ولا ينسب إليك ، ولا يصدر منك ، فإن أسماءه كلها حسنى ، وصفاته كلها كمال ، وأفعاله كلها فضل وعدل ، وحكمة ، ورحمة ، ومصلحة ؛ فبأي وجهٍ ينسب الشر إليه سبحانه وتعالى ؟ فكلُّ ما يأتي منه ؛ فله عليه الحمد والشكر ، وله فيه النعمة والفضل .

قولُه : « وأن لا يرى من الوفاء بدًّا » يعني : أن معاملتك للحق سبحانه بمقتضى الاعتذار من كل ما منك ، والشكر على ما منه : عَقْد مع الله تعالى ، لازم لك أبدًا ، لا ترى من الوفاء به بدًّا ؛ فليس ذلك بأمر عارض ، وحال يحول ؛ بل عقد لازم عليك الوفاء به إلى يوم القيامة » . انتهى .

هذه بعض المشاهد التي يشهدها العبد من أذى الخلق إليه ، ولا تتم له إلا إذا أصلح خُلُقه مع الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) أخرجه مسلمٌ ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٧١) عن علي بن أبي طالب ﷺ .

وأختم هذه المنزلة السامية ببيان أخلاق الأسوة والقدوة نبيِّنا محمدٍ ﷺ ؛ فإن النبيَّ ﷺ هو أَحْسَن البشرية خَلْقًا وخُلُقًا ؛ ففي « **الصحيحين** »[1] من حديث أنس ﵁ قال : « **كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا** » ، ولقد صنف علماؤنا في أخلاقه وشمائله كثيرًا من المصنفات ، لو عُدْت إلى هذه المصنفات والمجلدات الضخمة التي وقفت على جانب يسيرٍ من أخلاق البشير النذير ﷺ لرأيت العجب العجاب[2] ، ولن نستطيع أن نقف عند كلِّ صفة من أخلاقه ؛ بل أُجْمِل لك أخلاقَهُ إجمالاً ، وأقف بعدها مع بعض التفصيلات من جوانب خُلُقِ النبيِّ ﷺ فحسب .

لقد كان النبيُّ ﷺ أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأعدل الناس ، وكان أزكى الناس ، وكان أزهد الناس ، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان يقبل الهدية ويكافئ عليها ، وكان لا يستكبر عن إجابة دعوة الأَمَةِ والفقير والمسكين ، وكان يغضب لربه ، ولا يغضب لنفسه

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٢٠٣) ومسلمٌ (٢١٥٠) .

(٢) ومن ذلك « **الشمائل المحمدية** » للإمام الترمذي ، ومختصره للعلامة الألباني ، و« **شمائل الرسول** » للحافظ ابن كثير و« **أخلاق النبي ﷺ** » لأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهما .

أبدًا ، وكان يضع الحجر على بطنه أحيانًا كثيرة من شدة الجوع وهو حبيب الله ، إن وجد شواءً أكله ، وإن وجد حلوًا أكله ، وإن وجد دون خبز أكله ، وإن وجد بطيخًا ورطبًا أكل الرطب بالبطيخ ، وكان يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، وكان أشد الناس تواضعًا ، وكان أسكن الناس من غير كبر ولا خيلاء ، وكان يلبس شملة ، ومرة يلبس بردة يمانية ، ومرة يلبس سترة صوف ، فما وجده من اللباس أمامه ميسرًا لبسه ، يركب ما يسَّره الله له ، مرةً يركب فرسًا ، ومرة بعيرًا ، ومرة بغلة ، ومرة حمارًا ، ومرة يمشي على رجليه ، ومرة حافيًا بدون نعلين ، يجلس مع الفقراء ، ويؤاكل المساكين ، ويكرم أهل الفضل ، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم والود معهم ، يقبل معذرة المعتذر إليه ، يمازح أصحابه ولا يقول إلا حقًّا ، يسابق زوجاته أحيانًا في السفر ، تُرفع الأصواتُ عليه من بعض الأعراب الجفاة فيصبر ولا يغضب ، لا يحتقر مسكينًا لفقره ، ولا يهاب مُلْك مَلكٍ ، ما ضرب أحدًا قط ، لا خادمًا ولا امرأة إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما غضب لنفسه قط ، إنما كان يغضب إذا انتهكت محارم الله ، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، لم يكن فظًّا ولا غليظًا ، ولا صخابًا بالأسواق ، وما كان يجزي بالسيئة

السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام ، وما أخذ أحدٌ بيده فيرسل النبيُّ ﷺ يده حتى يرسلها الآخر ، ولم يكن يُعرف النبيُّ ﷺ في مجلسه بين أصحابه ؛ لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، وكان يدعو أصحابه بكُناهم : يا أبا فلان ، يا أبا فلان ؛ إكرامًا لهم ، واستمالة لقلوبهم ، ومن لم تكن له منهم كنية ، كنَّاه ، وكان أبعد الناس غضبًا ، وأسرعهم رضًا ، وكان أرأف الناس بالناس ، وخير الناس للناس ، وصدق ربِّي ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ إذ يقول في حقه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم:٤] .

لقد كان النبيُّ ﷺ آيةً من آيات الله ، وعجيبة من عجائب الكون ؛ فهو رسول الله ﷺ (١) .

---

(١) وقد كتب بعضهم أن النبيَّ ﷺ زعيم ، وقائد سياسيٌّ بارع ، وأنه أعظم العظماء ، وهذا كلُّه حق ؛ لكن لا ينبغي على الإطلاق أن تنطلي علينا هذه الخدعة بأن تُقَدَّم لنا سيرة نبينا ﷺ على أنه واحد من العظماء ، أو قائد من القادة الأبطال بعيدًا عن أنه رسولٌ من عند الله ! فهذا خطأ عظيم ؛ لأنك لو تعاملت مع سيرة النبيِّ ﷺ على أنه عظيم من العظماء ؛ فربما تأخذ منه وترد ، وتقبل منه وترفض ، وتتعامل مع مواقفهِ الجليلة التي يستحسنها عقلك معاملة جليلة ، وقد تتعامل مع موقف آخر معاملة أخرى ؛ لكن ينبغي أن تعلم أنه قبل كلِّ ذلك رسولٌ من عند الله ، يجب عليك أن تتعامل معه على انه رسول من عند الله .

● فهو رسولٌ من عند الله يتلقى الوحي من السماء ليربط الأرض بالسماء بأعظَمِ رباط ، وأشْرفِ صلة .

● وهو رجلُ حرب يضع الخطط للجيوش ؛ بل ويقود الجيش بنفسه ؛ بل إذا حمى الوطيس(١) ، واشتدت المعركة ، وفرَّ الأبطال من حوله ، صدَّ السهام والسيوف بنفسه ، وصمد أمام الأعداء ؛ فكان هو الثابت الشجاع المغوار .

● وهو رجلُ أمة استطاع أن يقيم للإسلام دولة من فتاتٍ متناثر وسط صحراء تموج بالكفر والجهل موجًا ؛ فإذا بدولة الإسلام بناءٌ شامخٌ لا يطاوله بناء ، وذلك في مدة لا تساوى في حساب الزمن شيئًا على الإطلاق .

● وهو أبٌ وربُّ أسرة كبيرة تحتاج كثيراً من النفقات ؛ من نفقات الفكر ، والعواطف ، والشعور ، والتربية ؛ فضلاً عن النفقات المادية ، فضلاً على نفقات الوقت ، فيقوم المصطفى بهذا كلِّه ، وكأنه ما خلق إلا

---

(١) والوطيس : التنور ، ويكنى بها عن الحرب ؛ فيقال: حمي الوطيس إذا اشتدت الحرب ؛ راجع « اللسان » (٦/ ٢٥٥) مادة (وطس) ، و« المصباح المنير » (٢/ ٦٦٣) .

ليكون أبًا .

● وهو رجلُ دعوةٍ أخذت الدعوة عقله ، وفكره ، وروحه ، وعرقه ، قال له ربُّه من أول يوم : ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ ﴾ [المدثر:٢] ؛ فقام النبيُّ ﷺ ولم يذق طعم الراحة حتى لقي ربَّه ومولاه .

● وهو رجلٌ إنسانيٌّ من طرازٍ فريدٍ ، تأخذ الأَمَةُ بيدهِ ـ كما ذكرت ـ فينصرف معها حتى يقضي لها حاجاتها كأنه ما خلق إلا ليمسح دموع البائسين ، وليذهب آلام المحرومين .

● وهو رجلٌ عابدٌ خاشعٌ أواهٌ ، لا تراه يشعر بالأنس ولا بالسعادة إلا وهو في محراب العبادة ، إذا ما وضع وجهه بين يدي سيده ومولاه ، حتى تورَّمت قدماه من طول الوقوف بين يدي الله ، وقيل له : يا رسول الله ! أو لم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « **أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا** »[1] فلما أراد الله ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ أن يقدم لدنيا الناس قدوة حية لا تَبلى بعث المصطفى ﷺ ؛ فكان النبيُّ ﷺ أعْظمَ قدوةٍ عرفتها الأرض ، وصدق ربي إذ يقول : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١١٣٠) ومسلمٌ (٢٨١٩) .

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١]؛ لذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما[1] : « ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا هي أكرم عليه من محمد ، وما أقسم الله بحياة أحدٍ غيره ؛ قال تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر:٧٢] » .

ولذا أيها الأفاضل : لا يعرف قدر النبيِّ إلا الربُّ العليُّ ؛ فما خاطب الله نبيناﷺ باسمه المجرد قط ؛ فلقد نادى الله على كل الأنبياء بأسمائهم مجردًا إلا المصطفى ﷺ ، تدبر معي هذه النداءات من رب الأرض والسماوات لأنبياء الله ورسله ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات:١٠٤ :١٠٥] ، وقال : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص:٣٠] ، وقال : ﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ [هود:٤٨] ، وقال : ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] ، وقال : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ﴾ [مريم:٧] ، وقال : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم:١٢] ،

---

(١) أخرجه الطبريُّ في « تفسيره » (١٧/ ١٨) ، (تفسير الحجر:٧٢) ، وعزاه السيوطيُّ في « الدر » لابن أبي شيبة والحارث بن أبي أسامة في « مسنده » (٩٣٤) ، ولأبي يعلى وأبي نعيم وابن أبي حاتم ، والبيهقي في « الدلائل » .

وقال :﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص:٢٦] ؛ فلما أراد الله أن يخاطب نبينا ﷺ ، قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦]، وقال : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [آل عمران:١٧٦] ، ونادى عليه بصفته ؛ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ [المدثر:١، ٢] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [المزمل:١، ٢] ، وما ذكر الله اسم نبينا مجردًا في القرآن الكريم كلِّه قط إلا مقترنًا بصفة الرسالة والنبوة ؛ فقال ـ جَلَّ وَعَلاَ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح:٢٩] ، وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران:١٤٤] ، وقال : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٤٠] ، إن دلَّ هذا فإنما يدل على مكانةٍ عظيمة لنبينا عند ربنا ﷻ .

وما أجمل قول عائشة ؓ حينما سُئِلت عن خلقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فَلَخَّصَتْ خُلُقَ النبيِّ ﷺ تلخيصًا عجيبًا ؛ فقالت : « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ » [(١)] . ولا أستطيع ـ والله ـ أن أقف مع أخلاقه هنا على

---

(١) أخرجه مسلمٌ في « الصحيح » (٧٤٦) .

جهة البسط والتفصيل ، لو فعلت ذلك لاحتجت إلى مجلدات ، ولقد أبدعت عائشة حينما لَخَّصَتْ أخلاقَهُ في كلماتٍ ! والذي يُمزِّق القلب ، أن الأمة أصبحت تتعامل الآن مع أخلاق رسول الله ﷺ على أنها من باب الحكايات والأساطير ، وكأنها ليست مسؤولة أن تحوِّل هذه الأخلاق العظيمة الكريمة في حياتها إلى واقع عمليٍّ ، وإلى منهج حياة ؛ فمشكلةُ الأمة مشكلة أخلاقية ، وأنا لا أودُّ بهذا أن أقلل من مشكلة ذبح العقيدة التي ذبحت شرَّ ذبحة ، وإنما إذا عادت الأمة إلى أخلاق النبيِّ ﷺ صححتِ العقيدة ، وصححت العبادة ، وصححت المعاملات ، وصححت السلوكيات ، وصححت علاقتها بربها ؛ لذا حاول أعداؤنا بكل سبيل أن يضعوا الحواجز والعقبات والعراقيل والسدود ؛ حتى لا تستفيد الأمة من هذا الخلق المضيء ، وحتى لا تستمد الأمة من هذه الدماء (الزكية) دماء لتتدفق من جديد في عروق مستقبلنا وأجيالنا ، فَفَصَلَ الأعداءُ بين الأمة وبين قائدها الأعظم وقائدها الأكرم ﷺ ، وصارت الأمة تتعامل مع أخلاقه تعاملاً ذهنيًّا باردًا ، ويخرج أحدنا يردِّد بلسانه هذه الأخلاق النبيلة ، وكأنه ليس مطالبًا بأن يحولها في حياته إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة ؛ قال الله ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨] .

● وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قيل له يومًا : يَا رَسُولَ الله ! ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ : « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ».

● قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ؛ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما[(٢)]: « من آمن بالله واليوم الآخر كُتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف » . لأن الله قال له : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[الأنفال:٣٣] .

● وفي الحديث الذي رواه ابنُ سعدٍ في «الطبقات» مرسلاً ؛ لكن رواه موصولاً الحاكمُ في « مستدركه » وابنُ الأعرابي في«معجمه» [(٣)]

---

(١) أخرجه مسلمٌ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٥٩٩) .
(٢) أخرجه الطبريُّ في « تفسيره » (٢٤٧١٤) .
(٣) أخرجه ابن سعد في « **الطبقات** » (١/ ١٩٢) ، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٥) ، والدارميُّ في « سننه » (١٥) عن أبي صالح مرسلاً ، وسندهُ صحيحٌ =

بسندٍ صحيح لغيره من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ ».

وروى مسلمٌ في «صحيحه» [(١)] من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو ﷺ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ الله ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ - على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٦] ، لم يقل : فمن عصاني فانتقم منه - وَقَالَ عِيسَى ﷺ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة:١١٨] ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي » وَبَكَى ؛ فَقَالَ الله ﷻ : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ الله : يَا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ

= مرسلٌ ؛ لكن وصله الحاكم في « مستدركه » (١/ ٩١) ، والطبرانيُّ في « الأوسط » (٢٩٨١) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (٢/٢٤٧) وقوَّى الحديثَ بطرقه العلامة الألبانيُّ في « الصحيحة » (٤٩٠) ويشهد له حديثُ مسلم المتقدم آنفًا.

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم (٢٠٣) .

إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ » . ربما لا يستوعب كثير هذا المعنى بالنظرة السريعة إلى واقع الأمة المهين الذليل ! والجواب من ناحيتين : **الأولى** : أن تكون نظرتك لواقع الأمة نظرة عميقة بجميع التاريخ وطوله ، بمعنى ألا تقتصر نظرتك للأمة على هذه السنوات العجاف المهينة التي تحياها الأمة الآن ؛ لكن كُنْ صاحب نظرة واسعة شاملة ؛ فالنظر إلى عمق التاريخ ، وإلى صفحات التاريخ الماضية يوم أذلَّت الأمةُ الأكاسرة ، وأهانت الأمة القياصرة ، وغيَّرت مجرى التاريخ في مدة لا تساوي شيئًا ، ورفعت هذه الأمة راية التوحيد على ثلثي الكرة الأرضية في أقل من نصف قرن من الزمان !

الثانية : انظر إلى كرامة الأمة عند الله بالمقارنة إلى واقع أمم الكفر ، وأحوال أمم الكفر عند الله ؛ فشتان شتان بين من وحَّد الربَّ العليَّ ، وبين من كفر به سبحانه وتعالى ، حتى ولو ملك الدنيا بأجمعها ؛ فإنه لا وزن له ولا كرامة عند الله ، فالله لا يزن أحدًا بموازين البشر ؛ بل هو القائل : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات:١٣] ؛ هذا هو الميزان الذي يزن الله به خلقه وعباده ، وقال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم:٣٥، ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ

نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص:٢٨] ، لا يستوي المؤمن مع الكافر عند الله قط ، فإن كانت الأمة الآن في المئة سنة الماضية بعد ما زال ظِلُّ الخلافة تعرَّضت إلى هذا الهوان وهذه المهانة ؛ فلا ينبغي على الإطلاق أن تختزل سنوات جليلة طويلة ، كانت الأمة فيها مُعزَّزة مُكَرَّمة ، يوم أن امتثلت الأمر ، واجتنبت النهي ، ووقفت عند الحد ، ومع هذا الواقع المرير أيضًا ؛ فأنا أعلنها بأعلى صوتي : إن الأمة وإن مرضت ؛ لكنها ما ماتت ولن تموت ؛ لأنها أمة محملة بأشرف أمانة ؛ لأنها الأمة الخاتِمة أو الخاتَمة التي جعلها الله ﷻ خير أمة أخرجت للناس ،وشرفها بحمل أشرف رسالة لكل الناس ، والأيام دول ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[آل عمران:١٤٠] ، وصدق ربِّي إذ يقول : ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[النساء:١٠٤] .

● وفي «صحيح مسلم» (١)من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال :

---

(١) أخرجه مسلمٌ ،كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١٩٩/٣٣٩) .

« لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ». هذا هو الفهم الراقي لقضية الشفاعة ، وليس كما قال أَحَدُ الدكاترة : بأن أحاديث الشفاعة تفتح أبواب الجنة سبهللة !!

فرحمة النبيِّ ﷺ بالأمة في الجملة لا يستطيع عالم بليغ أن يجسدها ؛ ففي «الصحيحين»[1] من حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ قال : كُنَّا مَعَ رسول الله ﷺ فِي قُبَّةٍ ـ أي : خيمة ـ فَقَالَ النبيُّ ﷺ لأَصْحَابه : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟» قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ » قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَذَاكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلاَّ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدَ أَوِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرَ » ؛ تلك هي مكانة الأمة بين الأمم ، وأنا أقول : إنَّ الأمة ما كُرمت إلا تكريمًا من الله لنبينا ، ثم بتوحيدها لله ؛ كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

---

(١) أخرجه البخاريُّ ،كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر (٦٥٢٨) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (٢٢١/ ٣٧٧) .

بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] ، ولقد تجسدت رحمة النبيِّ ﷺ العامة في الأمة في دعوته ؛ قال له ربه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، وخاطبه ربُّه بقوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل:١٢٥] ، ونزل عليه قولُ ربه في حق موسى وهارون : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٣، ٤٤] ، فتجسَّدت رحمةُ النبيِّ ﷺ في دعوته لأفراد الأمة ، والأمثلة على ذلك كثيرة ؛ ففي «**الصحيحين**»(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لا تُزْرِمُوهُ** »، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ.

○ وفي رواية لمسلم(٢) : قَالَ أَنَسٌ : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الـمَسْجِدِ مَعَ

---

(١) أخرجه البخاريُّ ،كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كلِّه (٦٠٢٥) ، ومسلمٌ ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره (٢٨٤) .
(٢) (برقم:٢٨٥) .

رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : مَهْ مَهْ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ** » فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : « **إِنَّ هَذِهِ الـمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ﷻ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** » ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ : فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ .

ما أحوج البشرية عامة ، والأمة خاصة أن تعود من جديد إلى أخلاق نبينا ﷺ لتسعد في الدنيا والآخرة ، وأسأل الله أن يردَّ الأمة إليه ردًّا جميلًا » انتهى كَلامُ شَيْخِنَا – حَفظه الله تعالى وَقَوَّاه – .

ﮧﮧ ◊ ﮦﮦ

فجَاهِد نفسك _ أخي وحبيبي في الله _ بالتحلي بمكارم الأخلاق ، ومعالي الشيم ، ومحاسن الأعمال ، ثم بنزع هذه الخصلة – أعني : خصلة الغضب – منك ، وطَرْح هذا الخُلُق الذميم عنك .

قُمْ وانهض بتركِهِ ، والتحرز منه ، واجتنابه ، والبعد عنه ؛ فالبعدُ عنه غنيمة ، والتحرز منه سلامة وراحة وسكينة ، وعليك بالحلم ، والزمْهُ ؛ فإنه أفضلُ رداء ، وَأَكْرِمْ به من دواء .

فَمَنْ حلُم عظُم[1] ، ومن عفا ساد[2] ، ومن تجاوز استمالت إليه القلوب ، ومن قلَّ غضبُهُ قويت حُجَّتُهُ ، وظهر على خصمه .

○ **قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لابْنِهِ :**

« يَا بُنَيَّ ! احْتَفِظْ مِنَ النَّزَقِ عِنْدَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ ؛ فَإِنَّكَ مَتَى افْتَتَحْتَ بَدْوَ غَضَبِكَ بِكَظْمٍ خُتِمَتْ عَاقِبَتُهُ بِالْحِلْمِ ، وَمَتَى افْتَتَحْتَهُ بِالْقَلَقِ وَالضَّجَرِ خَتَمْتَهُ بِالسَّفَهِ ، وَإِذَا حَاجَجْتَ ؛ فَلا تَغْضَبْ ؛ فَإِنَّ الْغَضَبَ يَقْطَعُ الْحُجَّةَ ، وَيُظْهِرُ عَلَيْكَ الْخَصْمَ »[3]. وَالنَّزَقُ ؛ كما في « **اللسان** » : خِفَّةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَعجلةٌ في جَهْلٍ وحُمْقٍ !!

---

(١) قال سعيد بن عبد العزيز رحمه الله : « فَضَل شدادُ بنُ أوس الأنصار بخصلتين : ببيَانٍ إذا نطق ، وبكَظمٍ إذا غضب » ؛ كما في (« السير » ٢/ ٤٦٤) .

(٢) قيل لمعن بن زائدة رحمه الله : المؤاخذة بالذنب من السؤدد ؟ فقال : « لا ، ولكن أحسن ما يكون : الصفح عمن عظم جرمه ، وقلَّ شفعاؤه ، ولم يجد ناصرًا ».

(٣) « المجالسة وجواهر العلم » (٤ / ٤٧٧) ط دار ابن حزم .

وهي وصيةٌ نافعةٌ جدًّا ؛ فاحرص عليها – أيها المسلم النبيل – .

○ **واعلم أن :**

● من علاماتِ المسلم ●

« قوةٌ في دين ، وحزمٌ في لين ، وإيمانٌ في يقين ، وعلمٌ في حلم[(١)] ، وكيسٌ في رفق ، وإعطاءٌ في حق ، وقصدٌ في غنى ، وتجملٌ في فاقة ، وإحسانٌ في قدرة ، وصبرٌ في شدة ، لا يغلبه الغضب ، ولا تجمح به الحمية ، ولا تغلبه شهوته ، ولا تفضحه بطنه ، ولا يستخفُّه حرصه ، ولا تقصر به نيته ، فينصر المظلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يبخل ولا يبذر ، ولا يُسرف ولا يَقتُر ، يغفر إذا ظُلم ، ويعفو عن الجاهل[(٢)] ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في رخاء »[(٣)] .

---

(١) **قال محمد بن عجلان** رحمه الله : « ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم ، إن تكلم تكلَّم بعلم ، وإن سكت سكت بحلم ، يقول الشيطان : سكوتُه عليَّ أشدُّ عليّ من كلامه » ؛ فالحليمُ سليمٌ ، والسفيهُ كليمٌ .

(٢) وقل له :

قُلْ ما بدا لك مِنْ صدقٍ ومن كذبٍ ؟ حلمي أصمٌّ وأُذني غيرُ صماءِ .

○ وخيرٌ منه قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: من الآية٦٣] .

(٣) أورده الغزاليُّ في (« الإحياء » ٣/ ٢٥٩) عن الحسن البصري رحمه الله . وهو في « **الأمالي** » للشجري (٢٢) وابن أبي الدنيا في « **اليقين** » (٣٣) .

● **قال شيخ الإسلام في « الاستقامة »**[(١)] :

« والصبر صبران : صبر عند الغضب ، وصبر عند المصيبة ؛ كما قال الحسن رحمه الله : « ما تجرع عبد جرعةً أعظم من جرعة حلم عند الغضب ، وجرعة صبر عند المصيبة » . وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم ، وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر على المؤلم . والمؤلم إن كان مما يمكن دفعه أثار الغضب ، وان كان مما لا يمكن دفعه أثار الحزن ، ولهذا يحمرُّ الوجه عند الغضب لثوران الدم عند استشعار القدرة ، ويصفر عند الحزن لغور الدم عند استشعار العجز ، ولهذا جمع النبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلمٌ[(٢)] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ ؟** » . قَالَ : قُلْنَا : الَّذِي لاَ يُولَدُ لَهُ . قَالَ : « **لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ ؛ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا** ». قَالَ : « **فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ ؟** ». قَالَ : قُلْنَا : الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ.

قَالَ : « **لَيْسَ بِذَلِكَ ؛ وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ** » ، فذكر ما يتضمن الصبر عند المصيبة والصبر عند الغضب ؛ قال الله تَعَالَى

---

(١) (ص : ٢٧١ و ٢٧٢) .

(٢) في « **الصحيح** » (برقم : ٢٦٠٨) .

في المصيبة : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة البقرة : ١٥٥ - ١٥٦] .

وقَالَ تَعَالَى في الغضب : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فصلت :٣٥] ؛ فجمع بين صبر المصيبة وصبر الغضب ».

ജ ◊ ഇ

● تحاشي إغضاب السائلين ●

وحتى لا يقع المرءُ في إغضابِ سائلٍ إذا ردَّه ، أو انتوى عدم إعطائه لسببٍ من الأسباب ، أو لأنه لا يوجد شيء عنده يعطيه إياه ؛ عليك أن ترفق في الرد ، أو أن تبيِّن له عدم استطاعتك في إعطائه ، أو أن ترشده إلى ما هو أصلح له بأسلوبٍ ليِّن ، فلا تقهره أو تحزنه ، أو تكفهر في وجهه ؛ قَالَ تَعَالَى :﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾ [الضحى:١٠] .

● والمعنى ؛ كما قال ابن جرير الطبري رحمه الله في « تفسيره »[١] :

« وأما من سألك من ذي حاجة فلا تنهره، ولكن أطعمه واقض له حاجته » .

● وما أمتع ما قاله السعديُّ رحمه الله في « تفسيره »[٢] :

« أي: لا يصدر منك إلى كلامٌ للسائل يقتضي ردَّه عن مطلوبه ، بنهر وشراسة خلق ؛ بل أعطه ما تيسر عندك أَوْ رُدَّه بمعروف وإحسان .

---

(١) « جامع البيان » (١٠/٨٦٨٨) .
(٢) ط الرسالة .

يدخل في هذا السائل للمال ، والسائل للعلم ، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم ، ومباشرته بالإكرام ، والتحنن عليه ، فإن في ذلك معونة له على مقصده ، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد » .

● وفي « الصحيحين[١] » من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ :

أنَّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفِد ما عنده ، فقال : « **مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ** » .

● **قال الحافظ في « الفتح »[٢] :**

« قوله : « **فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ** » أي : أحبسه وأخبؤه وأمنعكم إياه منفردًا به عنكم ، وفيه ما كان عليه من السخاء وإنفاذ أمر الله ، وفيه إعطاء السائل مرتين ، والاعتذار إلى السائل ، والحض على التعفف ،

---

(١) خ (١٤٦٩) و م (١٠٥٣) .
(٢) (٣ / ٣٩٣) .

وفيه جواز السؤال للحاجة ، وإن كان الأولى تركه والصبر حتى يأتيه رزقه بغير مسألة » .

● وفي « الصحيحين[1] » من حديث حكيم بن حزام ﷺ قال : سألتُ رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : « **يَا حَكِيمُ ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى** » . قَالَ حَكِيمٌ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ . فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ » .

○ قولُه : « خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ » شبهه بالرغبة فيه ، والميل إليه ، وحرص النفوس عليه ، بالفاكهة الخضراء المستلذة ؛ فإن الأخضر مرغوب فيه

على انفراده بالنسبة إلى اليابس ، والحلو مرغوب فيه على انفراده بالنسبة للحامض ؛ فالإعجاب بهما إذا اجتمعا أشد ؛ قاله الحافظ .

○ **وقولُه** : « **بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ** » أي : بغير شره ولا إلحاح ؛ أي : من أخذه بغير سؤال ،وهذا بالنسبة إلى الآخذ ، ويحتمل أن يكون بالنسبة إلى المعطي ؛ أي : بسخاوة نفس المعطي ، أي : انشراحه بما يعطيه .

○ **وقولُه** : « **لاَ أَرْزَأُ** » أي : لا أنقص ماله بالطلب منه ، وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه ؛ لأنه خشي أن يقبل من أحدٍ شيئًا ، فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده ، ففطمها عن ذلك ، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ».

ثم قال الحافظ[1] :

« قال ابن أبي جمرة : في حديث حكيم فوائد :

- **منها** : أنه قد يقع الزهد مع الأخذ ؛ فإن سخاوة النفس هو زهدها .

---

(1) « الفتح » (١٠ / ٣٩٤) .

- ومنها : أن الأخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة في الزهد ؛ فتبين أن الزهد يحصل خيري الدنيا والآخرة .

- وفيه : ضرب المثل لما لا يعقله السامع من الأمثلة ؛ لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير ، فبين بالمثال المذكور أن البركة هي خلق من خلق الله تَعَالَى ، وضرب لهم المثل بما يعهدون ؛ فالآكل إنما يأكل ليشبع ؛ فإذا أكل ولم يشبع كان عناء في حقه بغير فائدة ، وكذلك المال ؛ ليست الفائدة في عينه ، وإنما هي لما يتحصل به من المنافع ، فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة كان وجوده كالعدم .

- وفيه : أنه ينبغي للإمام أن لا يبين للطالب ما في مسألته من المفسدة إلا بعد قضاء حاجته ، لتقع موعظته له الموقع ، لئلا يتخيل أن ذلك سبب لمنعه من حاجته .

- وفيه : جواز تكرار السؤال ثلاثًا ، وجواز المنع في الرابعة ، والله أعلم .

- وفي الحديث أيضًا : أن سؤال الأعلى ليس بعار ، وأن رد السائل بعد ثلاث ليس بمكروه ، وأن الإجمال في الطلب مقرون بالبركة » .

فحتى لا تُغضِب السائل إذا لم تعطه سؤلَه أو حاجته ، عليك أن ترفق في ردِّه ، وأن تبذل له الكلم الطيب ، والقول اللطيف الحسن ؛ قَالَ تَعَالَى :﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: من الآية٨٣] .

● وفي « الصحيحين[١] » من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ » .

● وفيهما أيضًا[٢] من حديث عدي بن حاتم ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « اتَّقُوا النَّارَ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ[٣] ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .

● **قال ابن بطال** رحمه الله[٤] :

« الكلام الطيب مندوب إليه ، وهو من جليل أفعال البر ؛ لأن النبيَّ ﷺ جعله كالصدقة بالمال ، ووجه تشبيهه هو أن الصدقة بالمال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها ، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن ، ويحسن موقعها من قلبه ، فاشتبها من هذه الجهة ، ألا ترى أنها تُذهب

---

(١) خ (٢٩٨٩) و م (١٠٠٩)، قطعة من حديث عندهما .
(٢) خ (٦٠٢٣) و م (١٠١٦) [٦٨] .
(٣) وفى رواية لمسلم : (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ...) .
(٤) « شرح ابن بطال على صحيح البخاري » (٩/ ٢٢٥) ط الرشد ، ونقله عنه مختصرًا الحافظ في « الفتح » (١٠ / ٤٦٣) .

الشحناء ، وتجلي السخيمة ؛ كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ ، والدفع بالتي هي أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل ».

ﮗﮗ ◊ ﮖﮖ

● وقوعُ الغضبِ في بيوتِ الصالحين وبين الأزواج ●

لا تخلو كثيرٌ من بيوتنا من مخاصماتٍ ومشاحناتٍ ، حتى بيوت الصالحين والمتقين .

فقد يصدر من هؤلاء الخيرة نوعُ شقاقٍ ، وخصامٍ ، ونزاعٍ ، وغضبٍ ؛ لكنهم سرعان ما يفيئون ويستدركون ، ويرجعون ويهدؤون ؛ كما قال الله تَعَالَى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾[الأعراف:٢٠١] .

● قال الإمام الطبريُّ في « تفسيره » :

« يقول تَعَالَى ذكره : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ اللهَ من خلقه ، فخافوا عقابه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ يقول : إذا ألمَّ بهم لَـمَمٌ من الشيطان من غضب أو غيره مما

يصدُّ عن واجب حق الله عليهم ، تذكروا عقاب الله وثوابه ، ووعده ووعيده ، وأبصروا الحق فعملوا به ، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم ، وتركوا فيه طاعة الشيطان .

وأما قوله : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ ؛ فإنه يعني : فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه ، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان ». انتهى .

● فهذا سيِّدُ الخلق ، وإمامُ المتقين ، رسولُنا ونبيُّنا محمد الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم قد وقع منه شيءٌ من هذا في بيوتِ أزواجه ؛ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما حين آلى ﷺ من نسائهِ شهرًا في مشربةٍ له ، فنزل لتسعٍ وعشرين يومًا[١] .

● وكما في « الصحيحين[٢] » من حديث عائشة رضي الله عنها قالت :

« مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا . قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ ؛ فَيَقُولُ : « أَرْسِلُوا بِهَا

---

(١) ونحوه عند البخاري (٥٢٨٩) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٢) خ (٣٨١٨) وكذا (٣٨١٦) و م (٤٢٣٥ واللفظ له) .

إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ ». قَالَتْ : فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا ، فَقُلْتُ : خَدِيجَةَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا » .

وفي قول عائشة رضي الله عنها : « مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ » ثبوت الغيرة ، وأنها غير مستنكرٍ وقوعها من فاضلات النساء فضلًا عمن دونهن ، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبيِّ ﷺ ، لكن كانت تغار من خديجة أكثر ، لكثرة ذكر النبيِّ ﷺ إياها ، وأصْلُ غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها ، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة ؛ وقال القرطبي : مرادها بالذكر لها : مدحها والثناء عليها »[(١)].

وفي رواية البخاري : قالت عائشة : « فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ[(٢)] ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ » .

ولم يزد ﷺ على قوله – في رواية مسلم - : « إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا » حين أغضبَتْهُ أُمُّنا عائشة رضي الله عنها ؛ فالأنبياء إذا صدر منهم غضب فهم لا يعملون بموجبه - كما يأتي تفصيله في أواخر الرسالة إن شاء الله -.

---

(١)« الفتح » (٧ / ١٦٩) .
(٢) أي : كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك ؛ قاله الحافظ .

وهذا إذا كان غضبُ النبي ﷺ لا يتعلق بأمرٍ من أمور الدين ، أما إن رأى أو سمع شيئًا مُخالفًا للشرعِ تغيَّر وجهُهُ، وغضب ، وعُرفت الكراهية عليه، وربما قال، ولم يسكت، أو غيَّر بيده - ويأتي لذلكِ مزيدٌ إن شاء الله -.

● ومن هذا الباب ؛ بابُ مغاضبةِ الأزواجِ للزوجات - وأن ذلك كائنٌ في بيوتِ أهل الصلاح[١] - ؛ ما أخرجه البخاريُّ ومسلم في « صحيحيهما[٢] » من حديث سهل بن سعد الساعديِّ ﷺ قال :

« مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي تُرَابٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ بِهِ إِذَا دُعِيَ بِهَا[٣] ، جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ ؛ فَقَالَ : « أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ » . فَقَالَتْ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ ،

---

(١) وإن رأى الزوج على زوجته شيئًا يُخالفُ الشرع ؛ عليه أن يغضب لله ، وينكر عليها ابتغاء وجهه ورضاه .

● قال ابن تيمية - طيَّب الله ثراهُ - :

« ومَنْ أغضب أهلهُ لله ، أرضاهُ اللهُ وأرضاهم » . (« الاقتضاء » ٢/ ٥١٣ دار المسلم) .

(٢) خ (٦٢٨٠) و م (٢٤٠٩) .

(٣) وفي رواية للبخاري (٦٢٠٤) : « وما سمَّاه أبو تراب إلا النبي ﷺ » .

فَغَاضَبَنِي ، فَخَرَجَ ، فَلَمْ يَقِلْ[1] عِنْدِي ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لإِنْسَانٍ : « انْظُرْ أَيْنَ هُوَ ؟ » فَجَاءَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله هُوَ فِي الْـمَسْجِدِ رَاقِدٌ . فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ وَهْوَ مُضْطَجِعٌ ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ ، فَأَصَابَهُ تُرَابٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَهْوَ يَقُولُ : « قُمْ أَبَا تُرَابٍ ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ » .

○ والغرض منه قولُ فاطمة رضي الله عنها : « فَغَاضَبَنِي ، فَخَرَجَ ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي ».

● قال الحافظ في (« الفتح » ١٠/ ٦٠٤) :

« قال ابنُ بطال : وفيه أن أهل الفضل قد يقع بين الكبير منهم وبين زوجته ما طُبع عليه البشر من الغضب ، وقد يدعوه ذلك إلى الخروج من بيته ، ولا يُعاب عليه » .

● **قلت** (القائل : الحافظ) : « ويُحتمل أن يكون سبب خروج عليٍّ ؛ خشية أن يبدوا منه في حالةِ الغضب ما لا يليق بجناب فاطمة رضي الله عنها ،

---

(١) وفي المصدر المتقدم عند البخاري : « غَاضَبَ يَوْمًا فَاطِمَةَ ، فَخَرَجَ فَاضْطَجَعَ إِلَى الْجِدَارِ فِي الْـمَسْجِدِ ».

فحسم مادة الكلام بذلك إلى أن تسكن فورةُ الغضب من كلٍّ منهما ».

انتهى .

فهكذا يقع في بيوتِ الصالحين بين الأزواج مع زوجاتهن لكن سرعان ما يرجعون ويفيئون ؛ بل تراهم يردون ويقهرون سلطان الغضبِ ، ويدفعونه بالأساليب الهادئة ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: من الآية٢٠١][1] .

○ ثم إنه مما تنبغي الإشارة إليه أن على الزوجين أن يعرف كلٌّ منهما خصال الآخر ؛ فعلى الزوجة أن تتفطن لوقت غضبِ الزوج فتُلَطِّف عليه، وتتحفظ في حديثها معه ، وألا تشعل عليه نار الغضب أكثر وأكثر . وكذلك على الزوج أن يعرف ذلك من زوجته حال غضبها وحال رضاها[2] : وقد قال النبيُّ ﷺ لعائشة ﵂ :

---

(١) وقد حدث نحو هذا مع أبي بكر الصديق ﵁ ؛ فانظر ما ورد في ذلك في « صحيح البخاري » (٦١٤٠ و ٦١٤١) و « صحيح مسلم » (٢٠٥٧) .

(٢) مع معرفة ما جُبلت عليه المرأة من نقص حتى يستطيع معالجتها عند الخطأ ، وتقويمها عند الزلل ، فلا يؤاخذها كلما سقطت في هُوَّة المخالفة ؛ بل على الزوج أن يكون حكيمًا ، لأن التقويم النهائي للمرأة ، والإزالة الكلية لعيوبها يؤدي إلى الفشل في المعيشة ، ولكن التخفيف والتقليل من درجة الخطأ هو المطلوب ؛ قال ﷺ : « **إِنَّ الْـمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى** =

« إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَىَّ غَضْبَى » .
فَقُلْتُ : وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ : « أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً ، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ : لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى ، قُلْتِ : لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ » .
قَالَتْ : أَجَلْ ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ[(١)] » . وهذا أدبٌ منها ﵂ في التعبير عن غضبها ، وقلبها مملوءٌ بمحبته ﷺ .

= طَرِيقَةٍ ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا ، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا » (م ١٤٦٨) (ص : ١٠٩١) وفي رواية : (الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا ، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ) (خ ٥١٨٤ و م ١٤٦٨) ، وفي رواية : (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) .(خ ٥١٨٦ و م ص : ١٠٩١) (ط محمد فؤاد) .

(١) أخرجه البخاريُّ (٥٢٢٨) ومسلمٌ (٢٤٣٩) من حديث : هشام عن أبيه عن عائشة قالت : فذكرتُه .

● قال الحافظ : « وقول عائشة : « أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ » قال الطيبي : هذا الحصر لطيف جدًّا لأنها أخبرت أنهاَ إذا كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة ؛ فهو كما قيل :

إني لأمنحك الصدود وإنني قسمًا إليك مع الصدود لأميل

○ وقال ابن المنير : مرادها أنها كانت تترك التسمية اللفظية ولا يترك قلبُها التعلقَ بذاته الكريمة مودة ومحبة ». اهـ. وفي اختيار عائشة ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون غيره من الأنبياء دلالة على فريد فطنتها ؛ لأن النبيَّ ﷺ أولى الناس به كما نصَّ عليه القرآن ، فلما لم يكن لها بُدٌّ من هجر الاسم الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل حتى لا تخرج عن دائرة التعلق في الجملة » .

● **قال الحافظ في (« الفتح » ٩/ ٢٣٧) :**

« قوله : (إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً) ؛ يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه ، والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك ؛ لأنه ﷺ جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتها ، فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب ، ويحتمل أن يكون انضم إلى ذلك شيء آخر أصرح منه لكن لم يُنقل ».

○ فهذا ينبغي أن يكون حالُ الزوجِ مع زوجتِهِ ؛ وكما تقدَّم أن يكون هذا هو أحرى بالمرأة مع زوجها أيضًا ، أن تعرف خصاله، وأن تستقرأ أحواله، بفطنتها ، ومن خلال معاشرتها له ، وطول صحبتها معه ، لا ينبغي لها أن تكون غافلة بلهاء حمقاء قليلة الفطنة لا تُميِّز ؛ فانظري أحواله وتعقَّلي مداقَّ أموره، وتدبَّري ما ورد في « صحيح مسلم[1] » من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (... أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي[2] مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ ، وَأَتْقَى لله ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا ، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ،

---

(١) (حديث ٢٤٤٢) .

(٢) يعنى : تساويني وتضاهيني في المكانة والمنزلة .

وَأَشَدَّ ابْتِذَالاً لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الله تَعَالَى ، مَا عَدَا سَوْرَةً[١] مِنْ حَدٍّ[٢] كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ[٣] قَالَتْ :

فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، وَرَسُولُ الله ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا[٤] ، عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ بِهَا . فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ الله ! إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ . قَالَتْ : ثُمَّ وَقَعَتْ بِي[٥] ، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ . وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ الله ﷺ ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا ؟ قَالَتْ : فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ ، حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لاَ يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ ، قَالَتْ : فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا[٦] حِينَ أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا[٧] قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَتَبَسَّمَ[٨] : « إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ »

---

(١) السورة : الثوران وسرعة الغضب .
(٢) من حدٍّ : أي : من حدَّة .
(٣) أي : الرجوع .
(٤) أي : لحافها .
(٥) أي : نالت منِّي بالوقيعة في .
(٦) أي : لم أتركها .
(٧) اشتددتُ عليها ، من نحا ؛ أي : مالَ .
○ وفي رواية قالت : (لَمْ أَنْشَبْهَا أَنْ أَثْخَنْتُهَا غَلَبَةً) . وثخن : يعني غلب أو بالغ في الغلبة ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾ [محمد: من الآية٤] ؛ أي : غلبتموهم ، وكثر فيهم الجراح ؛ كما في (« القاموس » ص : ١٥٢٨) .
(٨) وفي رواية : (فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ يَتَهَلَّلُ) ؛ انظر (« الفتح » ٥/ ١٢٠).

○ والغرضُ منه قولُ عائشة رضي الله عنها :

(« وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ ») وقولها : (« حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لاَ يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ ») .

فالزمي هذه الفطنة - أختي المسلمة - مع زوجك تسلمي من مقتِهِ عليكِ ، وغضبه منك ، وكراهيتهِ لكِ . وسليه سبحانه وتعالى التوفيق والسداد في ذلك .

❧❧◊☙☙

فقه

● التعامل مع الغضبان ●

وينبغي التفطن في معاملة الغضبان ، والانتباه والحذر أثناء الحديث معه ، فيُراعى وقت غضبهِ صفة النقاش والخطاب ؛ حتى لا ينجم وينشأ عن ذلك اصطدامٌ وتخبطٌ من الجانبين بما يندم عليه هذا وذاك .

○ وقد أفاد في إيضاحِ أجزاءٍ من ذلك ؛ **العلامةُ ابنُ الجوزي** رحمه الله في « **صيد الخاطر** » (ص : ٣٤١) ؛ **حيث قال** : « متى رأيتَ صاحبك قد غضب ، وأخذ يتكلم بما لا يصلح ؛ فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله خنصرًا ، ولا أن تؤاخذه به . فإن حاله حالُ السكران ، ولا يدرى ما يجرى.

بل اصبر لفورتِه ، ولا تُعوِّل عليها ؛ فإن الشيطان قد غلبه ، والطبع قد هاج ، والعقل قد استتر ».

● **قلتُ (محمد)** : فحينئذٍ يلزمُ الإعراضُ عنه حتى يفيق ، ويُردَّ إلى رشده ، ويرجع إلى صوابه ؛ وهنا واقعةٌ حدثت لعليٍّ بن أبي طالب مع

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قبل تحريم الخمر - وأسوق إليك القصة بطولها :

● ففي « صحيح البخاري[١] » من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ : « كَانَتْ لِي شَارِفٌ[٢] مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ[٣] بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ الصَّوَّاغِينَ ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي ، فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مَتَاعًا مِنَ الأَقْتَابِ وَالْغَرَائِرِ وَالْحِبَالِ ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَتانِ[٤] إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، رَجَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ ، فَإِذَا شَارِفَايَ قَدِ اجْتُبَّ[٥] أَسْنِمَتُهُمَا[٦] وَبُقِرَتْ[٧] خَوَاصِرُهُمَا ،

---

(١) (برقم : ٣٠٩١) أول حديث في كتاب فرضِ الخُمُس في « الصحيح » . وهو معروفٌ بقصة الشارفين ، وأخرجه مسلمٌ في (« الصحيح » برقم : ١٩٧٩).
(٢) الشارف : المُسن من النُّوق .
(٣) أي : أدخل بها ، والبناء : الدخول بالزوجة .
(٤) لأنهما ناقتان، وفي رواية : (مُنَاخَانِ) باعتبار لفظ الشارف.
(٥) الجب : هو الاستئصال في القطع .
(٦) السنام : ما على ظهر البعير .
(٧) شُقَّت .

وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ[١] حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا ، فَقُلْتُ مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ فَقَالُوا : فَعَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَهْوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الأَنْصَارِ . فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ[٢] عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ ابْنُ حَارِثَةَ ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِي الَّذِي لَقِيتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا لَكَ ؟ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، عَدَا حَمْزَةُ عَلَى نَاقَتَيَّ ، فَأَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا ، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا ، وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ . فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِرِدَائِهِ فَارْتَدَى ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي ، وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ ، فَاسْتَأْذَنَ ؛ فَأَذِنُوا لَهُمْ فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ[٣] ، فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ ثَمِلَ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى سُرَّتِهِ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ : هَلْ أَنْتُمْ إِلاَّ عَبِيدٌ لأَبِي[٤] ؟

---

(١) والمراد أنه بكى من شدة القهر الذي حصل له .
(٢) كذا فيه بصيغة المضارع مبالغة في استحضار صورة الحال .
(٣) وفي رواية مسلم : (فَدَخَلَ عَلَى حَمْزَةَ فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ) .
(٤) قيل : أراد أن أباه عبد المطلب جدٌّ للنبيِّ ﷺ ولعليٍّ أيضًا ، والجد يُدعى سيدًا ؛ وحاصله أن حمزة أراد الافتخار عليهم بأنه أقرب إلى عبد المطلب منهم . قال الحافظ : « فيه أن الكلام يختلف باختلاف القائلين ».

فَعَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ ، فَنَكَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ الْقَهْقَرَى[1] وَخَرَجْنَا مَعَهُ[2] » .

● فكذلك الغضبان شديد الغضب لا يدري شيئًا حال تصرفه ، ولا يعلم ما يقول ، فربما يأمر بالشيء ؛ وهو مهلكة ومضرة أيما مضرة للمأمور به ؛ فحينئذٍ لا سمع له ولا طاعة .

● ففي (« الصحيحين » البخاري ٧١٤٥ ومسلم ١٨٤٠) من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال :

« بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً ، فَاسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ[3] ؛ وَقَالَ : أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي قَالُوا بَلَى . قَالَ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا ، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا ، فَجَمَعُوا حَطَبًا فَأَوْقَدُوا ، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى

---

(١) القهقرى : المشي إلى خلف ؛ قال الحافظ : « فيه أن الذاهب من بين يدي زائل العقلِ لا يوليه ظهره ». خشية أن ينتقل من القول إلى الفعل . انظر تلك المعاني الواردة لهذا الحديث في (« الفتح » ٦/ ٢٢٩ – ٢٣١) .

(٢) وفي رواية : (وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الـخَمْرِ) . ولذلك لم يؤاخذ النبيُّ ﷺ حمزة بقوله . قاله الحافظ ؛ (وسائر ما نقلناه عنه أيضًا) .

(٣) وفي رواية مسلم : (فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ) .

بَعْضٍ ، قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنَ النَّارِ ، أَفَنَدْخُلُهَا ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ[1] ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ[2] ﷺ فَقَالَ : « لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا[3] ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ » .

---

(١) أي : طفئ لهبها .

(٢) وفي رواية مسلم : (فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : ...). وانظر (« صحيح مسلم » برقم : ١٨٣٤) .

● **قُلْتُ** : وراجع (« الفتح » ٧/ ٦٥٦) .

(٣) في رواية : « **مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » ؛ قال الحافظ في « **الفتح** » (٧/ ٦٥٧) : « يعني : أن الدخول فيها معصية ، والعاصي يستحق النار ، ويحتمل أن يكون المراد : لو دخلوها مستحلين لما خرجوا منها أبدًا ، وعلى هذا ؛ ففي العبارة نوع من أنواع البديع وهو الاستخدام ؛ لأن الضمير في قوله : « **لَوْ دَخَلُوهَا** » للنار التي أوقدوها ، والضمير في قوله : « **مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا** » لنار الآخرة ؛ لأنهم ارتكبوا ما نهوا عنه من قتل أنفسهم ، ويحتمل - وهو الظاهر - أن الضمير للنار التي أوقدت لهم ؛ أي : ظنوا أنهم إذا دخلوا بسبب طاعة أميرهم لا تضرهم ، فأخبر النبيُّ ﷺ أنهم لو دخلوا فيها لاحترقوا فماتوا ؛ فلم يخرجوا » .

وقد ساق الحافظ عدة فوائد للحديث ، فذكر منها : « أن الإيمان بالله ينجي من النار ؛ لقولهم : « إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ » والفرار إلى النبي ﷺ فرار إلى الله ، والفرار إلى الله يطلق على الإيمان ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ ﴾ [الذاريات: ٥٠] ، وفيه أن الأمر المطلق لا يعم الأحوال لأنه ﷺ أمرهم أن يطيعوا الأمير ، فحملوا ذلك على عموم الأحوال ؛ حتى في حال الغضب ، وفي حال الأمر بالمعصية ، فبين لهم ﷺ أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه في غير معصية ، واستنبط منه الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة أن الجمع من هذه الأمة لا يجتمعون على خطأ ؛ =

● **قال الحافظ** : « وفي الحديث من الفوائد : أن الحكم في حال الغضب ينفذ منه ما لا يخالف الشرع ، وأن الغضب يغطي على ذوي العقول ».

● **قال ابنُ الجوزيِّ** رحمه الله مُتممًا :

« ومتى أخذتَ في نفسك عليه ، أو أجبته بمقتضى فعله ، كنت كعاقلٍ واجه مجنونًا ، أو كمفيق عاتب مغمى ؛ فالذنب لك .

بل انظر بعين الرحمة ، وتلمَّح تصريف القدر له ، وتفرّج في لعبِ الطبع به ، واعلم أنه إذا انتبه ندِم على ما جرى ، وعرف لك فضل الصبر» .

○ وأقلُّ الأقسام أن تسلمه فيما يفعل في غضبهِ إلى ما يستريحُ به ؛ وهذه الحالةُ ينبغي أن يتلمحها الولدُ عند غضبِ الوالد ، والزوجة عند

= لانقسام السرية قسمين : منهم من هان عليه دخول النار ، فظنه طاعة ، ومنهم من فهم حقيقة الأمر ، وأنه مقصور على ما ليس بمعصية ، فكان اختلافهم سببًا لرحمة الجميع ، قال : وفيه أن من كان صادق النية لا يقع إلا في خير ، ولو قصد الشر ؛ فإن الله يصرفه عنه ؛ ولهذا قال بعض أهل المعرفة : من صدق مع الله وقاه الله ، ومن توكل على الله كفاه الله ».

غضب الزوج[1] ، فتتركه يشتفى بما يقول ، ولا تُعوِّل على ذلك ، فسيعود نادمًا مُعتذرًا .

○ ومتى قوُبل على حالته ومقالته ، صارت العداوة متمكنةً ، وجازى في الإفاقة على ما فُعل في حقهِ وقت السكر .

وأكثر الناس على غير هذا الطريق . متى رأوا غضبان قابلوه بما يقولُ ويعمل ، وهذا على غير مُقتضى الحكمة ؛ بل الحكمة ما ذكرتُهُ ، وما يعقلها إلا العالمون ». انتهى .

---

(١) ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن تتلمَّس الزوجةُ بواعث غضبِ الزوج عليها ؛ ومن تلك البواعث ما أشير إليه في حديث النبي ﷺ ؛ فيما أخرجه البخاريُّ في (« الصحيح » ٣٢٣٧ واللفظ له) ومسلم (١٤٣) (١٢٠ و ١٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا ، لَعَنَتْهَا الْـمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ ».
وفي رواية لمسلم (١٤٣٦) (١٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا ، فَتَأْبَى عَلَيْهِ ، إِلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا »**.
فعلى الزوجة أن تراعى حقوق زوجها عليها إذا دعاها إلى فراشه ؛ أما إن امتنعت ؛ فإن هذا من البواعث التي تُغضب الزوج على زوجته ؛ بل إن هذا مما يُوجب سخط الله ، ولعنَ الملائكة لها حتى تُصبح ، لمنعها هذا الحق الواجب عليها نحوه .

فتفهم هذا أخي في الله ، وتفطَّنه جيدًا ، تسلم ، وتنجو من مغبة ذلك ومن شرِّه.

● ثم عليك كذلك أن تسترِقَّ قلبه ، وتستجلب حلمه بعد غيظهِ ، بأسلوبٍ حسن ، واعتذارٍ طيِّب ، وتأتي على نفسك بعض الشيء ، كي تُهدِّئ من هيجانه وانفعاله ، وثورانه وفورانه .

● وإن أخطأت في حق الغضبان ؛ فاعترِفْ له بخطأك، فسوف يستريح[1] ، وقُلْ :

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظمُ منه[2]
فخذ بحقك أوْلا فاصفح بعفوك عنه
إن لم أكن في فعالي من الكرام فكنْهُ[3]

---

(١) ومن هذا الباب ؛ إسكانُ غضب الوالد على ولده ، والزوج على زوجته بالاعتراف لهما بالخطأ ، والإقرار لهما بالذنب والتقصير .
أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم عنه فإن جحود الذنب ذنبان
[« الأغاني للأصفهاني » (١٣/ ١٢٨)]
○ وقال الآخر :
يستوجب العفو الفتى إذا اعترف وتاب عمَّا قد جناه واقترف
لقولهِ : « قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ».
(٢) وعفو الله تعالى أعظم ؛ لكن هذا في حق الشخص تهييجٌ للعفو ؛ وتحبيبٌ له فيه .
(٣) أي : فكن أنت صاحب الكرم . وهذه أبيات إبراهيم بن المهدي قالها للمأمون ؛ كما في « المستطرف » (١/ ٤٢٠) وغيره .

○ ومما يؤيدُ ذلك؛ واقعةٌ حدثت بين أبي بكر الصدِّيق ﷺ ، وبين عمر بن الخطاب ﷺ ؛ كما في « صحيح البخاري[١] » من حديث أبي الدرداء ﷺ قال : « كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ[٢] ؛ فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا ، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ »[٣] - فَذَهَبَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَفِيهِ - : « وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ : وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ »[٤].

ويعلِّق الحافظ العسقلانيُّ – طيَّب الله ثراه – في « فتحه » الماتع اللامع (٧/ ٣١و٣٢) معدِّدًا فوائد هذا الحديث العظيم ؛ فيقول :

«وفيه ما طُبع عليه الإنسانُ من البشرية ، حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى ؛ لكن الفاضل في الدين يسرع الرجوع إلى

---

(١) (برقم : ٤٦٤٠) .

(٢) أي : مراجعة ، وفي لفظ : « مُعَاتَبَةٌ » ، وفي لفظ : « مُقَاوَلَةٌ » ، وفي رواية في « الصحيح » (٣٦٦١) : « شَيْءٌ » .

(٣) في لفظ في « الصحيح »: « فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَدِمْتُ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ».

(٤) في رواية : « حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ » (مرتين).

قال الحافظ في « الفتح » (٧/ ٣١) : « وإنما قال ذلك ؛ لأنه الذي بدأ ، كما في أول القصة » .

الأولى ؛ كقوله تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ، وفيه : أن غير النبيِّ ، ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعصوم » .

فإذا أغضبت أحدًا وأردت أن تستدرك ذلك على نفسك، فاذهب إليه ، واستلطفه ، واطلب منه المسامحة والعفو وسؤال الاستغفار للتحلل من المظلوم ، واعتَذِرْ إليه إن كنت أخطأت في حقِّهِ - كما تقدَّم - .

وإن شئت أخذت معك شيئًا تهديه إيَّاه فذلك أفضل وأحسن ، وأدعى للقبولِ ، وتطييبِ الخواطر ؛ بإذن الله .

● **وقد يكون تقديمُ الاعتذار لأخيك** ، وإن لم يكن ثَمَّ خطأٌ بدر منك أصلًا ؛ لكن تحرُّزًا من أن يقع غضب أو يحدث نزاع وشقاق ، وإغلاقًا لما قد يحدث من شرور وخصوم !

فحتى لا يقع شيءٌ من الغضب بينك وبين أخيك في مهمةٍ طلبها منك مثلًا ؛ وأنت لا تريد القيام بها ، عليك حينئذٍ أن تقدِّم ما يلتمس لك به العذر ، فتعتذر له بأسلوبٍ حسنٍ ، وكلمةٍ طيبةٍ تُديمُ الأواصر والعلاقات ، وتزيل من القلب أيَّ مشاحنات .

○ ونحو هذا فيما أخرجه البخاريُّ في « الصحيح[(١)] » : حين تخلَّف أسامة بن زيد عن عليٍّ ﷺ في قِتالِ معاوية ﷺ ، اعتذر إليه أسامة بقولِهِ : « لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الأَسَدِ[(٢)] . لأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ... ».

● **قال ابنُ بطال** رحمه الله[(٣)]:

« أرسل أسامة إلى عليٍّ يعتذر عن تخلُّفه عنه في حروبه ، ويُعْلِمه أنه من أحب الناس إليه ، وأنه يحب مشاركته في السراء والضراء ، إلا أنه لا يرى قتال المسلم... والسبب في ذلك أنه لما قتل ذلك الرجل ، ولامه النبيُّ ﷺ بسبب ذلك ، آلى على نفسه أن لا يقاتل مسلمًا ؛ فذلك سبب تخلفه عن عليٍّ في الجمل وصفين ».

---

(١) (برقم : ٧١١٠) من طريق حرملة مولى أسامة قال :
« أَرْسَلَنِي أُسَامَةُ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ : إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الآنَ ، فَيَقُولُ : مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ ؟ فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الأَسَدِ . لأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ... » . قال الحافظ في (« الفتح » ١٣/ ٧٣) :
(« وهو كناية عن الموافقة حتى في حالة الموت ، لأن الذي يفترسه الأسد ، بحيث يجعله في شدقه في عداد من هلك ، ومع ذلك ، قال : « لَوْ وَصَلْتُ إِلَى هَذَا المَقَامِ لأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ مُوَاسِيًا لَكَ بِنَفْسِي »).
(٢) أي : جانب فمه من داخل ؛ قاله في « الفتح ».
(٣) كما في « الفتح » للحافظ (١٣/ ٧٣) .

● ويحسُنُ كذلك أن تُذكِّر المغضبَ بالله تَعَالَى ، وتخوِّفه عقابه ، وتحذره سخطه ، وأن ترشده إلى سبيل العفو عمن جهل ، وكظم الغيظ عمن أساء ، وأنَّ من عفا وأصلح فأجره على الله ، كما تقدَّم .

○ ففي باب تذكير المغضَب وتخويفه بالله تَعَالَى ؛ أخرج البخاريُّ في « الصحيح[1] » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ ، - وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ[2] كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا - فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا ابْنَ أَخِي ! هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ[3] ، فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ[4] ! وَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ[5] ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ . فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ ؛ فَقَالَ الْحُرُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ

---

(١) (برقم : ٧٢٨٦) .
(٢) يعني : أن الحر بن قيس كان من هؤلاء الموصوفين بذلك .
(٣) قال الحافظ في (« الفتح » ١٣/ ٢٧٢) : « هذا من جملة جفاء عيينة إذ كان من حقِّه أن ينعته بأمير المؤمنين » .
(٤) هذا أيضًا من جفائه حيث خاطبه بهذه المخاطبة .
(٥) أي : الكثير . وأصل الجزل : ما عظم من الحطب .

اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾[1] [الأعراف:١٩٩] ، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ .

○ وقد تقدَّمت قصة أبي مسعود البدري حين كان يَضْرِبُ غُلاَمًا لَهُ بِالسَّوْطِ ، فَسَمِعَ صَوْتًا مِنْ خَلْفِهِ : « **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ! اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ! أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلَامِ** ». فَلَمَّا دَنَا إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَحِينَئِذٍ تَرَاجَعَ أَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ فَأَعْتَقَهُ وَقَالَ: (لاَ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا) ، وفي رواية لمسلمٍ كذلك : « قَالَ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ !

---

(١) ● **قال الراغب** (كما في « **الفتح** ») : « ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ معناه : خذ ما سهل تناوله ، وقيل : تعاط العفو مع الناس ، والمعنى : خذ ما عفي لك من أفعالِ الناس وأخلاقهم ، وسهل من غير كلفةٍ ولا تطلُب منهم الجهد ، وما يشق عليهم حتى ينفروا ، وهو كحديث: « **يسِّروا ولا تُعسِّروا** » ومنه قول الشاعر :

خذي العفو منى تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سوأتي حين أغضب ».

● **قال الطيبي** ما ملخصه : « أمر الله نبيه في هذه الآية بمكارم الأخلاق ، فأمر أمته بنحو ما أمره الله به ، ومُحصلها الأمر بحسن المعاشرة مع الناس ، وبذل الجهد في الإحسان إليهم ، والمداراة معهم ، والإغضاء عنهم ، وبالله التوفيق ».

هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ . فَقَالَ : « **لَوْ لَمْ تَفْعَلْ ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ** [١] » .

○ **وفي باب إرشادِ المغضب ، ونصحه ، وإفهامِهِ ، ما تقدَّم كذلك ،** بالإضافةِ إلى ما رواه مسلم في « **الصحيح** [٢] » من حديث جابر بن عبد الله قال :

« سَلَّمَ نَاسٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالُوا : السَّامُ [٣] عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! فَقَالَ : « **وَعَلَيْكُمْ** » . فَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها وَغَضِبَتْ : أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : « **بَلَى ؛ قَدْ سَمِعْتُ ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّا نُجَابُ عَلَيْهِمْ ، وَلاَ يُجَابُونَ عَلَيْنَا** » .

وفي رواية حديث عائشة رضي الله عنها :

« فقالت عائشة : بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **يَا عَائِشَةُ ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ** ». قَالَتْ : أَلَمْ تَسْمَعْ مَا

---

(١) مسلم (١٦٥٩) [٣٥] .

(٢) (برقم : ٢١٦٦) وهو في « الصحيحين » (خ٦٠٢٤ و م ٢١٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر لذلك هذا المثال في (« الصحيحين » خ ٣٥١٨ و م ٢٥٨٤) .

(٣) والسام هو الموت .

قَالُوا ؟ قَالَ : « قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ » .

وفي أخرى : « فقالت عائشة : بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « يَا عَائِشَةُ لاَ تَكُونِي فَاحِشَةً ». فَقَالَتْ : مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا ؟ فَقَالَ : « أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا؛ قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ ».

وفي ثالثة : « فَفَطِنَتْ بِهِمْ عَائِشَةُ فَسَبَّتْهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَهْ يَا عَائِشَةُ ! فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ ». فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ» .

● قال الإمام النوويُّ في « شرح مسلم » (١٤/ ١٤٥) :

« قوله ﷺ : « يَا عَائِشَةُ ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ » هذا من عظيم خلقه ﷺ وكمال حلمه ، وفيه حث على الرفق والصبر والحلم ، وملاطفة الناس ، ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة . قولها : « عَلَيْكُمُ السَّامُ » والذام هو بالذال المعجمة وتخفيف الميم ؛ وهو الذم ، ويقال : بالهمزة أيضًا ، والأشهر ترك الهمز ، وألفه منقلبة عن واو ، والذام والذيم والذم بمعنى العيب ، وروي الدام بالدال المهملة ، ومعناه : الدائم ، وممن ذكر أنه روي بالمهملة ابن الأثير ، ونقل القاضي الاتفاق على أنه بالمعجمة ، قال : ولو روي بالمهملة لكان له وجه ، والله أعلم ، قوله: « فَفَطِنَتْ بِهِمْ

عَائِشَةُ ؛ فَسَبَّتْهُمْ » ؛ فقال رسول الله ﷺ : « مَهْ يَا عَائِشَةُ ! فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ » مه : كلمة زجرٍ عن الشيء ، وقوله : « فَفَطِنَتْ » هو بالفاء وبالنون بعد الطاء من الفطنة ، هكذا هو في جميع النسخ ، وكذا نقله القاضي عن الجمهور ، قال : ورواه بعضهم : فقطبت ؛ بالقاف وتشديد الطاء وبالباء الموحدة ، وقد تخفيف الطاء في هذا اللفظ ، وهو بمعنى قوله في الرواية الأخرى : غضبت ، ولكن الصحيح الأول ، وأما سبُّها لهم ؛ ففيه الانتصار من الظالم ، وفيه الانتصار لأهل الفضل ممن يؤذيهم ، وأما الفحش : فهو القبيح من القول والفعل ، وقيل : الفحش : مجاوزة الحد ، وفى هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم تترتب عليه مفسدة ؛ قال الشافعيُّ رحمه الله : الكيِّس العاقل هو الفطن المتغافل ».

● ثم إن المغضَب قد يُشتدُّ عليه أحيانًا إن كان ممن آتاه الله علمًا ؛ زجرًا لما صدر منه من غضبٍ ينقص من مكانتهِ أو كان انتصارًا لنفسهِ ، بخلاف ما إذا كان المغضَب لا يدري ! كما وقع مع أبي مسعود البدري حين اشتد عليه النبيُّ ﷺ في الموعظة لما ضرب غُلامًا له بالسوط ، قال له

النبي ﷺ : (**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَّ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلاَمِ**) فحينئذٍ توقَّف مع أنه في حالِ غضب .

فتنفع الشدةُ مع العَالِمِ أيما نفع إذا صدر منه غضب من النوع الآخر - المذموم - ؛ أما الجاهل فيحتاج معه إلى العلاج المُتقدِّم ، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان لأنه قد يظن أنه مُصيب ، فيُراعى ذلك أيضًا[1] ، والهادي من هداهُ الله .

ﮋﮋ◊ﮊﮊ

---

(١) كما يُراعى في كلِّ هذا أسلوب النصيحة والتوجيه والإرشاد ؛ فهناك توجيهٌ مباشر وخطابٌ صريح إلى من تريدُ نصحه ، وهناك توجيهٌ غير مباشر ؛ كالكناية والتعريض والتورية ؛ وكلٌّ يُسلَك معه بما يناسب حاله .

○ وهناك رسالة في هذا المقام بعنوان : « **التوجيه غير المباشر** » **للشيخ صالح بن عبد الله بن حميد** - حفظه الله - فلتنظر فإنها مفيدة ، طبعتها دار المسلم بالرياض .

● الوصية الجامعة ●

(لا تغضب)

فلما كان الغضبُ مفتاح كلِّ شرٍ ، بل جماع الشر كلِّه ؛ كانت تلك الوصية النبوية المباركة الجامعة من سيد الخلق نبينا ورسولنا محمد ﷺ لذاك السائل الذي جاء يسأله ؛ كما في الحديث الذي رواه البخاريُّ في « الصحيح[١] » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبيِّ ﷺ : أوصني ، قال : « **لَا تَغْضَبْ** » فردَّدَ مِرارًا[٢] ، قال : « **لَا تَغْضَبْ** ».

● وفي « مسند أحمد[٣] » مِنْ حَدِيثِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله ! أَوْصِنِي ، قَالَ : « **لَا تَغْضَبْ** ». قَالَ :

---

(١) (برقم : ٦١١٦) .

(٢) أي : ردد السؤال يلتمس أنفع من ذلك أو أبلغ أو أعم؛ فلم يزده على ذلك . قاله الحافظ.

(٣) (٣٨/ ٢٣٦ الرسالة) بإسنادٍ صحيح . وعنده أيضًا (٣٨/ ٤٥٤) بلفظ : « أن رجلًا قال للنبي ﷺ : أخبرني بكلمات أعيش بهن ، ولا تُكثر عليَّ فأنسى .
قال : « **اجْتَنِبِ الغَضَبَ** » ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « **اجْتَنِبِ الغَضَبَ** ».وإسناده صحيح .

قَالَ الرَّجُلُ : فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ ؛ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ ».

● وفي « سنن الترمذيِّ[١] » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ ، قال : علمني شيئًا ولا تُكثر عليَّ لعلِّي أَعِيهُ[٢]، قال : « **لَا تَغْضَبْ** » فردد ذلك مرارًا ، كلُّ ذلك يقول : « **لَا تَغْضَبْ** ».

● وفي « المسند[٣] » بإسنادٍ صحيح من حديث الأحنف بن قيس عن عمٍ[٤] له : أنه سأل رسول الله فقال : قل لي قولًا ينفعني ، وأقْلِلْ ، لعلِّي أعيه . قال : « **لَا تَغْضَبْ** » فعادَ له مرارًا ، كلُّ ذلك يرجع إليه رسول الله ﷺ أن : « **لَا تَغْضَبْ** ».

---

(١) (برقم : ٢٠٢٠) بإسنادٍ صحيح .

(٢) في رواية لأحمد (١٤/ ٣٥٥) : « مُرْني بأمرٍ ولا تُكثر عليَّ حتى أعقله ». وأخرجه أيضًا (١٦/ ٦٨) .

(٣) (٣٨/ ٢٣١ الرسالة) .

(٤) في رواية لأحمد (٣٣/ ٤٦٨) : « عن عم له يقال : جارية ابن قدامة السعدي أنه سأل رسول الله ﷺ ..» وكذلك (٢٥/ ٣٣٠).

● **قُلتُ** : وانظر « المعجم الكبير » للطبراني (٢/ ٢٦١ - ٢٦٤) فقد قال هناك : « جارية بن قدامة السعدي التميمي عم الأحنف بن قيس وليس بعمه ، ولكنه كان يدعوه عمه على سبيل الإعظام » .

● وعند ابن حبان كما في (« الموارد » ١٩٧١) **بإسنادٍ حسن**[(١)] من حديث عبد الله بن عمرو قال : قلت يا رسول الله ﷺ ما يمنعني من غضبِ الله تَعَالَى ؟ قال : « **لَا تَغْضَبْ** » .

● **قال الخطابيُّ** - رحمه الله تَعَالَى -[(٢)] :

« معنى قوله : « **لَا تَغْضَبْ** » : اجتنب أسباب الغضب، ولا تتعرض لما يجلبهُ ، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه ؛ لأنه أمر طبيعي لا

---

(١) وحسَّنَه الحافظ العراقيُّ كما في تحقيق (« الإحياء » ٣/ ٢٥٧) وعزاه لـ : الطبراني في « مكارم الأخلاق » وابن عبد البر في « التمهيد » .
وقد أخرجه أحمد في « المسند » (١١/ ٢١١ الرسالة) من حديث : ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ : مَاذَا يُبَاعِدُنِي مِنْ غَضِبِ الله عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ « لا تَغْضَبْ ».
● **قُلتُ** : وإسناده ضعيف ؛ من أجل ابن لهيعة ، ودراجٌ « صدوق » إلا أن في روايته عن أبي الهيثم ضعف، كما في « التقريب ».
● وفي الباب أحاديث أخرى ؛ كما عند أبي يعلى (٥٦٨٥) من حديث ابن عمر مرفوعًا . وحسَّنه العراقيُّ في تحقيق « الإحياء » (٣/ ٢٥٧) . **قُلتُ** : لكن عبد الرحمن بن أبي الزناد ضعَّفَه غير واحد ، وعند الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » (٢٣٧٤) من حديث أبي الدرداء مرفوعًا . وحسّنه العراقيُّ في تحقيق « الإحياء » (٣/ ٢٥٨)، وعزاه لابن أبي الدنيا. وعند الطبراني في « الكبير » (برقم : ٦٣٩٩) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي مرفوعًا بإسنادٍ فيه من لم يُعرف ؛ كما قال الهيثميُّ في « المجمع » (٨/ ٧٠) .
(٢) كما في « الفتح » (١٠/ ٥٣٦) .

يزول من الجبلَّة ».ونحوه قالَهُ النوويُّ رحمه الله في (« **شرح الأربعين** » ص : ٨٥ حديث ١٦ . ط دار الخلفاء) .

« **وقيل :**

معناه (**لَا تَغْضَبْ**) لأن أعظم ما ينشأ عنه الغضب : الكبر ، لكونه يقع عند مخالفة أمرٍ يريده ، فيحمله الكبر على الغضب ؛ فالذي يتواضع حتى يذهب عنه عزة النفس يسلم من شرِّ الغضب .

وقيل :

معناه : لا تفعل ما يأمرك به الغضب ». انتهى من « **الفتح** » (١٠/ ٥٣٦) **وقال الحافظ بعد ذلك :**

● **وقال ابنُ التين** رحمه الله :

« وجمع ﷺ في قوله: « **لَا تَغْضَبْ** » خير الدنيا والآخرة ، لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق ، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين ».

● **وقال البيضاويُّ** رحمه الله :

« لعلَّه لما رأى أن جميع المفاسد التي تعرض للإنسان إنما هي من شهوته ومن غضبه، وكانت شهوة السائل مكسورة ، فلما سأل عمَّا يحترز

به عن القبائح نهاه عن الغضب ، الذي هو أعظم ضررًا من غيره ، وأنه إذا ملك نفسه عند حصوله كان قد قهر أقوى أعدائه » . انتهى .

إنَّ من تأمل مفاسد الغضب عرف الإنسانُ مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة الطيبة من قوله ﷺ : « لَا تَغْضَبْ » من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء مفسدة ، مما يتعذَّر إحصاؤه ، والوقوف على نهايته »[1] .

فجمعت هذه الوصية المباركة وهذه الكلمة الطيبة خير الدنيا والآخرة ... إنها كلمة ذات مقدار ، ووصية لها أنوار... اشتملت على حكمٍ جليلةٍ ، ومصالح عظيمة كثيرة. ألا فعلى المرء أن يعضَّ عليها بالنواجذ .

● **قال العلامةُ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ رحمه الله في « جامع العلوم والحكم »** (ص : ٣٦٣ ، ٣٦٤) : « فقوله ﷺ لمن استوصاهُ : « **لَا تَغْضَبْ** » يحتملُ أمرين :

○ **أحدهما** : أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم ، والسخاء ، والحلم، والحياء ، والتواضع ، والاحتمال ، وكفِّ الأذى ، والصفح ، والعفو ، وكظم الغيظ ، والطلاقة ، والبشر ،

---

(١) (« **الفتح** » ١٠/ ٥٣٧) .

ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة ؛ فإن النفس إذا تخلَّقت بهذه الأخلاق ، وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصولِ أسبابه .

○ والثاني : أن يكون المراد: لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك ؛ بل جاهد نفسك على تركِ تنفيذه ، والعمل بما يأمر به ، فإن الغضب إذا ملك ابن آدم كان كالآمر، الناهي له ، ولهذا المعنى قال الله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ [الأعراف: من الآية١٥٤] ، فإذا لم يمتثل الإنسان ما يأمره به غضبه ، وجاهد نفسه على ذلك ، اندفع عنه شرُّ الغضب ، وربما سكن غضبه ، وذهب عاجلًا ، فكأنه حينئذٍ لم يغضب ، وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة في القرآن بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى : من الآية٣٧] ، وبقوله ﷻ : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: من الآية١٣٤] » . انتهى .

꧁ ◊ ꧂

● ثمراتُ تركِ الغضب وفضلُ كفِّه ●

تقدَّم أن اجتناب الغضب ، والكفَّ عنه ، وصيانةَ النفسِ منه ؛ يُباعد العبد من غضب الله (١) ، وعقابه، وبطشه؛ وقد قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[آل عمران: من الآية ١٣٤] .

---

(١) كما في (« صحيح ابن حبان » الموارد ١٩٧١) بإسنادٍ حسن عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا . وقد مر في باب « **الوصية الجامعة** » وقد بوَّب له أبو حاتم ابن حبان في « **الصحيح** » له (٢٩٦) فقال :
« ذكر رجاء الأمن من غضب الله لمن لم يغضب لغير الله جلَّ وعلا » .
● **قُلْتُ** : وللحديث شاهد : عند أبي يعلى في « **المسند** » (٧/ ٣٠٢) (٤٣٣٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا بلفظ : « **مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ** ... الحديث » وإسنادهُ ضعيف جدًّا ؛ وقد أورده العلامة المحقق الألباني ﷺ في « **الصحيحة** » (برقم : ٢٣٦٠) تحت باب : « فضل كفِّ الغضب واللسان » ؛ وقوَّاه بطريق أخرى عند ابن بشران في « **الأمالي** » وعنه الضياء في « **المختارة** » من طريق : سفيان عن حميد عن أنس مرفوعًا به نحوه . **ثم قال** : « **فالإسناد عندي حسنٌ** » .
○ **قُلْتُ** : وقد وقفتُ على شاهدٍ مثلَه . أخرجه **البيهقيُّ** في (« **الشعب** » ٨٣١٢) من حديث عبد الله بن عمرٍو مرفوعًا . بإسنادٍ ضعيف .

○ وتركُهُ علامةٌ للإيمان ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الشورى٣٦ : ٣٧] .

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى: من الآية٤٠] ؛ أي : لا يضيعُ ذلك عند الله ؛ قاله ابن كثير .

● **وفي الآية بتمامها يقول العلامةُ السعديُّ رحمه الله:**

« ذكر الله في هذه الآية مراتب العقوبات ، وأنها على ثلاث مراتب : عدل ، وفضل ، وظلم .

فمرتبة العدل : جزاء السيئة بسيئةٍ مثلها ، لا زيادة ولا نقص ؛ فالنفس بالنفس ، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها ، والمال يضمن بمثله.

ومرتبة الفضل : العفو والإصلاح عن المسيء ، ولهذا قال : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ يجزيه أجرًا عظيمًا ، وثوابًا كثيرًا ، وشرط الله في العفو والإصلاح صلاحهما لحال الجاني ، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق بالعفو عنه ، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته ، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به .

وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو ، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به ؛ فكما يحب أن يعفو الله عنه ، فَلْيَعْفُ عنهم ، وكما يحب أن يسامحه الله ، فليسامحهم ، فإن الجزاء من جنس العمل .

وأما **مرتبة الظلم** : فقد ذكرها بقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يجنون على غيرهم ابتداءً ، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته ، فالزيادة ظلم . » اهـ .

● وفي « سنن أبي داود[١] » و « سنن الترمذي[٢] » و « ابن ماجة[٣] » من حديث سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسولَ الله ﷺ قال :

« مَنْ كَظَمَ غَيْظًا [٤] وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ »[٥] .

(١) (برقم : ٤٧٧٧) واللفظ له .
(٢) (برقم : ٢٠٢١ و ٢٤٩٣) .
(٣) (برقم : ٤١٨٦) .
(٤) قال في « النهاية » : « كظم الغيظ : تجرعه ، واحتمال سببه ، والصبر عليه » .
(٥) ● **قُلْتُ** : وفي سندِهِ أبو مرحوم واسمه عبد الرحمن بن ميمون ؛ كما قال =

● يقول المباركفوريُّ رحمه الله في « تحفة الأحوذي »[(١)] :

« قوله : (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا) أي : كف عن إمضائه ، (وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ) من التنفيذ ؛ أي : يقدر على إمضائه وإنفاذه ، والجملة حالية ، (دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ) أي : شهَّره بين الناس ، وأثنى عليه ، وتباهى به ، ويقال في حقه هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة العظيمة .

= أبو داود . قال الحافظ فيه : « مقبول » أي إذا توبع ، وإلا فهو لين . ولكن عند الترمذيِّ ، قال : « عبد الرحيم بن ميمون » وكذا في رواية أحمد - وهو الظاهر والأشبه - وقد قال فيه الحافظ في « التقريب » : « صدوق ».
وعليه ؛ فالإسناد حسن .

● وقد توبع أبو مرحوم من زبان بن فائد؛ كما عند أحمد في « المسند » (٢٤/ ٣٨٤ الرسالة) ؛ وزبان ضعيف الحديث ، وفيه ابن لهيعة أيضًا ، وسهل بن معاذ في روايات زبان عنه ضعفٌ كذلك ، فقد قال الحافظ : « سهل بن معاذ لا بأس به ، إلا في روايات زبان عنه ».

● قُلْتُ : ولأبي مرحوم متابعة أخرى عند الطبرانيِّ في (« الصغير » ٢/ ١٢٣) .

○ وللحديث شاهد عند أبي داود في « السنن » (٤٧٧٨) أورده بعد هذا الحديث من طريق : محمد بن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب النبيِّ ﷺ عن أبيه قال : فذكره بنحوه مرفوعًا .

● قُلْتُ : وهذا إسنادٌ فيه سويد بن وهب « مجهول » ؛ كما قال الحافظ في « التقريب » ؛ وفيه رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ .

(١) (٦/ ٤١٣) .

قال الطيبي : وإنما حمد الكظم ؛ لأنه قَهْرٌ للنفس الأمارة بالسوء ، ولذلك مدحهم الله تَعَالَى بقوله : ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ » .اهـ .

● قال العظيم آبادي في «عون المعبود »(٨/ ١٨٣) :

قولُه : (مِنْ أَيِّ الْـحُورِ العِينِ شَاءَ) أي : في أخذ أيهن ، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعة ، وإيصاله الدرجة الرفيعة ».

● وفي « سنن ابن ماجة[1] » من حديث ابن عمر قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ».

---

(١) (برقم : ٤١٨٩) ، وعزاه في « الكنز » (٥٨٢١) لابن أبي الدنيا في « ذم الغضب » .

○ قال البوصيريُّ في « مصباح الزجاجة » (٣/ ٢٩١): « هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات ».

● قُلْتُ : وفيه الحسن - وهو البصري - وقد عنعن .

وفي إسنادِه خلافٌ في الوقف والرفع ؛ فانظر : « مصنف ابن أبي شيبة » (١٤/ ٦١) و « الأدب المفرد » للبخاري (١٣٥٥) ثم أيضًا خلاف على الإرسال ؛ كما في « مصنف عبد الرزاق » (١٠/ ١٩٥) ط- دار الكتب والبيهقي في (« الشعب » ٨٣٠٨) و (« الزهد » لابن المبارك (٤، ٦) تحقيق أحمد فريد) عن الحسن مرسلًا.

وفي رواية[١] : « مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى ».

○ وأعظم ثمرات تركِ الغضب ، واجتنابه ، والتحرز منه ؛ (استحقاقُ دخول الجنة) .

● ففي (معجم الطبراني « الكبير » و« الأوسط[٢] ») من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال :

● قُلتُ : وله شاهدٌ - لا يفرح به - : أخرجه أحمد في (« المسند » ٥/ ١٤٩) (٣٠١٥) وانظر كلام الشيخ شعيب هناك ؛ وقد نبه على خطأ وقع في نسخة « المسند » من تلفيق متن هذا الحديث بإسنادٍ آخر مما أوقع بعض مؤلفي زماننا في تصحيحه ؛ فراجع (« المسند » ١٠/ ٢٧١ الرسالة) .

● وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أشار إليه صاحب « الكنز » (٥٨٢٢) ؛ وانظره في « الضعيفة » (١٩١٢) .

(١) عند أحمد (١٠/ ٢٧٠) .

(٢) (برقم : ٢٣٧٤) (٣/ ١٨٢) .

○ قال الهيثميُّ في « المجمع » (٨/ ٧٠) : « رواه الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » وأحد إسنادي الكبير ؛ رجاله ثقات ».

● قُلتُ : وحسَّنهُ الحافظ العراقي في (« تحقيق الإحياء » ٣/ ٢٥٨) وزاد عزوه لابن أبي الدنيا رحمه الله .

● وله شاهدٌ : عند أبي يعلى في (« المسند » ١٥٩٣) عن زحمويه - وهو زكريا ابن يحيى - عن صالح عن الأعمش عن أبي صالح عن بعضِ أصحاب النبي ﷺ أنه قال : فذكرهُ . وإسنادُه صحيح . وصالح هو : ابن عمر الواسطي . =

(قلت : يا رسول الله ! دُلَّني على عملٍ يُدخلني الجنة ؟ قال : « لَا تَغْضَبْ ، وَلَكَ الـجَنَّة ») .

فما أحلى وأغلى وأعلى ثمراتِ تركَ الغضب ، وكظم الغيظ ، والعفو عن الناس ، والحلم والأناة .

فلا تغضب ولك الجنة ... والجنةُ ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

= قال الحافظ في « التقريب » : « ثقة » ؛ مع أن الهيثمي في (« المجمع » ٨/ ٧٠) قال : « ولم أعرف صالحًا هذا » ؛ فانظر « تهذيب الكمال » (١٣/ ٧٥) للمزِّي رحمه الله تجدهُ معروفًا ؛ ووثقه جمعٌ من أئمة الحديث .

● درجاتُ الناسِ في قوةِ الغضب ●

○ وبيانُ الغضبِ المحمود ○

(وهو النوع الثاني من أنواع الغضب)

○ قد يقولُ قائل : إن الغضبَ غريزةٌ فطرية ، وجبلةٌ إنسانية ، وطبيعةٌ بشرية ، وإنه ليصعب عليَّ أن أتغلب عليه [(١)] ، والجوابُ :

---

(١) قال ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص : ١٤٣) : « والخلق مجبولون على الغضب والحلم معًا ، فمن غضب وحلم في نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بمذموم ما لم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل ، على أن مفارقته في الأحوال كلها أحمد ». اهـ .

فأنت إذا غضبت حاول أن تمرر غضبك بكلمات طيبة تنتقيها ، وبحيث لا تخرج وقت الغضب إلى سيئ الكلام ، وبذيء القول ، وقد كان ابنُ عون رحمه الله إذا غضب على إنسان قال له : (بارك الله فيك) (غفر الله لك) .

وهكذا إذا وقع غضب بين أخوين فليقل أحدهما للآخر : (جزاك الله خيرًا) (عفا الله عنك) (سامحك الله) ونحو ذلك من الكلام الطيب الذي يرطِّب الجو المليء بالانفعالات والتشنجات .

● وقد قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾ [الإسراء: ٥٣] ، وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِى ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت: ٣٤] . =

أن الناس في قوة الغضب على درجاتٍ ثلاث(١) :

● فإما تفريط .

● أو إفراط . (وكلاهما مذموم) .

● وإما اعتدال . (وهو المحمود) .

= ● قُلْتُ : وقد روى البخاريُّ في (« الصحيح » ٨/ ٤١٨) أثرًا معلقًا - بصيغة الجزم - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا عصمهم الله ، وخضع لهم عدوُّهم ، ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ » ، وقد وصله الطبريُّ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؛ كما قال الحافظ في (« الفتح » ٨/ ٤٢٣) .

(١) تلخيصًا من « الإحياء » (٣/ ٢٦١) لأبي حامد الغزالي رحمه الله .

● وقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله في « الفوائد » (ص : ١٥٦) : « للأخلاق حدٌّ متى جاوزته صارت عدوانًا ، ومتى قَصرت عنه كان نقصًا ومهانة ؛ فللغضب حدٌّ ؛ وهو الشجاعة المحمودة والأنفة من الرذائل والنقائص ، وهذا كماله ، فإذا جاوز حدَّه تعدَّى صاحبه وجار ، وإن نقص عنه جبن ، ولم يأنف من الرذائل ».

● وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله في « الإحياء » ٣/ ٩٢) : « لو انعدم الغضبُ بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه وهلك ... والمطلوب في صفة الغضب حسن الحميَّة ، وذلك بأن يخلو عن التهور ، وعن الجبن جميعًا .وبالجملة أن يكون في نفسه قويًا ، ومع قوته منقادًا للعقل . ولذلك قال الله تعالى : ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: من الآية٢٩] ، وصفهم بالشدة ، وإنما تصدر الشدة عن الغضب ، ولو بطل الغضب لبطل الجهاد ، .. وقَالَ تَعَالَى : ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: من الآية١٣٤] ولم يقل : والفاقدين الغيظ ، فردُّ الغضب إلى حدِّ الاعتدال ، بحيث لا يقهر العقل ولا يغلبه ؛ بل يكون العقل هو الضابط له ، والغالب عليه ممكَّن ».

١- **أما التفريط** : فرجلٌ منعدم الحمية ، والغيرة ، والمروءة ، والأنفة ، تجد فيه خسّة النفس في احتمال الذل من الأخساء ، وترى فيه خنوثة الطبع ، فلا يأنف مما يُؤنَف منه ، فلا يغار على المحارم ؛ كالزوجة والأخت ونحوهما ، ولا يتحرك عند مشاهدة المنكرات ، ولا يغضب ؛ فهذا النوع مذمومٌ .

● **وقد قال الشافعيُّ** رحمه الله :

« من استُغضِبَ فلم يغضب فهو حمار ، ومن استُرضِيَ فلم يرض ، فهو شيطان » أو : (جبَّار)[1] .

فمن فقد الغضب أو ضعف عنده - كما تقدَّم - أدَّى ذلك إلى ضعف الغيرة على المحارم ، وأنت ترى الفتاة تخرج كاسية عارية ، كاشفة شعرها ، ونحرها ، ورافعة الثياب عن ساقها ؛ - تراها بهذا التبرج والسفور - يُسايرها زوجها أو أخوها أو أبوها أو أمها بلا نكير ، أو مبالاة !

فأين الغيرةُ ؟ وأين المروءة ؟! ذهبت وعفى عليها الدَّهر !!!

---

(١) كما في « السير » (١٠/ ٤٢) و « الفيض » للمناوي (٢/ ٣٧٧) .

ألا فليعلم هذا الزوج ، ولتعلم هذه الأم وهذا الأب وكلُّ مسئولٍ أن هذه دِيَاثة مُستقبَحة ، وخنوثة مُستقذرة ، وبلادةٌ مُنكرَة !!

وليعلم هؤلاء أن الله يغار ، ومن أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

● ثم ترى كثيرًا من الآباء - هداهم الله - في تلك الأيام ، وهذه الأزمان، يغضبون ، وينتفضون ، وتحترق قلوبهم إذا تأخَّر ولدٌ من أولادهم أو تأخَّرت بنتٌ من بناتهم عن موعد الدراسة اليومي أو وقت الدرس الأسبوعي مثلًا .

وتجدُ الوالدَ - المُوقَّر - يُعزر ولَده أو ابنته بالضرب - أو الطرد من المنزل - إن حصل شيءٌ من التهاون في أمر الدراسة أو الكلية أو الجامعة .

وعلى الصعيد الآخر ؛ تجد هذا الأب لا يأبه ، ولا يبالي إذا تخلَّف الولد عن صلاة الفجر في جماعة ، أو حتى إن ترك صلاة الفجر بالكلية - وهذا إذا كنَّا نحسن الظن به - فقد يكون لا يصلِّي مطلقًا ؛ فهل هذا الرجل أو غيره تأخذهم الغيرة لحدود الله ، والحمية لدين الله ؛ أين هؤلاء من قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا

ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] ؟

وأين هؤلاء من قول رسول الله ﷺ : « **ألاَ إنَّ كُلَّكُم رَاعٍ وكُلَّكُم مَسئولٌ عَنْ رَعيَّتِهِ**»[1]؟

وقال ﷺ : «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** »[2].

ألا فليتق الله هؤلاء ، وليبحثوا في رعاياهم وذراريهم قبل حلول الأجل، فسوف يُحاسبون على ما فرَّطوا وقصَّروا في حق أولادهم - ذكورًا و إناثًا - ولا يجدون ما يعتذرون به ، فيتأسفون ويندمون يوم لا ينفع الندم .

٢- **أما الإفراط** ؛ فرجلٌ مُسرفٌ في الغضبِ ، مُفرِّطٌ فيه ، تجدُ الغضب صفة غالبة متحكِّمة فيه ، تراه متهورًا في عموم تصرفاته ، لا فكر ، ولا بَصر ، ولا نظر ، وقد خرج به الغضب عن سياسة العقل والدين ، صورته صورة الغضبان ، وقد أصبح الغضب سمة وعلامة بارزة على

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٥٥٤) ومسلمٌ (١٨٢٩) عن ابن عمر .
(٢) أخرجه البخاريُّ (٧١٥١) ومسلمٌ (١٤٢) عن معقل بن يسار .

وجهه ؛ فطرتُهُ مستعدة للغضب في أي وقت وعلى كل حال؛ وهذا النوع له آثاره السيئة - كما تقدَّم - على اللسان ، وعلى الأعضاء ، وفى صورة الوجه من تغير اللون ، وقبح الصورة ، واستحالة الخلقة ، ويجره إلى التهور والبطش ، فهذا النوع مذموم جدًا كذلك ، وينبغي أن يُمحى بالكلية .

○ ففقد الغضبِ بالكلية مذموم ؛ والإسراف فيه ممقوت ، وينبغي للمرء أن يطلب الوسط بين الطرفين ؛ لا إفراط ولا تفريط ، وهذا هو :

٣- النوع الثالث ؛ وهو النوع الوسط المحمود الذي كلَّف الله به عباده ، وهو أن يكون الغضبُ طوْع العقل والدين . فيحكم المرء نفسه عنده ، فينبعث حيث تجب الحمية ، وينطفئ حيث يحسن الحلم والرفق .

وهذا هو الحق المستقيم

فمن أفرط أو فرَّط ؛ فينبغي أن يسعى لمعالجة نفسه حتى يصل إلى هذه المرتبة الصالحة وهذه المرتبة العالية أو القرب منها .

○ **قلت** : وهذا النوع من الغضب يقع من الأنبياء والفضلاء ؛ كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ [الأعراف: من

الآية١٥٠] ، وكما قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ [الأنبياء: من الآية٨٧] ؛ وكما قال ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ [١] » . لكنه ﷺ لا يعملُ بموجب الغضب ؛ فغضبه لا يخرجه عن الحق .

○ قال ابنُ رجبٍ رحمه الله في « جامعه » (ص : ٣٦٩):

« والواجب على المؤمن أن تكون شهوته مقصورةً على طلبِ ما أباحه الله له ، وربما تناولها بنيَّةٍ صالحة فأُثيب عليها ، وأن يكون غضبُهُ دفعًا للأذى في الدين ، له ، أو لغيره ، أو انتقامًا ممن عصى الله ورسوله[٢] ؛ كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ [٣] ﴾[التوبة١٤ : ١٥].

---

(١) أخرجه مسلمٌ في (« الصحيح » ٢٦٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) وقد بوَّب النوويُّ في « الرياض » (باب : ٧٧) بابًا بعنوان : « بابُ الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع ، والانتصار لدين الله تعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[الحج: من الآية٣٠] ، وقَالَ تَعَالَى : ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: من الآية٧] » .

(٣) قال السعديُّ رحمه الله: « فإن في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم ، ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم ؛ إذ يرون هؤلاء =

وهذه كانت حال النبيِّ ﷺ ؛ فإنه كان لا ينتقم لنفسه ، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبهِ شيء[١] ، ولم يضرب بيده خادمًا ، ولا امرأة إلا أن يجاهد في سبيل الله[٢] .

● وخدَمَهُ أنسٌ رضي الله عنه عشر سنين ، فما قَالَ لَهُ : « أُفٍّ » قَطْ ، وَلَا قَالَ لَهُ لِشَيْءٍ فَعَلَهُ : « لِمَ فَعَلْتَ كَذَا ؟ » ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ يَفْعَلهُ : « أَلاَ فَعَلْتَ كَذَا »[٣] . وفي رواية : أَنَّهُ كَانَ إِذَا لَامَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ قَالَ ﷺ : « دَعُوهُ ، فَلَوْ قُضِيَ شَيْءٌ كَانَ » .

= الأعداء محاربين لله ولرسوله ، ساعين في إطفاء نور الله ، وزوالًا للغيظ الذي في قلوبكم ، وهذا يدلُّ على محبة الله للمؤمنين ، واعتنائه بأحوالهم ، حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء ما في صدورهم ، وذهاب غيظهم ».

(١) كما في « الصحيحين » (خ٣٥٦٠ و ٦١٢٦ و م ٢٣٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ... وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله ، فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا ».

(٢) كما في « صحيح مسلم » (٢٣٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) كما في « الصحيحين » (خ ٦٠٣٨ و م ٢٣٠٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

● وفي رواية للطبراني[(١)] قال أنس : « خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا دَرَيْتُ شَيْئًا قَطُّ وَافَقَهُ ، وَلَا شَيْئًا قَطُّ خَالَفَهُ ، رَضِيَ مِنَ الله بِمَا كَانَ ».

● وسُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ ؛ فقالت: « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ [(٢)] » تعني : أنه تأدَّبَ بآدابه ، وتخلَّق بأخلاقه ، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه ، وما ذمَّه القرآن كان فيه سخطه ، وجاء في رواية عنها قالت: « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، يَرْضَى لِرِضَاهُ ، وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ ». ثم قال ابنُ رجبٍ :

« وكان ﷺ إذا رأى ، أو سمع ما يكرهه الله ، غضب لذلك[(٣)] ، وقال فيه ، ولم يسكت ». انتهى المراد .

---

(١) كما في « الصغير » (٢/ ١١٨) و « الأوسط » (١٠/ ٧٣ و٧٤)، وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ١٦) : « وفيه من لم أعرفهم ».

(٢) كما في « صحيح مسلم » (برقم : ٧٤٦) من حديث سعد ابن هشام بن عامر قال : قُلْتُ : يا أم المؤمنين ! أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت : « أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ » قُلْتُ : بَلَى . قَالَتْ : « فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ » .

(٣) لكن لا يخرجه الغضب عن حدِّ الاعتدال ؛ لذا كانَ من دعاء سيِّدِ الرجال نبينا ﷺ ؛ كما عند النسائي (٣/ ٥٥) بإسنادٍ صحيح من حديث عمَّار بن ياسر أن النبيَّ ﷺ قال فيه : « وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا » .
فغضبه ﷺ لا يخرجه عن الحق ؛ قال ابنُ رجبٍ رحمه الله في « جامعه » =

○ فلا يُقِرُّ أحدًا على خطأ ، ولا يجامل حتى أقرب الناس إليه ؛ كما في « الصحيحين[(١)] » من حديث عائشة رضي الله عنها قالت :

« دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مُتَسَتِّرَةٌ[(٢)] بِقِرَامٍ فِيهِ صُورَةٌ ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ[(٣)] ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ الله** » .

● وفي رواية[(٤)] : « قال : **يَا عَائِشَةُ ! أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ** ».

● وفي رواية[(٥)] : « قال النبيُّ ﷺ : **مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ** » .

= (ص : ٣٧٢) : (« وهذا عزيزٌ جدًّا ، وهو أن الإنسان لا يقول سوى الحق سواء غضِبَ أو رضِي ؛ فإن أكثر الناس إذا غضب لا يتوقف فيما يقول »).

(١) (خ ٥٩٥٤ و م ٢١٠٧) (٩١ واللفظ له) .

(٢) أي متخذة سترًا .

(٣) في رواية لمسلم (٢١٠٧/ ٨٧) : « **فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ عَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ ، فَجَذَبَهُ حَتَّى هَتَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ** » .

● **قال النوويُّ** (١٤/ ٨٦) : « المراد بالنمط هنا بساط لطيف له خمل » ، ثم قال : « فيستدل به لتغيير المنكر باليد وهتك الصور المحرمة والغضب عند رؤية المنكر ».

(٤) لمسلم (٢١٠٧) (٩٢) .

(٥) للبخاريِّ (٦١٠٩) . =

فغضب النبي ﷺ حين رأى شيئًا مُخالفًا لأمرٍ من أمور الدين ؛ بل وأنكر بيده[١] .

● وكما أنكر ﷺ على الإمام الذي أطال الصلاة بالناس ، وغضب أشد الغضب ؛ كما في « الصحيحين[٢] » من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال : إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلاَةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلاَنٌ فِيهَا. فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ ؛ فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ[٣] ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ ، وَالْكَبِيرَ ، وَذَا الْحَاجَةِ ».

=● **قُلتُ** : وهذا الحديث فيه حُرمة التصوير بجميع أنواعه ؛ وهو من الكبائر .
قال ﷺ : « **كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ** » أخرجه مسلمٌ في « **الصحيح** » (٢١١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
وأما إذا كان التصوير لأجل التعظيم والتقديس ؛ فهو من الشرك ، والكفر المُخرج من الملَّة .

(١) وهذا إن كان الإنكار باليد فيه مصلحة مُتحققة .

(٢) (خ ٦١١٠ و م ٤٦٦).

(٣) وفي رواية للبخاري (حديث ٩٠) : « **فَلْيُخَفِّفْ** » .

● وفي رواية[١] : « قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله ! إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلاَةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلاَنٌ فِيهَا . فَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ ؛ فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ ، وَذَا الْحَاجَةِ ».

○ **قلت** : وقد بوَّب البخاريُّ رحمه الله لهذا الحديث في موضعٍ من مواضع « **الصحيح** » (باب : ٢٩) فقال : « باب الغضب في الموعظة ، والتعليم ، إذا رأى ما يكره ». انتهى .

● **قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٥٣٤)** : « وذكر فيه - أي في هذا الباب - خمسة أحاديث[٢] تقدمت كلُّها ، وفي كلٍّ منها ذكر غضب النبي ﷺ في أسباب مختلفة مرجعها إلى أن ذلك كله كان في أمر الله ، وأظهر الغضب فيها ؛ ليكون أوكد في الزجر عنها ».

---

(١) للبخاريِّ (٧٠٤).

● **قُلْتُ** : والمراد بالتخفيف ما وافق سنة النبي ﷺ . وليس التخفيف ما وافق أهواء الناس . لكن مع مراعاة أحوالهم في حدود السنة . قالَهُ ابنُ عثيمين رحمه الله في « **شرح الرياض** ».

(٢) وسيأتي منها - قريبًا - حديثُ زيد بن خالدٍ الجهني في اللقطة .

● ومن هذا الباب كذلك ؛ ما أخرجه مسلمٌ في « الصحيح » (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله قال :

« كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَعَلاَ صَوْتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ[(١)] ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ ، يَقُولُ : « صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ » . وَيَقُولُ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ... » .

● ومن الأمور التي غضب منها النبي ﷺ ؛ **التردُّدُ في امتثال أمره وقبولِ أحكامِهِ** ؛ كما في « صحيح مسلم » (١٢١١) [١٣٠] [ص : ٨٧٩] من حديث عائشة رضي الله عنها ؛ أنها قالت :

« قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، أَوْ خَمْسٍ . فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَانُ[(٢)] ، فَقُلْتُ : مَنْ أَغْضَبَكَ ، يَا رَسُولَ اللهِ! أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ . قَالَ : « أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ ؟ » (قَالَ الْحَكَمُ[(٣)] : كَأَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ) ، وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي

---

(١) قال النوويُّ رحمه الله (« شرح مسلم » ٦/ ١٥٦) : « ولعل اشتداد غضبِه كان عند إنذاره أمرًا عظيمًا ، وتحذيره خطبًا جسيمًا » .

(٢) قال النوويُّ رحمه الله في (« شرح مسلم » ٨/ ١٥٥) : « أما غضبه ﷺ فلانتهاك حرمةِ الشرع ، وترددهم في قبولِ حكمِهِ » .

(٣) أحد رواة الإسناد .

مَا اسْتَدْبَرْتُ ، مَا سُقْتُ الْـهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ ، ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا [(١)] » .

● وفي « الصحيحين[(٢)] » من حديث عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير حدثه ؛ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ[(٣)] الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ : سَرِّحِ الْـمَاءَ[(٤)] يَمُرُّ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلزُّبَيْرِ : « اسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْـمَاءَ إِلَى جَارِكَ ». فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله! أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ[(٥)] ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ الله ﷺ[(٦)]

---

(١) والحديث أخرجه البخاريُّ (١٧٥٧ و ١٧٥٨ و ١٧٦٢ لكن دون الشاهد).

(٢) (خ ٤٥٨٥ ، ٢٣٥٩ و م ٢٣٥٧ ، باب وجوب اتباعه ﷺ). (واللفظ لمسلم).

(٣) يعنى : مسيل المياه ، يكون في الجبل ويتنزل إلى السهل ، و(الحرة) بالمدينة .

(٤) أي : أرسله .

(٥) أي : فعلت هذا لكونهِ ابن عمتك ؛ يعنى قريبًا لك .

(٦) قال النوويُّ رحمه الله: « أي تغير من الغضب لانتهاك حرمات النبوة ، وقبح كلام هذا الإنسان » اهـ.

○ قيل : كان هذا الرجل منافقًا من قبيلة الأنصار نسبًا لا دينًا. وقيل : زلة من الشيطان أو بادرة نفس . وقيل : كان في أول الإسلام.

● **قُلْتُ** : وراجع كلام النووي بالتفصيل .

ثُمَّ قَالَ : « يَا زُبَيْرُ ! اسْقِ ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ [١] ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ » [٢] وَاسْتَوْعَى [٣] النَّبِيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الْحُكْمِ ، حِينَ أَحْفَظَهُ [٤] الأَنْصَارِيُّ ، كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمَا بِأَمْرٍ لَهُمَا فِيهِ سَعَةٌ .

قَالَ الزُّبَيْرُ : فَمَا أَحْسِبُ هَذِهِ الآيَاتِ إِلَّا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

● بل ، وحتى التنزه عما رخَّصه النبي ﷺ لأمَّتِهِ مما أغضبه ، وذمَّه ، ولم يرتضه ؛ ففي « الصحيحين [٥] » من حديث عائشة ﵂ قالت:

« صَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ . فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ . فَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَقَامَ خَطِيبًا ، فَقَالَ : « مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ ، فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ ، فَوَاللهِ ! لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » وفي رواية أخرى لمسلم :

---

(١) هو الجدار . وقيل : الحواجز التي تحبس الماء .
(٢) هذه رواية البخاري .
(٣) يعنى : استوفى .
(٤) أي : أغضبه .
(٥) (خ ٦١٠١ و م ٢٣٥٦ واللفظ له).

« رَخَّصَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَمْرٍ ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَغَضِبَ ، حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ ، فَوَالله ! لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِالله ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً** » .

● وكذلك مما غضب منه رسول الله ﷺ وكرهه ؛ **الاختلاط بين الرجال والنساء من غير المحارم** ؛ كما في « **الصحيحين**[(١)] » من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ[(٢)] ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! إِنَّهُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ . قَالَتْ : فَقَالَ : « **انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ[(٣)] مِنَ الرَّضَاعَةِ ؛ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ** » .

○ ومن هذا الباب كذلك ؛ **إظهارُه ﷺ الغضب حين تكلَّف السائل في سؤاله** ، وتعنَّت في استفتائه ؛ كما في « **الصحيحين**[(٤)] » من

---

(١) (خ ٥٠٩٩ و ٥١٠٢ و م ١٤٥٥ واللفظ له) .
(٢) في رواية للبخاري (٥١٠٢): « فكأنه تغير وجهه ، كأنه كره ذلك » .
(٣) وفي رواية البخاري : « **انْظُرْنَ مَا إِخْوَانُكُنَّ** » .
(٤) (خ ٩١١٢) و (م ١٧٢٢) [٢ و ٤ و ٦] .
● **قُلتُ** : وقد بوَّب له البخاري بباب : « ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى ».

حديث زيد بن خالد الجهني أن رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ عن اللُقطة ، فقال : « عَرِّفْهَا سَنَةً ، ثُمَّ اعْرِفْ وِكَاءَهَا[١] وَعِفَاصَهَا[٢] ، ثُمَّ اسْتَنْفِقْ بِهَا[٣] ، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ » . قَالَ : يَا رَسُولَ الله ! فَضَالَّةُ الْغَنَمِ ؟ قَالَ : « خُذْهَا ، فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ ، أَوْ لأَخِيكَ ، أَوْ لِلذِّئْبِ » . قَالَ : يَا رَسُولَ الله ! فَضَالَّةُ الإِبِلِ ؟ قَالَ : فَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ - أَوِ احْمَرَّ وَجْهُهُ - ثُمَّ قَالَ : « مَا لَكَ وَلَهَا ، مَعَهَا حِذَاؤُهَا[٤] وَسِقَاؤُهَا ، حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا[٥] » .

إلى غير ذلك من تلك المواقف التي غضب النبي ﷺ فيها[٦] ،

(١) الوكاء : الرباط أو الخيط الذي يشد به الوعاء .

(٢) العفاص : الوعاء .

(٣) استنفق بها : أي أنفق منها .

(٤) الحذاء : الخف أو النعل .

(٥) ربها : صاحبها .

(٦) وغضبُهُ في تلك المواقف ، وفي هذه الأسباب المختلفة كلِّها ؛ فمرجعهُ فيها كان في أمر الله ، وقد أظهر الغضب فيها ؛ ليكون أوكد في الزجر عنها. بتصرفٍ من « الفتح » (١٠/ ٥٣٤).

وعُرفت الكراهية على وجهه[١] ، وعلى بسمته[٢] ؛ بل ربما أنكر بلسانه[٣] ، وربما غيَّر بيده[٤] .

(١) كما في « **الصحيحين** » (خ ٢٦١٤ و ٥٣٦٦ و مسلم ٢٠٧١) من حديث علي ﷺ قال : « أَهْدَى [آتى] إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ حُلَّةً سِيَرَاءَ فَلَبِسْتُهَا ، فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي » . والحلة السيراء : إزار ورداء من أنواع الحرير .

(٢) كما في حديث كعب بن مالك حين تخلَّف عن غزوة تبوك قال : « **حتى جئت - أي : إلى النبي ﷺ - فلما سلمتُ عليه تبسَّمَ تبسُّمَ المغضب** » . أخرجه البخاريُّ (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) .

(٣) كما وقع في حادثة الإفك ؛ **قال عليه الصلاة والسلام** :
« **يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي** » . أخرجه البخاريُّ (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠) .

● وكما أنكر على المتخلفين عن صلاة الجماعة في المساجد ؛ كما عند البخاري (٦٥٧) ومسلم (٦٥١) .

(٦) إن رأى المصلحة في ذلك ؛ كما تقدّم في هتكهِ للسترِ الذي كان في بيت عائشة ﵂ ورأى عليه صورة .

● وهناك صورٌ أخرى غير ما ذكرتُ في هذا الباب ؛ فانظر : « **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** » (١١/ ٥٠٨٥ دار الوسيلة) . فقد وردت فيه جملة طيبة من هذه المواقف النبوية .

○ **تنبيه** : وقد استفدتُ في نقلي لكثيرٍ من النصوص المتعلقة بموضوع رسالتي من« **نضرة النعيم** » مع ضميمةِ كُتبٍ أخرى قد أشرتُ إليها في مواضعها ؛ « **كالإحياء** » و « **جامع العلوم والحكم** » و « **الفوائد** » لابن القيم ، و « **الرياض** » للنووي ؛ وغيرها من الكتب .

○○ وهناك كتابٌ آخر مؤلفٌ في هذا المقام ؛ وعنوانه : « **المنتخب في فقه** =

ولكن - مع هذا - ؛ لم يكن يُخرجه الغضب عن حدِّ الاعتدال ، وعن الحق .

وهذا هو الواجب على كل مسلمٍ ألاَّ يقول سوى كلمةِ الحق سواء غضب أو رضي ، نسأل الله أن يوفقنا لكل ما يحبه ويرضى ؛ إنه وليُّ ذلك ومولاه .

ꕤꕤ◊ꕤꕤ

= الغضب » وأورد فيه مؤلفُهُ - وفَّقه الله - أبوابًا عدَّة في ذلك أيضًا ؛ فانظره .
وقد أشرتُ إليه قبل .

● غضبُ الملكِ الديان ●

(وليس مثل غضبه شيء)

تقدَّم أن الغضب ؛ منه ما هو مذموم بالكلية ، ومنه ما هو محمودٌ مثابٌ عليه ، وذلك بالنسبة للخلق ، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق ، والمذموم من الغضب ما كان في خلافهِ .

○ **ومن الغضب المحمود؛ (ما إذا صدر عن الرب المعبود سبحانه).**

وهذا الغضبُ الصادرُ عن الله تَعَالَى صفةٌ من صفاته الفعلية التي تليقُ بجلاله وعظمته ، الثابتة بالكتاب والسنّة ، وإجماع سلفِ الأمة ، نثبت هذه الصفة على حقيقتها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تأويل .

وهذه الصفة كسائر صفاتِ الباري جلَّ وعلا ، التي تدخل تحت هذا الإطار العام المتمثل في هذه الآية الكريمة في قول الله : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: من الآية١١] .

○ أما الآيات الدالة على ذلك ؛ فمنها ما يلي - (أعنى إثبات صفة الغضب لله تَعَالَىٰ) - :

● غضبه تَعَالَىٰ على أعدائه من اليهود ومن على شاكلتهم من الكفار والمنافقين والطغاة والمتجبرين .

○ قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المجادلة:١٤] .

قال قتادة رحمه الله : « هم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم »[(١)].

ومعنى قوله : ﴿ مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ قال الطبريُّ : « ما هؤلاء الذين تولوا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم « مِّنكُمْ » يعني: من أهل دينكم وملتكم ، « وَلَا مِنْهُمْ » ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم ، وإنما وصفهم بذلك جلَّ ثناؤه ؛ لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود قالوا : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ ».

---

(١) أخرجه الطبريُّ في « تفسيره » (٣٣٦٥٩) بسندٍ صحيحٍ .

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة:١٣] .

● **قال الطبريُّ** رحمه الله بعدما حكى قولين في تأويل هذه الآية الكريمة : « وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود ، من ثواب الله لهم في الآخرة ، وكرامته ؛ لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدًا ﷺ - على علم منهم أنه لله نبيٌّ - ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا ، فصاروا أصحاب القبور ، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه ، من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل ، من ثواب الله وكرامته إياهم » .

● **وقال السعديُّ** : « وإنما غضب الله عليهم لكفرهم ».

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفتح:٦] .

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشورى:١٦].

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا(١) فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل:١٠٦] .

وهو عذاب جهنم .

● قال السعديُّ رحمه الله : يخبر تَعَالَى عن شناعة حال ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾ فعمى بعد ما أبصر ، ورجع إلى الضلال بعد ما اهتدى ، وشرح صدره بالكفر راضيًا به ، مطمئنًا ، أن لهم الغضب الشديد ، من الربِّ الرحيم ، الذي إذا غضب لم يقم لغضبه شيء ، وغضب عليهم كلُّ شيء » .

---

(١) أي : وسَّعه لقبول الكفر ؛ قاله القرطبي .

○ وقال أهل الإيمان - كما حكى الله عنهم - : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾(١) [الفاتحة٦ : ٧] .

● ومنها ؛ غضبه تَعَالَى على من قتل نفسًا مؤمنة متعمّدًا قاصدًا ؛ كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣ ﴾ [النساء:٩٣]؛ فهذا وعيدٌ ترجف له القلوب ، وتنصدع له الأفئدة ، وينزعج منه أولو العقول؛ فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد ، بل ولا مثله ؛ فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم ، بما فيها من العذاب العظيم ، والخزي المهين ، وسخط الجبار ، وفوات الفوز والفلاح ، وحصول الخيبة والخسار ؛ فعياذًا بالله من كل سبب يبعد عن رحمته(٢) .

---

(١) قال ابنُ قيم الجوزية رحمه الله في (« الفوائد » ص : ٢٧) : « ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ يتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم ، وأن الانحراف إلى حدّ الطرفين انحرافٌ إلى الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد ، والانحراف الآخر ؛ انحرافٌ إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل » . انتهى .

(٢) « تيسير الكريم الرحمن » (ص : ١٥٧) للعلامة السعدي رحمه الله .

● ومن ذلك ؛ **غضبُه تَعَالَى على من فرَّ من الزحف والقتال ، ووقت التحام الصف** ؛ كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال:١٦].

● وكذلك ؛ **غضبُهُ تَعَالَى على من أرادت أن تبرِّئ نفسها ، وتدفع الحدَّ عنها بالحلف الكاذب**؛ كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾[النور:٩] .

أي : إن كان زوجها من الصادقين فيما رماها به من الزنا . « وذكر الغضب في حق النساء ؛ تغليظًا ؛ لأن النساء يستعملن اللعن كثيراً ؛ كما ورد به الحديث : « **يُكْثِرْنَ اللعْنَ** » ؛ فربما يجترئن على الإقدام ؛ لكثرة جري اللعن على ألسنتهن ، وسقوط وقعه عن قلوبهن ؛ فذكر الغضب في جانبهن ؛ ليكون ردعًا لهن » [(١)].

○**قال ابنُ كثير** : « فخصها بالغضب ، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنى إلا وهو صادق معذور ، وهي تعلم

---

(١) « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » (٥/ ٥٨) .

صدقه فيما رماها به ، ولهذا كانت الخامسة في حقِّها أن غضب الله عليها ، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه ».

● ومن ذلك ؛ قوله تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف: من الآية٥٥] .

ومعنى آسفونا : أغضبونا أشدّ الغضب بأعمالهم وأفعالهم .

ومنها كذلك : أسخطونا ؛ كما في (« تفسير ابن كثير » و « تفسير السعديِّ » وغيرهما) .

● قلت : فصفةُ السخط قريبة المعنى من صفةِ الغضب ؛ وذلك في قوله تَعَالَى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد:٢٨] .

○ وجاء في السنّة الصحيحة عددٌ من النصوص التي تُثبت وتُقرِّر أن الله يغضب على أقوام ، ويغضب لأقوام ؛ ومن ذلك ما يلي :

● غضبُهُ تَعَالَى على من آذى نبيّه ﷺ ؛ ففي « الصحيحين[1] » من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ

---

(١) (خ ٤٠٧٣ و م ١٧٩٣) .

عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ - يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ - اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وفي رواية[١] : «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ». أي : جرحوه حتى خرج منه الدم .

قال ابنُ الجوزيِّ رحمه الله[٢] : «وإنما اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ ؛ لأن الرسول يرجى منه الرحمة ؛ فإذا اشتد غضبه ، وأخرج إلى القتل ؛ دلَّ على أن المقتول في غاية الشقاء ، وقد قتل عليه السلام أُبيَّ بن خلف يوم أحد » .

وقال أيضًا[٣] : «اعلم أن الأنبياء بعثوا بالرحمة واللطف ؛ فلا يقصدون بالقتل إلا المبارز بالعناد ، وكذلك لا يبلغ أذى المشرك إلى أن يدمي وجه نبي الله إلا وقد فاق في العناد ، فصلح هذا أنْ يُقاتَل بشدة الغضب عليه ، وقد كانت تدمية وجه رسول الله ﷺ يوم أحد ، ويومئذ

---

(١) عند البخاريِّ (٤٠٧٤) .

(٢) في «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٩٩٣) ط الوطن.

(٣) المصدر السابق (١ / ٥٦٧) .

قُتل أُبيٌّ بن خلف ، فأما تدمية وجهه ؛ فإنه لما فر الناس ثبت ﷺ في عصابة من أصحابه عددهم أربعة عشر ، فجعل يرمي عن قوسه ، حتى صارت شظايا ، وأصيبت رباعيته ... » .

● وكذلك ؛ **غضبُهُ سبحانه من إيذاء عبادِهِ الصالحين** ؛ ففي « صحيح مسلم[(١)] » من حديث عائذِ بن عمرو أنه قال : « إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ ، وَصُهَيْبٍ ، وَبِلاَلٍ ، فِي نَفَرٍ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « **يَا أَبَا بَكْرٍ ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ . لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ** ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ ؛ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهْ ! أَغْضَبْتُكُمْ ؟ قَالُوا : لاَ . يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ » .

وهذا يدل على رفعة منازل هؤلاء المذكورين عند الله تعالى ، ويُستفاد منه احترام الصالحين ، واتقاء ما يغضبهم أو يؤذيهم[(٢)] .

---

(١) (رقم : ٢٥٠٤) .

(٢) « المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم » لأبي العباس القرطبي (٩ / ٢٥٨) .

● وأيضًا ؛ غضبُهُ سبحانه على من حلف كاذبًا لأخذ أموال الناس بغير حق ؛ ففي « الصحيحين[١] » من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهْوَ فِيهَا فَاجِرٌ ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ » .

● ومما يغضب منه ربنا تبارك وتعالى ؛ ما رواه مسلم في (« الصحيح » ٢٨٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ ، وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ » .

أي : يغدون بكرة في النهار ، ويروحون آخره وهم في غضبه وسخطه[٢] .

● وكذلك ؛ يغضبُ الله تَعَالَى و يشتدُّ غضبُهُ حين يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في أرض المحشر ، إذ يرى في هذا اليوم العُصاة والفجّار والكفّار والمجرمين والمنافقين والمشركين واليهود والنصارى

---

(١) (خ ٢٤١٦ و ٢٤١٧) و (م ١٣٨) .
(٢) « فيض القدير » (٤/ ١٢٨).

وأشباههم ؛ ففي « **الصحيحين**[١] » من حديث أبي هريرة ﷺ قال : وذكر حديث الشفاعة الطويل ، وفيه - حين يأتي الناس إلى الرسل يسألونهم الشفاعة - في أرض المحشر - يقول كلُّ نبي ورسولٍ :

« **إن رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ** ».

لأن هذا اليوم هو يوم الفصل والحساب والقصاص ، وسيأتي فيه كلُّ ظالم ومفسدٍ وشرير وسفاك ومتكبر ومجرم وطاغ وسيأتي المجرمون .. والقتلة .. والفسقة .. والظلمة ، وسيقف كلُّ هؤلاء أذلاء على أرض المحشر ، وقد اجتمعوا جميعًا في هذه اللحظات لا يستطيع أحدٌ منهم أن يتكلَّم بكلمة واحدة . إنها ساعة الانتقام والغضب ، وليس هناك غضب أشد منه ؛ فنسأل الله النجاة والسلامة .

● **وعمومًا ؛ فقد سبقت رحمةُ الله غضبَهُ ؛ كما في « الصحيحين**[٢] » من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَـمَّا خَلَقَ اللهُ**

---

(١) (خ ٣٣٤٠) و (م ١٩٤) .
(٢) (خ ٧٤٠٤) و (م ٢٧٥١) [١٤ و ١٦] .

الْـخَلْقَ كَتَبَ اللهُ فِي كِتَابِهِ - هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَهْوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ - : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي ».

○ وفي رواية[1] : (إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) ؛ فنسألُ الله رحمته ، وعفوه ، ومغفرته ، إنه سميعٌ مُجيب .

فالغضب صفةٌ ثابتةٌ صادرة عن الله تَعَالَى على الوجه اللائق به . فالله يغضب ؛ لكن كيف يغضب ؟ فالجوابُ : أنه سبحانه وتعالى أخبرنا أنه يغضب ، لكن لم يخبرنا كيف يغضب ، ونحن نؤمن بأنه تَعَالَى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: من الآية١١]؛ فغضبه ليس كغضبنا، كما أن رحمته ليست كرحمتنا ، وقدرته ليست كقدرتنا ، ويده ليست كأيدينا ... الخ .

(فصفاتُ الله الجليل ليست كصفاتِ العبد الفقير).

● **فواجبنا نحو صفات الله تَعَالَى يتلخَّص في أمرين ؛ هما :**

○ **الإقرار .**

○ **والإمرار .**

---

(١) (خ ٧٤٢٢) و (م ٢٧٥١) [١٥] .

- **أما الإقرار** ؛ فهو الإيمان بالصفة التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسولُهُ ﷺ ، والإقرار بها .

- **وأما الإمرار** ؛ فهو قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية ، لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل .

○ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه: من الآية١١٠].

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[النحل: من الآية٧٤] .

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص:٤] .

○ وقَالَ تَعَالَى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[مريم: من الآية٦٥] .

فتعالى الله عن مشابهة خلقه .

࿇

● الفرق بين الغضب والانتقام ●

« إن الغضب يختلف عن الانتقام ؛ فقد يغضب الله ﷻ على قومٍ ، ويُعجِّل لهم العقوبة ، وينتقم منهم في الدنيا ، وذلك كما فعل مع فرعون وأعوانهِ ، وكما فعل مع عادٍ وثمود ، وغيرهم ممن انتقم منهم ، وعذَّبهم في الدنيا . ولكن قد يغضب الله عزَّ وجلَّ على قومٍ ، ويؤخِّر عنهم العذاب والعقاب إلى يوم يلقونه ؛ فليس هناك تلازمٌ بين الغضب وتعجيل الانتقام[1] » .

○ **قال العلامة ابن عثيمين** رحمه الله[2] : « قوله : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا ﴾ [الزخرف: من الآية٥٥] ، فيها ردٌّ على من فسروا السخط والغضب بالانتقام ؛ لأن أهل التعطيل من الأشعرية[3] وغيرهم[4] يقولون :

---

(١) (« العقيدة الصافية » ص : ٣٨٠ ط - طيبة) .
(٢) (« شرح الواسطية » ١/ ٢٧٠ ط - ابن الجوزى).
(٣) راجع « شرح صحيح مسلم » للنووي (٣/ ٦٨).
(٤) وكأهل اللغة أيضًا ؛ ومنهم الراغب في (« المفردات » ص : ٣٦١) فقد قال=

إن المراد بالسخط والغضب الانتقام ، أو إرادة الانتقام ، ولا يفسرون السخط والغضب بصفةٍ من صفات الله يتّصف بها هو نفسه ، فيقولون: غضبُهُ ؛ أي : انتقامه أو إِرادة انتقامه ؛ فهم إما أن يفسروا الغضب بالمفعول المنفصل عن الله ، وهو الانتقام أو بالإرادة. لأنهم يقرِّون بها، ولا يفسرونه بأنه صفة ثابتة لله على وجه الحقيقة تليق به .

ونحن نقول لهم : بل السخط والغضب غير الانتقام ، والانتقام نتيجة الغضب والسخط ؛ كما نقول : إن الثواب نتيجة الرضا ؛ فالله سبحانه وتعالى يسخط على هؤلاء القوم ويغضب عليهم ثم ينتقم منهم .

وإذا قالوا : إن العقل يمنع ثبوت السخط والغضب لله عزَّ وجلَّ ؛ فإننا نجيبهم بما سبق في صفة الرضا ؛ لأن الباب واحد ، ونقول :

= في الغضب : « وإذا وُصف الله تعالى به ، فالمراد به الانتقام - دون غيره - » . وقال ابن الأثير في (« النهاية » ٣/ ٣٧٠) : « وقد تكرر « الغضب » في الحديث من الله تعالى ، ومن الناس ، فأما غضب الله ؛ فهو إنكاره على من عصاه ، وسخطه عليه، وإعراضه عنه ، ومعاقبته له » ، وقال ابن عرفة (كما في « اللسان » لابن منظور ص : ٣٢٦٣) : « وأما غضب الله فهو إنكاره على من عصاه ، فيعاقبه ».

بل إن العقل يدل على السخط والغضب ؛ فإن الانتقام من المجرمين ، وتعذيب الكافرين دليل على السخط والغضب ، وليس دليلًا على الرضى ، ولا على انتفاء الغضب والسخط .

ونقول : هذه الآية : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ تردُّ عليكم ؛ لأنه جعل الانتقام غير الغضب ؛ لأن الشرط غير المشروط .

○ **مسألة** : بقي أن يُقال : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ : نحن نعرف أن الأسف هو الحزن والندم على شيء مضى على النَّادم لا يستطيع رفعه ؛ **فهل يوصف الله بالحزن والندم ؟**

● **الجواب** : لا ، ونجيب عن الآية ؛ بأن الأسف في اللغة له معنيان :

○ **المعنى الأول** : الأسف بمعنى الحزن، مثل قول الله تَعَالَى عن يعقوب: ﴿ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾[يوسف: من الآية٨٤] .

○ **المعنى الثاني** : يطلق الأسف على الغضب ، فيقال أسف عليه يأسف بمعنى : غضب عليه .

– **والمعنى الأول** : ممتنع بالنسبة لله ﷻ

- والثاني : مُثبتٌ لله ؛ لأن الله تَعَالَى وصف به نفسه ؛ فقال : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ » . انتهى كلامه - رحمه الله ورضي عنه - .

● **ويتلخَّص هذا الباب فيما يلي :**

○ **سؤال** : ما المستفاد من الناحية المسلكية في إثبات صفة الغضب لله عز وجل ؟

● **الجواب** : أنَّ الفائدة هي أن يحذر الإنسانُ مما يُغضب الله تَعَالَى [(١)] .

○ **سؤال** : وما الذي يُغضب الله عز وجل ؟

● **الجواب** : ما تقدّم ذكرُهُ - مما قد أوردناه ومما لم نورده - من موالاة الكافرين ، والركون إليهم ، والتشبّه بهم ، ومعاونتهم ... ومن التعرض لجناب النبي ﷺ وسبِّه وما شابه ، وكالفرار يوم الزحف ، وكمن قتل مؤمنًا متعمدًا .

---

(١) (« شرح الواسطية » لابنِ عُثيمين رحمه الله) .

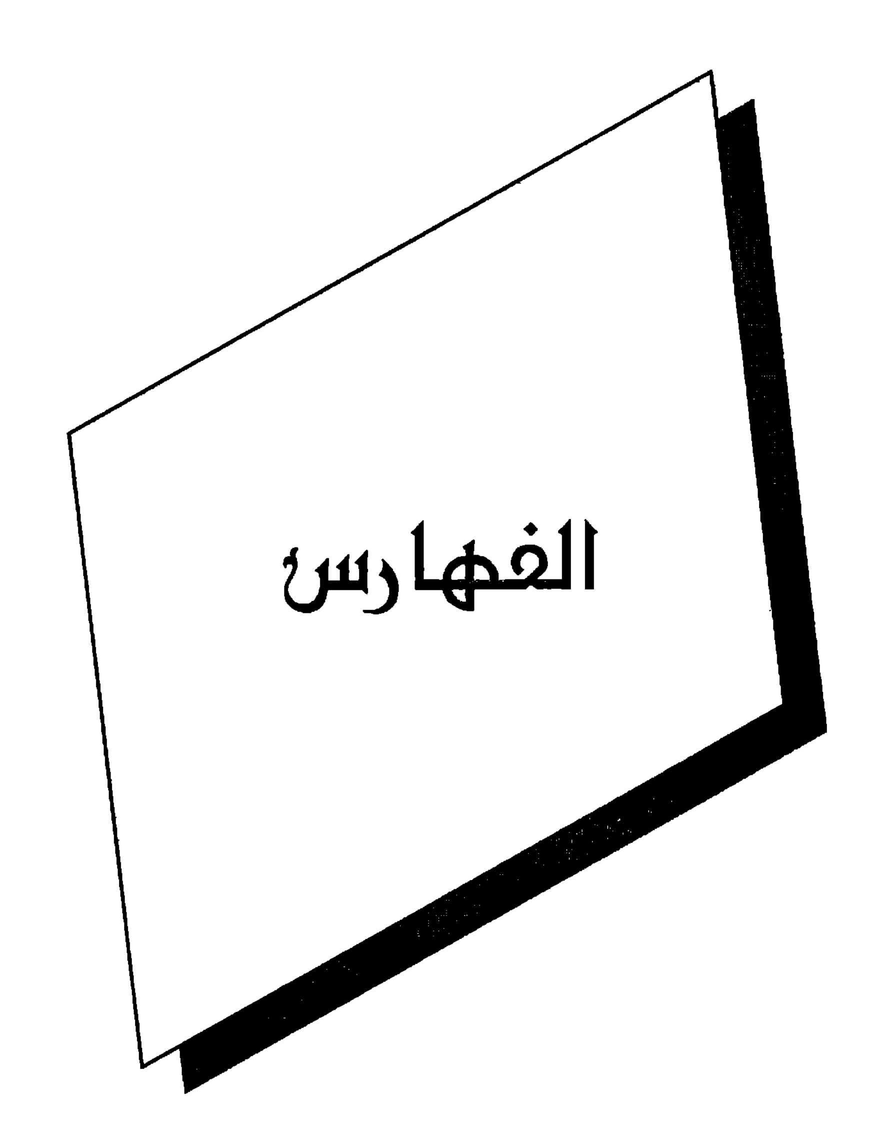
ويغضبُ اللهُ من أحوالِ المجرمين عمومًا ، ومن سائر الصفاتِ الذميمة ؛ نسأل الله أن يرضى عنَّا ، وأن يأخذ بأيدينا ونواصينا للبر والتقوى ؛ إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين ؛

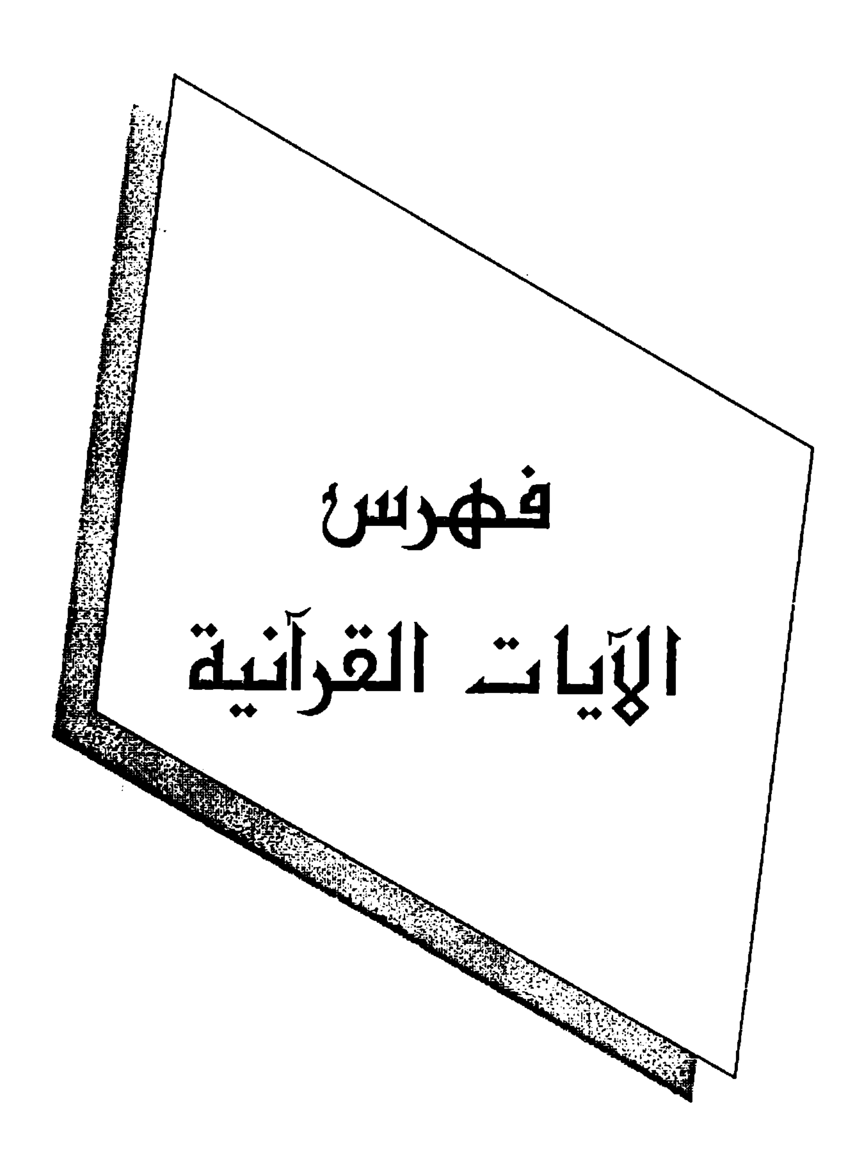
وكتبه أبو عبد الله محمد العفيفى

بمنية سمنود / دقهلية / مصر

تمت مراجعته وإثراؤه بمزيدٍ من الفوائدِ واللطائفِ في أول شهر رمضان لعام ١٤٣٠ هـ . والحمد لله رب العالمين.

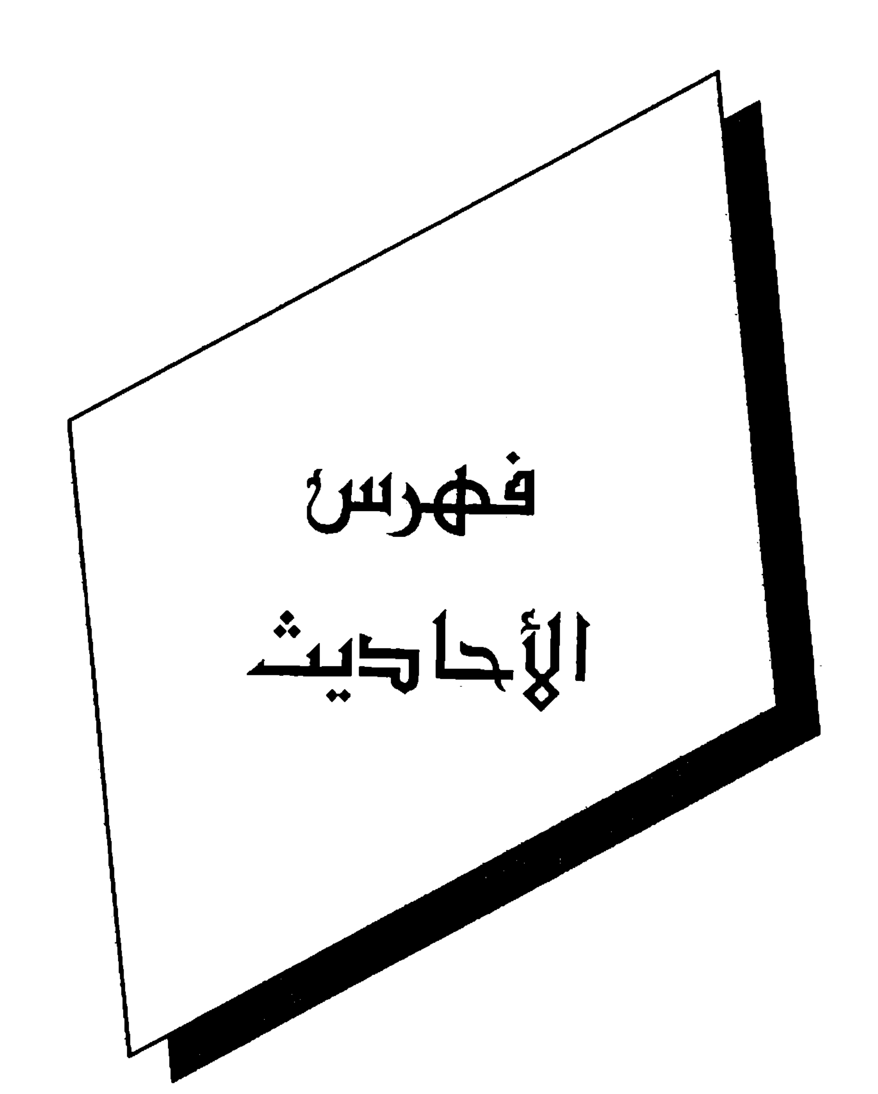
꧁ ◊ ꧂


الفهارس


فهرس
الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

﴿﴿ ◊ ﴾﴾


فهرس
الأحاديث

فهرس الأحاديث

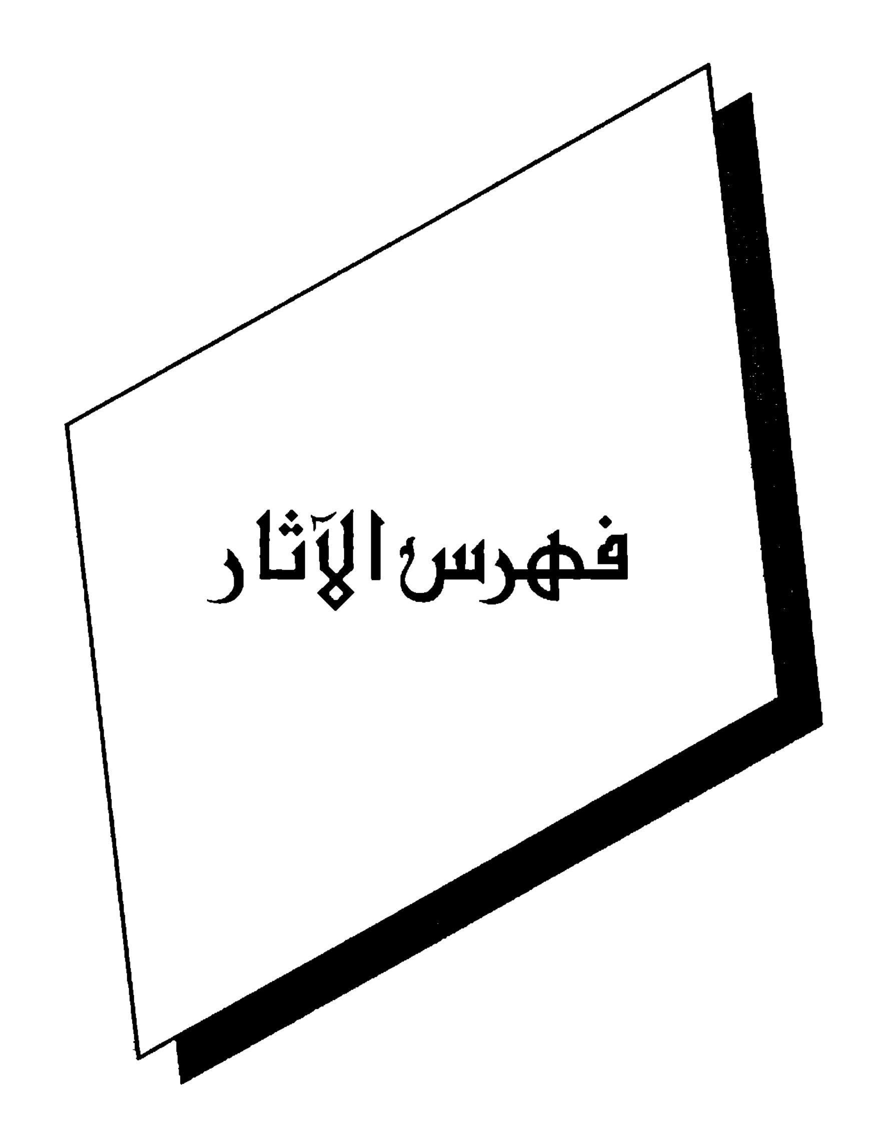
طرف الحديث	الصفحة
إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها	١٤٤
إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم	١٣٤
إن المرأة خلقت من ضلع	١٩٨
إن المضطجع فيها خير من القاعد	٩٤
أن النبي ﷺ ركب حمارًا عليه إكاف	٤٩
إن ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله	٢٦٢
أن رجلًا قال : والله لا يغفر الله لفلان	٣٩
إن فيك خصلتين يحبهما الله	١١٦و ١٢٤
إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا	١٣٦و ١٤٣
إن من أشد الناس عذابًا	٢٤٢
إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا	١٣٧
إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر	١٨١
أنا زعيم ببيت في ربض الجنة	٥٩و١٣٨
أنا سيد الناس يوم القيامة	٥٦
انزل عنه فلا تصحبنا بملعون	٤١

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

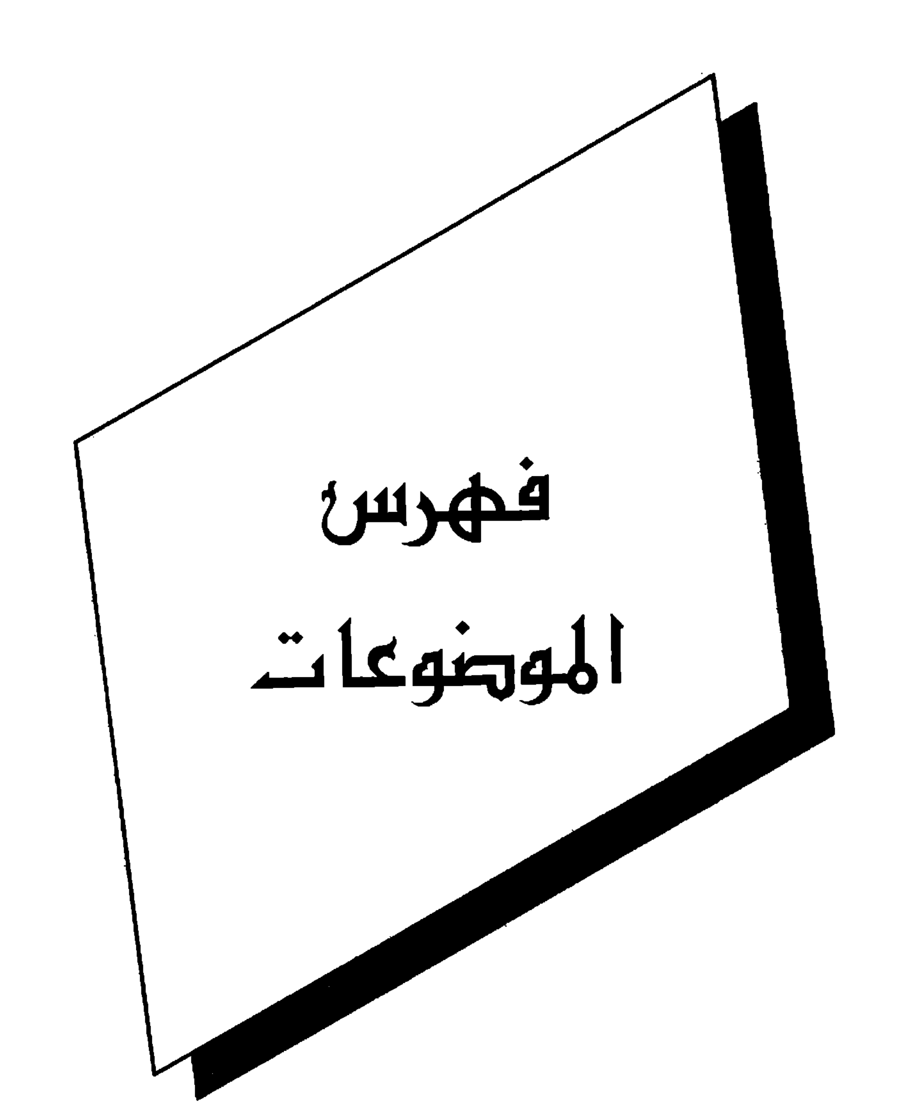
حرف الياء

طرف الحديث	الصفحة



فهرس الآثار

فهرس الآثار


فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

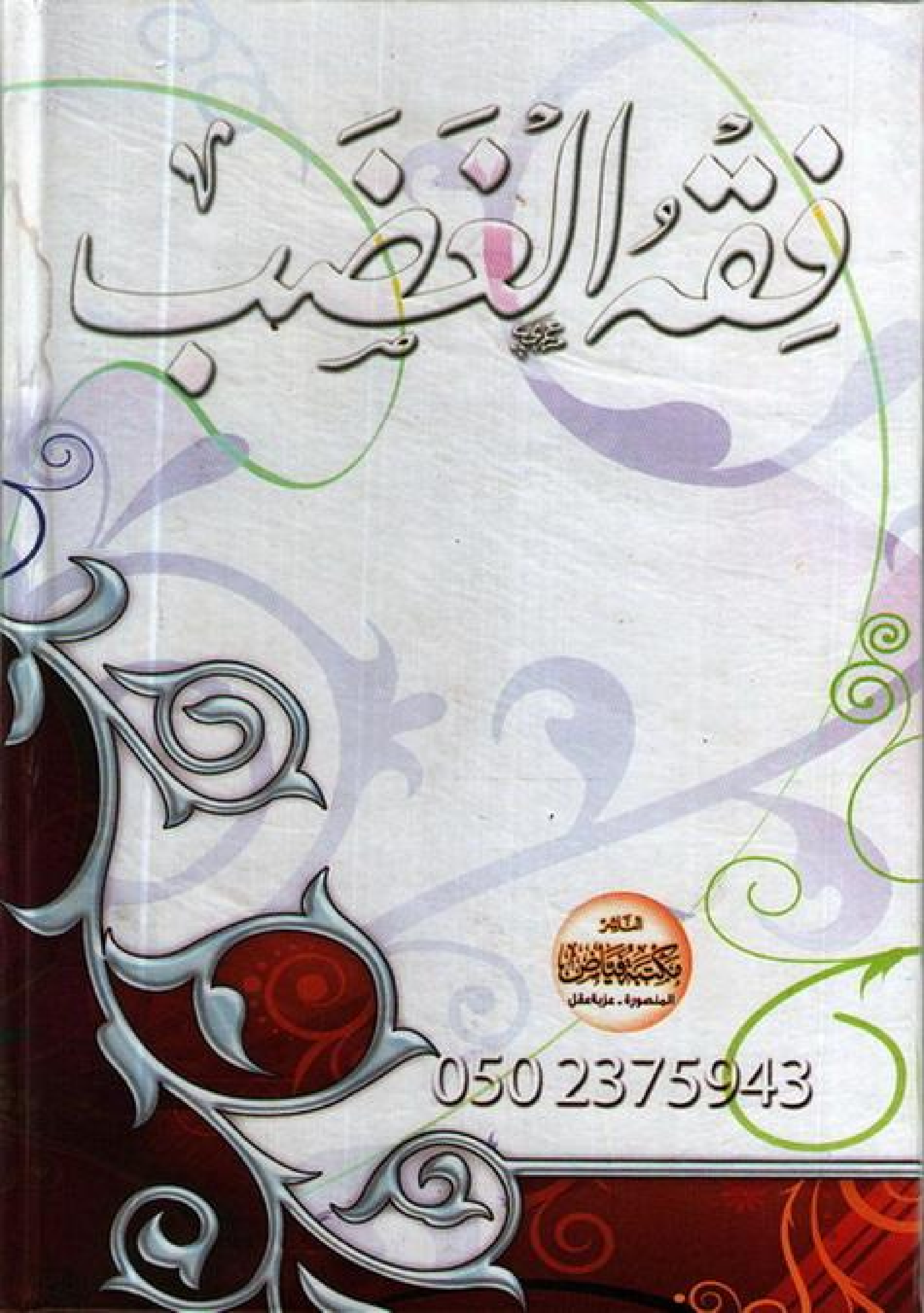
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

انتهت الفهرسة

والحمد لله على توفيقه


فقه الغضب
الناشر
مكتبة فياض
المنصورة - عزبة عقل
050 2375943